

دراسة في الخريطة السياسية لعصر الظهور

المهدون للمهدي

عليه السلام

علي الكوراني



Princeton University Library



32101 059174639

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

(RECAP)

دراسة في الخريطة السياسية لعصر الظهور

المهدون للمهدي
عليه السلام

بقلم
علي الكوراني

(RECAP)

B P 166

.93

.K88

مركز النشر- مكتب الاعلام الاسلامي

- | | |
|-----------------------------------|-----------------|
| المهدون للمهدي | اسم الكتاب : |
| علي الكوراني | الكاتب : |
| مركز النشر- مكتب الاعلام الاسلامي | الناشر : |
| الأولى | الطبعة : |
| مكتب الاعلام الاسلامي | طبع على مطابع : |
| محرم ١٤٠٥ | تاريخ النشر : |
| ٥٠٠٠ نسخة | طبع منه :: |

حقوق النشر محفوظة للناشر

مراكز التوزيع :

- قم- شارع ارم- مكتبة مكتب الاعلام الاسلامي- هاتف: ٢٣٤٢٦.
- طهران- شارع ناصر خسرو- زقاق حاج نايب- سوق خاتمي هاتف: ٥٣٩١٧٥

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>



02161 021888 13

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

88-BA1890-1

فهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
اجماع المسلمين على صحة البشارة النبوية	١٠
البشارة النبوية بين الجانب النفسي والمنهجي	١٢

الفصل الاول

دراسة أولية لعلامات الظهور	٢٣
شخصيات ذكرت في علامات الظهور	٢٤
أقوام ورد ذكرهم في علامات الظهور	٣١
الآيات السماوية	٣٥
الآيات الارضية	٤٠

الفصل الثاني

تصور عام لظهور المهدي عليه السلام	٤٥
الساحة الجغرافية للحدث	٤٥
الوضع السياسي العالمي	٤٩
القوى الفاعلة في ساحة الظهور	٥٠
١- بلاد الشام وفلسطين	٥٠
٢- ايران	٥٣
٣- العراق	٥٧
٤- الحجاز	٥٨

- ٦٨ الى ايران والعراق
- ٧٠ الزحف الى القدس
- ٧٢ نزول المسيح عليه السلام
- ٧٦ المسيرة الجديدة للعالم
- ٧٩ من ملامح شخصية المهدي عليه السلام

الفصل الثالث

- ٩٥ الممهدون للمهدي عليه السلام
- ٩٥ احاديث الممهدين و مصادرها
- ٩٥ (١) حديث حتى يأتي قوم من قبل المشرق
- ٩٨ (٢) حديث أنها غير رايات بني العباس
- ٩٩ (٣) حديث هم أهل الرايات السود المستضعفون
- ٩٩ (٤) حديث فلا يرد لها شيء حتى تنصب في ايلياء
- ١٠٠ (٥) أحاديث دخول الايرانيين الى دمشق
- ١٠٣ (٦) في تفسير قوله تعالى: «بعثنا عليكم عبادا لنا»
- ١٠٣ (٧) حديث رجل من أهل قم
- ١٠٤ (٨) حديث تكون قم وأهلها حجة على الخلائق
- ١٠٤ (٩) حديث يخرج رجل قبل المهدي
- ١٠٦ (١٠) في تفسير قوله تعالى: «وان تتولوا يستبدل قوما غيركم»
- ١٠٧ (١١) في تفسير قوله تعالى: «واآخرين منهم لما يلحقوا بهم»
- ١٠٨ (١٢) حديث ليضربنكم على الدين عودا
- ١٠٩ (١٣) حديث كنوز الطالقان
- ١٠٩ (١٤) حديث الهاشمي الخراساني وشعيب
- ١١٠ (١٥) حديث باب اصطخر
- ١١١ (١٦) حديث تبعث الرايات السود بالبيعة

- ١١٣ (١٧) الايرانيون و معركة قرقيسيا
- ١١٤ شرح حديث حتى يأتي قوم من قبل المشرق
- ١٢٤ محاولة العباسيين استغلال احاديث رايات المشرق
- ١٣١ شرح حديث هم المستضعفون يعزهم الله
- ١٣٥ شرح حديث فلايردها شيء حتى تنصب بايلياء
- ١٤٥ متى يدخل الايرانيون دمشق؟
- ١٤٨ تفسير مطلع سورة الاسراء
- ١٥٠ خلاصة تاريخ اليهود من سنة ١٢٧٠ ق.م الى ١٩٢٥ م
- ١٦٥ العقوبات الموعودة لبني اسرائيل
- ١٦٥ الوعد الثاني
- ١٦٨ الوعد الثالث
- ١٧٠ الوعد الاول
- ١٧٥ تفسير آيات الوعد الاول
- ١٩٦ شرح احاديث قم وأهلها
- ٢١٧ البديل للعرب
- ٢١٨ داء التعصب القبلي والقومي
- ٢١٩ منطق العصبية
- ٢٢٠ اهم نقاط القوة والضعف في العرب
- ٢٢٦ كيف نعود الى موقعنا
- ٢٣٩ اهم نقاط القوة والضعف في الفرس
- ٢٤١ عوامل الظاهرة الاسلامية في ايران
- ٢٤٨ كيف يتناول الفرس الايمان من الثريا
- ٢٦٣ الذاكرون والضياطرة
- ٢٦٨ كنوز الطالقان
- ٢٧٩ الايرانيون و معركة قرقيسيا

مقدّمة

في نهضة الاسلام المعاصرة لم تأخذ أحاديث البشارة النبوية الشريفة بالمهدي عليه السلام حقها من الإهتمام النظري والعملي لدى المسلمين.

نعم لقد ظهرت في السنوات الأخيرة كتب ومقالات عديدة في العراق ومصر وإيران والحجاز، وغيرها، حول عقيدة المسلمين في ظهور المهدي ونزول المسيح عليها السلام .. ولكن ذلك لا يتناسب من ناحية النوعية ولا من ناحية الكمية مع الأهمية العقائدية والسياسية الخاصة للموضوع.

إنّ عقيدة المهدي عليه السلام تعيش في وجدان المسلمين في شرق الأرض وغربها، ولعلك لا تجد مسلماً إلاّ ولها في وجدانه نبض بشكل من الأشكال لما سمع من أحاديث النبي (ص) وقد اختبرت ذلك في موسم الحجّ مع أكثر من ثلاثين مسلماً من بلاد مختلفة ومستويات متفاوتة .. فهي إذن طاقة تستطيع أن تحرك جماهير المسلمين وأن تكون عاملاً في صنع تاريخهم .. وبالفعل فقد اتخذت حالات تشكيل مختلفة في تاريخنا الحديث فكانت المحرك الأول في مقاومة الاستعمار البريطاني في حركة

الأنتصار السودانيّة، وكانت المحرّك الأول في حركة المسجد الحرام على يد العتبي والقحطاني، وكانت محرّكاً أساسياً في حركة الجهاد والهجرة على يد الشهيد مصطفى شكري في مصر، كما كان لها دورها الهام في الثورة الاسلاميّة في ايران على يد الإمام الخميني دام ظلّه، وبانتصار هذه الثورة المباركة انبعثت عقائد الاسلام في أعماق المسلمين من جديد، وصار لعقيدة المهدي من بينها وقع خاص في قلوبهم، وفي أذهان العالم.

ولسوف تستأثر هذه القضية باهتمام المسلمين والعالم أكثر فأكثر كلّما حققت مسيرة الإسلام نصراً جديداً، وأدخلت مع أعضائها في مرحلة مواجهة جديدة.

إنّ الكُتّاب المسلمين يواجهون منذ اليوم طلباً مُلِحاً من جماهير المسلمين والعالم أن يقدّموا لهم الكثير والمزيد عن قضية المهدي عليه السلام، ومن الطبيعي أن تتزايد هذه الحاجة باطراد ... وأن تكثر الاتجاهات والاجتهادات في تليبيتها.

* *

في عقيدة المهدي في الاسلام ليست مشكلة الباحث في قلة النصوص من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بالموضوع .. ولكنّها في منهج التعامل مع النصوص وأسلوب دراستها ونشر نتائجها بين المسلمين.

لقد اهتمّ الرواة والعلماء المسلمون على مرّ الأجيال وعلى اختلاف مذاهبهم بأحاديث المهدي عليه السلام، وأفردوا لها أبواباً في كتب الحديث حتى لا يكاد يخلو منها مصدر، وألّف فيها العديدون رسائل وكتباً خاصّة .. وكانوا بذلك يؤدّون الأمانة ويلبّون حاجة عصرهم، جزاهم الله عن المسلمين خيراً.

أمّا في حركة الاسلام المعاصرة الممهّدة لظهور المهدي عليه السلام فإنّ الحاجة تدعو الى جهود مكثّفة وبحوث متعدّدة من قبل أفراد

ومؤسسات، لكي نقدم لأمتنا وللعالم كل ما في الاسلام عن المهدي عليه السلام.

وأحسب أن استخراج الخريطة السياسية أو تقديم التصور العام لعصر الظهور يقع في طليعة البحوث التي تمس الحاجة إليها.

إن هذه المجموعة الحديثية الشريفة التي قد تزيد على خمس مئة حديث والتي نتحدث عن مرحلة الانفجار العالمي في حركة الاسلام.. لترسم خريطة سياسية لحركة الأمة والعالم في عصر الظهور، وكلما اقتربت من زمن الحدث أو منطقة الحدث (الحجاز ويران والعراق وبلاد الشام وفلسطين) كثرت فيها التفاصيل حتى تتناول الأمكنة والأسماء والأيام والساعات!

ومهما كان الجهد الذي يحتاجه هذا العمل فهو في سبيل واحدة من عقائد الاسلام التي من شأنها أن تبعث في أمتنا اليقين والطمأنينة الثورية.

كنت أودّ لو أتوفّق لنشر هذه الدراسة دفعة واحدة، لكنني اضطررت لأن أقدمها أقساماً كلّما سمح الوقت، راجياً بذلك أن أوجه الإهتمام لتناول قضية المهدي عليه السلام من هذا الاتجاه الأصيل المفيد في حركة جهاد أمتنا المتصاعد.

* *

إجماع المسلمين على صحة البشارة النبوية

أجمع المسلمون على مرّ أعصارهم ومختلف مذاهبيهم على صحة أحاديث البشارة النبوية الشريفة في المهدي المنتظر، ولم يشذ عن الإجماع إلا أفراد اعتمدوا على الاستغراب والاستبعاد، وقام العلماء بردهم وتفنيدهم قوتهم.

والسبب في هذا الإجماع أن الأحاديث الشريفة عن النبي (ص) في الموضوع متواترة وكثيرة، تبلغ العشرات بل المئات. ومعنى الحديث المتواتر أن يكثر رواته ويتنوعوا بحيث لا يمكن اتّفاقهم على الكذب.

قال صاحب غاية المأمول «اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لابدّ من ظهور رجل من أهل البيت يسمّى المهدي.. وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة، وخرّجها أكابر المحدّثين: كأبي داود، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني وأبي يعلى، والبزّاز، والإمام أحمد، والحاكم رضي الله عنهم أجمعين. ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلّها. قال الحافظ في فتح الباري: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى بن مريم سينزل ويصلي خلفه» ج ٥ -ص ٣٦٢.

وقال الشوكاني في رسالته المسماة «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح» بعد سرد الأحاديث: «وجميع ما سقناه بالغ حدّ التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع».

وقال الصبّان في اسعاف الراغبين: «وقد تواترت الأخبار عن النبي (ص) بخروجه وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً» ج ٢ -ص ١٤٠.

وقال الشيخ عبد الحق في اللمعات «قد تظاهرت الأحاديث البالغة حدّ التواتر في كون المهدي من أهل البيت من أولاد فاطمة» حاشية صحيح الترمذي ج ٢ -ص ٤٦.

وقال ابن حجر الهيتمي «والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة» الصواعق المحرقة ج ٢ -ص ٢١١.

وقال السويدي «الذي اتفق عليه العلماء أن المهدي هو القائم في آخر الوقت، وأنه يملأ الأرض عدلاً، والأحاديث في ظهوره كثيرة» سبائك الذهب ص ٧٨.

وقال ابن خلدون «إعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممرّ الأعصار أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين و يظهر العدل و يسمّى بالمهدي» المقدمة ص ٣٦٧.

وقد عدّد الشيخ عبد المحسن العباد المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ستة وعشرين صحابياً ممّن سمعوا من النبي (ص) أحاديث البشارة بالمهدي المنتظر، وثمانية وثلاثين محدثاً ومؤلفاً أخرجوا هذه الأحاديث، وعشرة من العلماء خصّوا الموضوع بمؤلفات خاصّة. جاء ذلك في محاضرة موسّعة بعنوان «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» وقد علّق الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي السعودية اليوم على المحاضرة وأشاد بها وقال «إنّ الحقّ والصواب هو ما أبداه فضيلته في هذه المحاضرة كما بيّنه أهل العلم، فأمر المهدي أمر معلوم والأحاديث فيه

مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها كما حكاها الأستاذ في هذه المحاضرة، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها، وصحابتها، ورواياتها، وألفاظها، فهي بحق تدلّ على أنّ هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حقّ.. . كانت هذه المحاضرة والتعليق عليها في سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ونشرتها مجلة الجامعة الإسلامية في عدد ذي القعدة من تلك السنة.

وقد استخرج الباحث الشيخ لطف الله الصافي في موسوعته «منتخب الأثر» أحاديث المهدي عليه السلام من أكثر من ستين مصدراً من كتب السنة من ضمنها الصحاح الستة، وأكثر من تسعين مصدراً من كتب الشيعة من ضمنها الكتب الأربعة، وقام بتبويب أحاديثها. وسنختم هذه الدراسة إن شاء الله بذكر أسماء مجموعة من المصادر والكتب كي يرجع إليها من أراد التوسع في الموضوع.



البشارة النبوية بين الجانب النفسي والمنهجي

(١)

الناظر في آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة التي تتحدث عن مستقبل الأمة الإسلامية والعالم.. يراها ترسم مسيرة الاسلام والمسلمين في خطين يسيران معاً:

الأول خط ابتعاد المسلمين عن الله تعالى وانحرافهم عن الاسلام وغلبة الأمم الكافرة والمشركة عليهم، في مثل قوله تعالى «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَقْبَانٌ مَاتَ أَوْ قِتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» ١٤٤- آل عمران.

وعن النبي (ص) «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. قِيلَ وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: الشُّرَاةُ مِنَ الْقَبَائِلِ» مسند أحمد ج ١- ص ٣٩٨. والشُّرَاةُ من القبائل: الأفراد القلائل الذين يخرجون عن مألوف أهلهم وأقوامهم.

وعنه (ص) «لَتَسْبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى تَوَدَّخَلُوا جُحْرَ صَبٍّ تَتَّبِعْتُمُوهُمْ. فَلَمَّا يَارَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟» مسند أحمد ج ٣ ص ٨٤. وقريب منه في فتح الباري ج ١٧ ص ٦٣.

وعنه (ص) «يُوسِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى فَصْعَتِهَا. فَلَمَّا يَارَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ قَلْبُهُ بِنَا يَوْمِيذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمِيذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غَنَاءً كَغَنَاءِ السَّبِيلِ يَنْتَرِعُ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. فَلَمَّا وَمَا الْوَهْنَ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٨.

والثاني خط حفظ الاسلام وثباته وصموده، ثم انتصاره وشموله لكل العالم.. في مثل قوله تعالى «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ٣٣- التوبة.

وعن النبي (ص) «الْإِتِّزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي طَاهِرِينَ.. حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ طَاهِرُونَ» فتح الباري بشرح البخاري ج ٧ ص ٤٤٥.

وعنه (ص) «لَنْ يَزَالَ أَمْرُهُذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» صحيح البخاري- كتاب الاعتصام- ١٠.

ومن أهم معالم هذا الخط بشارة النبي (ص) بظهور المهدي ونزول المسيح عليها السلام لكي يدعو النصارى الى الاسلام.

وهذين الخطين معاً كانت مسيرة تاريخنا الاسلامي وحاضره .. حتى يتم وعد الله تعالى، ويشرق نور الاسلام على الأرض كلها.

(٢)

وإذا أخذنا هذين الخطين من ناحية تأثيرهما في البناء النفسي في شخصية المسلمين نَرَّ أنَّهما: مؤثر سلبي إذا صحَّ التعبير، ومؤثر إيجابي، ونتيجتها الطبيعية هي التوازن ما بين التشاؤم لسوء الواقع والتفاؤل بازدهار المستقبل.

غير أنه يوجد عاملان آخران يشاركان في بناء (سيكولوجية) المسلمين بفعالية وهما: عقيدة التسليم لله تعالى وأنه المهيمن على الحياة فإذا أذى المسلم ما عليه فلا عليه أن يجري التاريخ بما أذن الله وأراد. وعقيدة النصر والفوز في الآخرة .. وبذلك يملك المسلمون ثلاثة عوامل إيجابية في مقابل عامل سلبي، والنتيجة الطبيعية لذلك: حالة نفسية متفائلة واثقة بنفسها وغدها، عاملة لهدفها بإقدام.

ولكن لماذا لا يعيش المسلمون هذه الحالة الروحية العالية؟

الجواب البسيط: أننا لم نبن حالتنا النفسية بهذه العقائد الأربع التي هي أهم مكونات السيكولوجية الاسلامية.

فأولئك الذين يرون الخط السلبي من تاريخنا وحاضرنا، ولا يرون الخط الايجابي الذي صمد على مرّ العصور والظروف وواصل نموه كمياً ونوعياً، وها هو يعطي ثماره تياراً اسلامياً قوياً في الأمة يمهّد لانتصار الاسلام الكبير الموعود .. هل بنوا حالتهم النفسية من مكونات اسلامية؟ كلاً.

وأولئك المتشائمون الذين يندبون الزمان وأهله و يقرؤون العزاء على واقع المسلمين، ثمَّ يقعدون و يثبّطون الناس عن العمل، بل يشتغلون في انتقاد العاملين وعرقلة عملهم .. هل بنوا حالتهم النفسية بمصادر الاسلام ومكونات الحالة النفسية فيه ؟ كلاً.

إنَّ النزعة المتشائمة التي لا ترى الخير الذي في الأمة ولا تأمل بنصر الله تعالى إنّها هي ناتجة من ضغط مفاهيم الثقافة الغربية والسيطرة الكافرة، ومن التخلّف والشعور بالصغار الذي يركزه في نفوسنا الغربيّون، وصاحب هذه الحالة غربي الروحية حتى لو كان بزّي علماء المسلمين، أو كان من أريافنا البعيدة عن الشريحة الاجتماعية المتغربة الموجودة عادة في العواصم والمدن.

لقد آن لنا في عصر الاسلام والشعوب أن نتخلص من رواسب الحملة الغربية على «روحيات وعواطف الشرقيين» أي على البناء النفسي للمسلمين، وأن نبني روحية جماهيرنا بناء اسلامياً كاملاً .. وقد آن لعلماء المسلمين أن ينهضوا بهذه المسؤولية التي هي من صلب العمق العلمي والفقهي، ومن أولى المسؤوليات.

إنَّ عقيدة «حتمية تحقّق بشارة النبي (ص) بظهور القائد المظفر والخليفة والامام المهدي وظهور الاسلام على أرجاء المعمورة» يجب أن تهزّ أعماق قلوبنا بلهفتها وفرحتها وحرارتها، وتدفعنا لأن ننشرها بين جماهيرنا ونلهج بها، ونرفع لها الشعارات ونبتكر لتركيبتها الوسائل، حتى تمتلئ قلوب شعوبنا شوقاً وأملاً وعملاً الى لقاء قائدها المؤيّد عليه السلام.

قد يقول البعض: نعم إنّ لإحياء هذه العقيدة الإسلامية تأثيرات هامة وبركات كثيرة على سيكولوجية شعوبنا، خاصة ونحن نواجه هجمة

شرسة من أعدائنا وحالة صغار في حكامنا.. ولكن لها تأثيراً سلبياً هو الإفراط في التفاؤل، وهذا قد يساعد الجماهير في تحقيق أهداف وانتصارات، ولكن مردوده في النهاية الإحباط وخيبة الأمل.

لانطيل في الردّ على ذلك بالتحليل التاريخي النفسي وماحقته هذه العقيدة من زخم إيجابي في صناعة التاريخ وتصحيحه ولا تزال.. ولكن نستدلّ بأصل أمر الله عزّوجلّ لرسوله (ص) بتبليغ هذه البشارة.

إنّه تعالى يعلم أن بعث الأمل بانتصار الإسلام في العالم على يد المهدي عليه السلام سينتج عنه في المسلمين حالة توقع نفسية كثيراً ما تكون مفرطة في التفاؤل.. ومع ذلك أمر رسوله (ص) أن يبلغ هذه البشارة ويركزها في نفوس المسلمين، وما ذلك إلاّ لأنّه لا ضرر من حصول هذا التفاؤل، بل هناك ضرورة لتحقيق هدفين أساسيين من تبليغ النبي (ص) للبشارة بالمهدي عليه السلام، أولهما: تحذير المسلمين من الإنحراف مع موجة الإنحراف العامّة التي ستحدث. وثانيهما: بعث الأمل في نفوس المسلمين بانتصار الاسلام مجدداً وظهوره على الدين كلّه..

(٣)

وأول ماينبغي للباحث في أحاديث البشارة النبويّة أن يميّز بين صفات آخر الزمان الذي منه عصر ظهور المهدي عليه السلام وبين صفات وردت عن النبي (ص) والأئمة عليهم السلام لأزمته وعصور أخرى سوف تأتي على الأئمة.. فإنّ مجرد قول النبي (ص) سيأتي على أمّتي زمان يكون فيه كذا، لا يدلّ على أنّه آخر الزمان ما لم يوجد نصّ أو قرينة تحدّد

ذلك. وأن يفرّق كذلك بين العلامات والصفات العامة لآخر الزمان، والأحداث القريبة المتصلة بظهور المهدي عليه السلام.. فن الممكن للباحث أن يصل الى الاطمئنان أو القطع بأن هذا الزمان هو آخر الزمان بسبب مجموع الصفات والعلامات الواردة عن النبي (ص) وانطباقها بصورة كلية أو تفصيلية على الواقع، ولكن كيف يمكن أن يحكم أن آخر الزمان فترة محدّدة بخمسين سنة أو بقرن واحد مثلاً، وما يمنع أن تكون عدة قرون؟

وكذلك لا يكفي انطباق الصفات العامة لآخر الزمان لكي نحكم أن هذا القرن، أو نصف القرن -مثلاً- هو عصر الظهور بل لا بدّ من انطباق الأحداث المحددة التي ورد النصّ على أنها قريبة نسبياً من الظهور، وعلى ذلك اعتمدنا في هذه التسمية لعصرنا. ومن البديهي أن تطبيق الحدث المنصوص على الحدث الواقع لا بدّ أن يكون علمياً مقنعاً، سواء من جهة وضوح النصّ ووضوح الحدث، أو من جهة نفي احتمال أن يكون الحدث قدمضى أو سوف يأتي.. الخ.

وهكذا نجد أحاديث البشارة النبوية تتسلسل في تحديد الفترات الزمنية وأوصافها وأحداثها كالتالي:

١ - عصور وأزمان مطلقة، أخبر النبي (ص) أنها ستأتي على الأمة من بعده ولم يسمها آخر الزمان، ووصف فيها جوانب من حالة الأمة وظروفها المحيطة.

٢ - آخر الزمان، وقد تضمّنت أحاديثه بالإضافة الى الأوصاف العامة لحالة الأمة وظروفها المحيطة أحداثاً معينة زيادة عمّا ذكر من صفات وأحداث العصور المطلقة.

- ٣ - عصر الظهور، وقد حدّد له (ص) صفات عامة وأحداثاً معيّنة.
- ٤ - سنوات الظهور، ويزداد في أحاديثها تحديد الأحداث والإرهاصات.
- ٥ - سنة الظهور، وتحدّد أحاديثها أحداثاً مفصلة تحديداً دقيقاً، خاصة في النصف الثاني منها ابتداءً من خروج السفياي في رجب، الى النداء في رمضان .. الى قتل النفس الزكية في ٢٥ ذي الحجة .. الى ظهور المهدي عليه السلام في اليوم التاسع والعاشر من شهر محرم.
- ٦ - عصر أو عصور الدولة الاسلامية العالمية بقيادة المهدي عليه السلام.
- ٧ - علامات وارهاسات القيامة، مثل خروج الدابة من الأرض تكلم الناس .. والنار التي تخرج من عدن وغيرها فتسوق الناس الى المحشر .. الخ.
- والأحاديث التي وصفت عصوراً وأزماناً ستأتي على الأمة قد تبلغ المئات .. بينما الأحاديث التي وصفت آخر الزمان بهذا الاسم، أو بما يدل عليه لا تتعدى العشرات، مثلاً في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف» الذي يشمل تسعة مصادر هي الصحاح الستة مع مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد، نجد في مادة «زمن» حوالي ثلاثين حديثاً منها أكثر من عشرين عن أزمان مطلقة تأتي على الأمة، وأقل من عشرة أحاديث عن آخر الزمان.
- وأما الأحاديث التي تصف أحداثاً قريبة يمكن بواسطتها أن تحدّد عصر الظهور، أو تلك التي تصف أحداث سنوات الظهور وبالأخص سنة الظهور فهي كثيرة تبلغ المئات، والأحداث التي وصفتها تبلغ العشرات.

وكذلك فإنَّ الأحاديث التي تصف أحداث قيام الدولة الإسلامية العالمية وازدهارها وامتدادها الى علامات القيامة وارهاساتها .. تبلغ العشرات.

(٤)

وكما هو الحال في أيِّ بحثٍ روائي تاريخي سيواجه الباحث عدة مشاكل، منها: الأحاديث الموضوعة بسبب محاولات استغلال البشارة النبوية الشريفة منذ صدر الاسلام وعلى مرَّ العصور تقريباً. وأكثرها تأثيراً في ذلك محاولات الحسينين والعباسيين في قضية رفع الرايات السود في خراسان، وتسمية كل من ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ومحمد بن المنصور بـ«المهدي» وتسمية محمد بن عبدالله بن الحسن بالنفس الزكية.

وسبب آخر في وجود الأحاديث الموضوعة هو قابلية الموضوع للوضع والأسطورة، فإنَّ الجانب الغيبي والإعجازي والمستقبلي في هذه البشارة المقدسة قد استهوى بعض ذوي الخيالات ممَّن لادين لهم، فكذبوا على رسول الله (ص) وعلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأضافوا من ظروف عصرهم وأهوائهم أو من الإسرائيليات عدداً من الروايات، وقد ذكر علماء الحديث عدداً من الأحاديث الموضوعة في ما يتعلق ببشارة النبي (ص) بالمهدي عليه السلام منهم ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات) والذهبي في (ميزان الاعتدال) وابن عراق في (تنزيه الشريعة) وأخيراً المحدث الألباني في كتابه (الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة).

ومنها مشكلة الخلط بين الفترات الزمنية وبين أحداثها خلطاً كثيراً لم يقتصر على المؤلفين في البشارة، بل شمل بعض الرواة أنفسهم فأصبحت مادة الرواية مشوشة ومشوهة في بعض الحالات. ومنها: مشكلة تطبيق الأحداث الواردة على أحداث ماضية أو حاضرة.. الخ.

ومن نافلة القول أن وسيلة الإثبات لدى الكاتب في مثل هذا البحث تختلف عنها في البحث الفقهي لعدم إمكان الاعتماد على قاعدة حجية خبر الواحد هنا لخروج البحث غالباً عن دائرة هذه الحجية الشرعية المحددة بالمنجزية والمعدرية أي بتنجز التكليف وتعذير المكلف، بل يتعين على الباحث أن يعتمد وسيلة إثبات مركبة ومعقدة هي تجميع القرائن العامة والخاصة في عملية من التتبع والمحكمة والاستنتاج كثيراً ما تكون دقيقة وشاقة.. يفتح الله بها على من يشاء من عباده أبواباً من الهداية ويبقى الباب مفتوحاً لمزيد من البحث والهداية الإلهية. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

الفصل الاول

دراسة أولية لعلامات الظهور

دراسة أولية لعلامات الظهور

يتردد القارئ أو الباحث في علامات ظهور المهدي عليه السلام طويلاً بين الرغبة والتلهف الذي يلح عليه وعلى المسلمين، وبين منهج التثبت الذي تمليه عليه التقوى وأمانة البحث.. ففي هذا الحشد المتنوع من الروايات يلمس حيناً نور الوحي وصدقه فيخشع لله تعالى الذي أطلع رسوله (ص) على شيء من غيبه فوصل إلينا.. ويلمس حيناً التناقض والوضع والسجع المفتعل.. وحيناً آخر يحس بشيء من نور وأثارة من علم، وعليه أن يجد طريقه إليها بين طبقات الأصداف وظلمات التحريف والتخليط من بعض الرواة.

فن الرواة من وعى وحفظ الأمانة وأدأها. ومنهم من وسوس له الشيطان أن يحرف الحديث أو يختلقه فكذبوا على النبي (ص) والأئمة عليهم السلام فأهلكوا أنفسهم وأتعبوا من بعدهم أعاذ الله المسلمين من شرهم.

وجاء المؤلفون في هذا الموضوع فقام بعضهم بإجلاء بعض الجوانب وإلقاء عدد من الأضواء جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً. وجاء بعضهم كحاطب ليل، كأنما أشرب حبّ التخليط، يقبل كلّ ماروي، ويعمل لاقتناعك به، ويتعسف الجمع بين متضاده ومتناقضه وهيئات.. أو يطبق العلامات على أحداث عصره بتفسيرات لا سند لها إلاّ الإحتمال المطلق، وكأنّ العلامات كلّها تخصّ عصره وما بعده بسنوات وليس منها علامة تحققت في الماضي الطويل أو تحييء في المستقبل البعيد. وقد أصبح من المتعارف في الكتب المتأخرة عدّ الصفات العامة لعصر ما بعد النبوة في علامات الظهور، وعدّ علامات الساعة والقيامة في علامات الظهور، حتى أن بعضها ينصّ على أنه من علامات الساعة ويعده بعضهم في علامات الظهور ويفسر الساعة بساعة الظهور! مع أنّ مصطلح «الساعة» في نصوص الإسلام يعني القيامة بدهاء.

من أجل ذلك فإنّ الدراسة الكاملة لعلامات الظهور تحتاج الى مزيد من التتبع والدقة والمقارنة.

وفي هذا البحث الأولي عن المهدي عليه السلام أقدم فهرساً أولياً لأهمّ العلامات مع بعض الملاحظات حولها.

شخصيات ذكرت في علامات الظهور

١ - نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وأحاديثه كثيرة صريحة متواترة في مصادر الشيعة والسنة، وأصل نزوله عليه السلام موضع إجماع المسلمين. ويذكر المفسرون هذه الأحاديث عادةً في تفسير قوله تعالى:

«وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدَاءً»
النساء-١٥٩. وفي أحاديث الفتن وأشراف الساعة.

وتُجمع الأحاديث على أن وقت نزوله يكون بعد ظهور المهدي عليها السلام وأنه يصلي خلف المهدي، وعليه فعّد نزوله من علامات الظهور مبني على التسامح وشمول العلامات لما كان من آيات ودلالات ربانية قبل الظهور وأثناءه وبعده.

٢ - النفس الزكية وأبنا عمّه، والأحاديث فيهم من مصادر الشيعة كثيرة تبلغ حدّ التواتر، وتعدّ هذه العلامة من المحتومات الخمس. وأحاديثها من مصادر السنة أقلّ ممّا في مصادر الشيعة ولكثتها عديدة، وقد ورد في بعض هذه الأحاديث أنّه حسني وفي أكثرها أنّه حسيني وأن اسمه محمّد ابن الحسن وأن ابني عمّه أخ وأخت إسمهما محمد وفاطمة، يفرّون من جيش السفلياني من العراق ويدخلون المدينة، فيقبض الظالمون على ابن عمّه وأخته ويقتلونها ويصلبونها في المدينة المنورة ويفرّ هو الى مكة فيقتلونه ظلماً وعدواناً بغير ذنب في الخامس والعشرين من ذي الحجّة الحرام في المسجد الحرام بين الركن والمقام، وليس بين قتله وظهور المهدي عليه السلام إلاّ خمس عشرة ليلة.

٣ - ستة أشخاص، ورد ذكرهم في أحاديث رايات المشرق وخراسان، هم: رجل يخرج من قم. والخراساني الحسيني ويعبر عنه في مصادر السنة بالهاشمي. والسيد الأكبر. وشعيب بن صالح قائد قوات الخراسانيين، وقائد قوات المهدي عليه السلام. والسيد الجيلاني الذي يعاون شعيباً بن صالح. والهاشمي الذي يقصد بيت المقدس فلا يبلغه.
والأحاديث في الخراساني وشعيب كثيرة متواترة من مصادر السنة

والشيعة، كما ورد ذكر السيد الأكبر عند الطرفين أيضاً. أمّا الثائر من قم وأصحابه والمتحرك من جيلان (جيلان) فقد ورد ذكرهما في مصادر الشيعة خاصة - في حدود اطلاعي -.

وسياتي ذكر الجميع في موضوع المهديين للمهدي عليه السلام إن شاء الله تعالى وأنّ المرجح أن يكون السيد الأكبر والثائر من قم شخصاً واحداً.

٤ - اليماني، أحاديثه من مصادر الشيعة متواترة وقد عدته من المحتومات الخمس وأنه يظهر في اليمن قبل السفياي، أو مقارناً له، وأنه يدعو إلى الحقّ وتجب اجابة دعوته، وأنه يتوجه إلى العراق وسوريا ويشارك مع الخراساني في قتال السفياي، وأنه من ولد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

وربما كانت رواية «بِخُرُجِ مِنَ الْبَيْتِ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا كَرْعَةٌ» كما في البحار ج ٥٢ - ص ٣٨٠. واردة فيه ثمّ نسبت اشتبهاً إلى المهدي عليه السلام، كما قد يكون هذا اليماني هو المقصود بحديث «بِخُرُجِ مَلِكٍ بَصْنَعَاءَ إِسْمُهُ حَسَنٌ أَوْ حُسَيْنٌ».

ووردت فيه في مصادر السنة أحاديث قليلة. ومما يساعد على القول بصحة هذه العلامة حتى لو لم تكن أحاديثها متواترة عدم وجود قرائن منافية أو ظروف سياسية توجب الشك في صحتها. وتفسيرها بمن ظهر من الزيديين في اليمن لا يتفق مع نصوص أحاديثها الصريحة في اتصال حركته بظهور المهدي عليه السلام.

٥ - السفياي، وأحاديثه كثيرة متواترة من مصادر الشيعة والسنة، وقد تضمن الكثير منها تفاصيل خروجه في دمشق وحركته في سوريا والعراق وأطراف إيران والحجاز والقول بأن أحاديثه من وضع الأمويين لكي يقابلوا بها أحاديث المهدي الصحيحة.. جنوح في الإحتمال

وإغماض عن مئات الأحاديث الشريفة عند المسلمين. نعم نجد الاتجاه الأموي وراء وضع أحاديث مدح السفياي وأنه يسلم الأمر للمهدي!

٦ - تسعة أشخاص ورد ذكر أربعة منهم في تحرك السفياي، وهم، الأصهب أي الأحمر شعر الرأس، والأبقع أي الأبرص، والربيعي والجرهمي، يعارضون السفياي فيقتلهم جميعاً. وورد وصف الأصهب بالعلج وهي صفة للكفار من غير العرب. والخمسة الآخرون هم: الهجري، والعطفي، والرقطي، والرواني، والشيصباي، ورد ذكرهم في روايات متفرقة أنهم يخرجون قبل ظهور المهدي عليه السلام، وأن الشيصباي يخرج في العراق.

وقد ورد ذكر الأبقع والأصهب في أحاديث السفياي في مصادر السنة، وورد ذكر الباقيين في مصادر الشيعة خاصة - في حدود اطلاعي -.

٧ - عبد الله آخر من يحكم الحجاز، وردت أحاديث عديدة في مصادر السنة والشيعة تكاد تكون متواترة بأن ظهور المهدي عليه السلام يكون على أثر موت حاكم أو ملك أو خليفة واختلاف على من يكون بعده وحصول أحداث داخلية وفراغ سياسي في الحجاز.. وقد تفردت مصادر الشيعة بمحدثين في حدود اطلاعي فيها تفصيل عن هذا الحاكم: أحدهما عن الامام الصادق عليه السلام قال «مَنْ يَضْمَنَ لِي مَوْتَ عَبْدِ اللَّهِ أُضْمِنَ لَهُ الْفَاتِمَ، أَمَّا إِنَّهُ إِذَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَجْتَمِعِ النَّاسُ بَعْدَهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَمْ يَتَنَاةَ هَذَا الْأَمْرُ دُونَ صَاحِبِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَذْهَبَ مَلِكُ السِّنِينَ وَيَصِيرُ مَلِكُ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ. قَالَ أَبُو بَصِيرٍ فَقُلْتُ: يَطْلُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا»^١.

والحديث الآخر عن الإمام الباقر عليه السلام «يَمُوتُ سَفِيهَةٌ مِنْ آلِ (الْعَبَّاسِ) يَكُونُ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ يَنْكُحُ خِضْباً فَيَقُومُ فَيَذْبُحُهُ وَ يَكْتُمُ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَإِذَا سَارَتِ الرُّكْبَانُ فِي ظَلَبِ الْخِصْيِ لَمْ يَرْجِعْ أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ (إِلَى آخِرٍ مَنْ يَخْرُجُ) حَتَّى يَذْهَبَ مُلْكُهُمْ»^١.

أما الحديث الأول فواضح الصلة بظهور المهدي عليه السلام، وأما الثاني فالظاهر أن المقصود بالسفيه هو عبدالله المذكور ولعل أصل الحديث «يموت سفيه من آل (فلان)» وليس من آل العباس ولكن الراوي سمى آل العباس لأنه تصور أن الإمام عليه السلام استعمل الكناية عنهم.. وتوجد قرائن أخرى في الأحاديث عن الحجاز تصلح للربط بين الحديثين.

٨ - الدجال الأعور، وأحاديثه في مصادر السنة كثيرة جداً، وفي مصادر الشيعة قليلة، وتتفق تقريباً على أنه من علامات الساعة، وأنه مولود وموجود منذ عهد رسول الله (ص) وأنه يستعمل عجائب السحر فيغري أتباعه، ويضلهم ويدعي الربوبية، وأن المهدي والمسيح عليهما السلام يقاتلانه. وتتضمن أحاديثه غرائب غير مألوفة تحيط بشخصيته وحركته وأفعاله.

وأقوى الاحتمالات في أمره أن يكون شخصاً حقيقياً يستغل التطور الذي تصل إليه العلوم الطبيعية في ظلّ الدولة الإسلامية بقيادة المهدي عليه السلام في أساليب من السحر، كما يستغلّ ردة الفعل السلبية للرفاهية العامة التي يعيشها الناس فيغري أتباعه بالحرّمات والإباحية

و يلبس عليهم بالسحر والشعوذة. وعلى هذا فإن الطابع الأسطوري الذي تتصف به أحاديثه يكون له أساس من الصحة. وان أضاف عليه بعض الرواة.

و يليه في القوة أن يكون الدجال هو الشيطان أبلّيس الذي طلب من الله تعالى أن ينظره الى يوم يبعثون فأجابه عز وجل «فإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ» وقد ورد أن قتله في يوم الوقت المعلوم يكون على يد المهدي عليه السلام.

و يوجد احتمال آخر أن يكون الدجال نفس السفيايى وقد وقع التضخيم في أوصافه وأحاديثه، وقد ذكرت بعض الروايات أن السفيايى يبدو أعور وليس بأعور.. ولكن يبقى هذا الاحتمال ضعيفاً لأنّ أكثر الصفات الواردة في الدجال لا تنطبق على السفيايى، ومنها ادعاء الربويّة وعجائب السحر.

وا احتمال آخر: أن يكون الأعور الدجال أو الدجال تعبيراً مجازياً عن اغراء الحضارة المادية الكاذبة المزيفة، أو اغراء الدنيا ورفاهيتها الكاذبة.. وهو أيضاً ضعيف لصراحة الأحاديث بأنّه شخص حقيقي من نوع خاص يقود حركة عسكرية واضلالية في آخر الزمان.

و ينبغي التحرّز في بحث أحاديث الدجال من أمرين أحدهما: أن غالبية أحاديثه تقريباً عن كعب الأخبار. والثاني: أن من عقائد اليهود أن المسيح المنتظر عندهم يقتل الدجال.

ومن طريف ما اطلعت عليه كتابان للدكتور مارسيل حدّاد أحد القساوسة اللبنانيين يحاول فيها اثبات أنّ الأعور الدجال هو اسرائيل ويشرح في أحدهما سفر الرؤيا من التوراة، ويفسّر في الثاني أحاديث

النبي (ص) في شأن الدجال بأنها تقصد اسرائيل.

٩ - ادعاء مئة شخص للنبوّة وادعاء عدة أشخاص للمهدية وخروج زنديق بقزوين، ورد فيها بعض أحاديث في مصادر الشيعة. وإذا صحّ أنّها من علامات الظهور فيمكن أن تكون قد تحققت. فالذين ادّعوا النبوّة منذ مسيلمة الكذاب أو منذ صدر الاسلام الى الآن كثيرون قديريدون على المئة، وقديكون رقم المئة من باب التكثير. والذين ادّعوا المهدية منذ ادعاها المختار محمد بن الحنفية، الى موسى بن طلحة بن عبيد الله المعاصر للمختار، مروراً بالحسنين، والعباسيين، والفاطميين والهنود، والسودانيين، والبهائيين.. الى جهيمان والقحطاني.. أكثر من خمسة عشر شخصاً^١. أمّا زنديق قزوين فقد ورد في بعض الأحاديث أنّه من جملة مدّعي النبوّة.

و ينقل عن رضاخان بهلوي أنّه عندما أراد أن يطبق على ايران الخطة الكافرة التي طبقها أتاتورك في تركيا فأجبر المسلمات على السفور فقاومه العلماء أنّه قال: أوليسوا يروون أنّه يخرج زنديق من قزوين فيهلك ستورها، فأنا ذلك الزنديق!

١٠ - المغربي والمصري، وردت فيها أحاديث قليلة، فهم منها بعضهم أنّها صاحباً حركتين تكونان قبل السفياي، وعدّهما في علامات الظهور، أمّا المصري ففيه حديث أو أكثر يقول «يَخْرُجُ قَبْلَ الشُّقْبَانِيِّ مِصْرِيٌّ وَيَمَانِيٌّ»^٢. فأمره محتمل، وأمّا المغربي فسيّضح ضعف كونه من علامات

١. أحصى أحد الفضلاء تسعة اشخاص ادّعت لهم المهدية أو ادّعواها منذ القرن الاول الى المهدي العباسي .

٢. بحار الانوار ج ٥٢ - ٢١٠.

الظهور في تحرك المغربيين والمصريين الآتي إن شاء الله تعالى.

١١ - عوف السلمي، ورد فيه حديثان أو أكثر أحدهما عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليها السلام قال «يَكُونُ قَبْلَ خُرُوجِهِ» أي المهدي عليه السلام «خُرُوجَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَوْفُ السَّلْمِيِّ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ يَكُونُ مَاوَاةَ تَكْرِيتَ (أو كريت أو كويت) وَقَتْلُهُ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ ثُمَّ يَكُونُ خُرُوجُ شُعَيْبِ بْنِ صَالِحٍ». ١. والأرجح أن المقصود بأرض الجزيرة المنطقة الواقعة عند ملتقى الحدود العراقية السورية التركية فهي التي تسمى بلاد الجزيرة أو الجزيرة مجردة، أمّا جزيرة العرب فلا تستعمل مجردة منذ صدر الاسلام إلاّ مع وجود قرينة تدلّ عليها. وعلى هذا تكون تكريت أقرب الى هذه المنطقة من كريت أو كويت، ولا يكون في النص ما يدلّ على علاقة عوف هذا بالبصرة أو بصاحب الزنج الذي ظهر في القرن الثالث. وفي حدود استقصائي لم أجد ثائراً باسم عوف السلمي، فيكون احتمال صحة العلامة باقياً.

أقوام ورد ذكرهم في علامات الظهور

ورد في أحاديث الظهور ذكر تحركات عسكرية وسياسية مختلفة، لأقوام عديدين، ومناطق واسعة، تكاد تشمل كل العالم، وأهمّها:

- تحركات الترك
- تحركات الروم
- تحركات العرب
- تحركات العجم (الإيرانيين)

تحركات أقوام شرق آسيويين

تحركات اليهود

وبالنظر السطحية الى هذه المجموعات من الأحاديث التي تشترك في روايتها بشكل عام مصادر الشيعة والسنة وان كانت عند الشيعة أكثر تداولاً.. قديقبل القارئ أو الكاتب هذه الأحاديث على أنها علامات سوف تأتي ويبحث لها عن تفاسير من الخريطة السياسية الحاضرة أو المستقبلية لهؤلاء الأقوام وهذه المناطق.

مثلاً يفسر حديث «نَفَرُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى مِصْرَ» بالمسيرة الشعبية الليبية التي توجهت الى مصر لفرض الوحدة بين البلدين.. الخ.

ولكن ماذا يصنع اذا وجد أن هذه النصوص تصف تحركات قد حدثت من هؤلاء الأقوام وفي نفس تلك المناطق، بل وبنفس التفاصيل في بعض الأحيان.. مثلاً يجد حركة الفاطميين من المغرب الى السودان الى مصر الى الشام.. وتهديدهم للعراق.. حرفياً في أحاديث علامات المهدي! وتحركات زحف المغول (الذين كان يسميهم العرب: الترك المغول أو الترك) أيضاً في أحاديث علامات المهدي في مثل أحاديث «يخرج قوم من الشرق فيقتلون المسلمين . يتغلبون على خراسان. يستبيحون بعض مناطق العجم. يفتحون العراق. تكون بحلب موقعة رهيبة. يهاجمون دمشق».. الخ. إنها حركة الغزو المغولي حرفياً، فكيف نعدّها من علامات الظهور ونفسرها بتحرك تركي سوف يكون في المنطقة؟!!

وكذلك تتضمن هذه الأحاديث خطوطاً واضحةً من تحركات الروم والمسلمين في حركة صراعهم الطويلة، ومن تحركات الإيرانيين داخل

ايران وخارجها، وتتضمن معالم الصراع السياسي وأحياناً العسكري داخل الدولة الاسلامية بين العرب والموالي (حركة القومية والشعبية). وهذه الملاحظة قديصل الباحث الى نتيجة بسيطة هي أن هذه الأحاديث إما أن تكون مكذوبة وضعت بعد وقوع الأحداث التي وصفتها، أو أنها صحيحة صادرة عن النبي (ص) والأئمة عليهم السلام لوصف هذه الأحداث فقط، وفي أحسن الحالات تكون علامات بعيدة لظهور المهدي عليه السلام، ولكنها ليست بأي حال من علامات عصر الظهور لأنها تحققت منذ قرون طويلة.

ولكن هذا التبسيط لا يحل المشكلة أيضاً، لأن عدداً من أحاديث هذه التحركات تأبى التفسير بالماضي، مثلاً أحاديث أن الروم أي النصارى سوف يتغلبون على الأرض، وأن المهدي عليه السلام سوف يقاتل بعضهم. وأحاديث قتال المسلمين لليهود بعد أن يكون لليهود وجود عسكري، ويكشفون جانباً من هيكل النبي سليمان عليه السلام، وأن المهدي عليه السلام يستخرج لهم التوراة من جبل بفلسطين ويحاجهم بها ويقاتلهم. وأحاديث رايات المشرق وخراسان المهتدة للمهدي التي لا تنطبق على تحركات الإيرانيين الماضية.. وغير ذلك من الأحاديث التي تنص على أنها علامات لعصر الظهور وسنة الظهور وليس فيها أثر من التحركات الماضية؟؟

الذي أطمئن اليه في هذه الأحاديث أن قسماً منها صحيح فعلاً لروايته وتداوله بين المسلمين قبل حدوث التحركات التي وصفتها، فتكون من دلائل صدق نبوة رسول الله (ص) ولكن لا علاقة لها من قريب ولا بعيد بعلامات عصر الظهور وإنما حشرها المؤلفون حشراً في

الموضوع من دون قرينة على صلتها به، أو أن الوضاع أضافوا لها ربطاً بالظهور افتراء على النبي (ص) والأئمة عليهم السلام. والقسم الأقل منها هو من حديث علامات عصر الظهور، ويصح أن يبحث تحت هذا العنوان، وهو بنظري: أحاديث حركة المسلمين واليهود، وقسم من أحاديث حركة الروم، وقسم من أحاديث حركة العرب، وقسم من أحاديث حركة العجم، وقليل من أحاديث الترك. وأمّا أحاديث المغربيين فينبغي الأخذ بعين الاعتبار عند بحثها أن حركة الفاطميين الاسماعيليين كانت في أواخر القرن الثالث الهجري أكبر خطر داخلي هدد الخلافة العباسية، وقد ترك هذا الانقسام والصراع بين شطري الدولة الاسلامية الشري والغرني آثاراً كبيرة على المسلمين من أبسط مظاهرها أنه كان يعبر أول الأمر عن الفاطميين بالعلويين أو الفاطميين، ولكن العباسيين بنوا الطعن في نسبهم وأشهدوا على ذلك قضاة وفقهاء فلم يعد أحد في مشرق الدولة الاسلامية يجرؤ أن يسمي الخليفة الفاطمي بالعلوي أو الفاطمي بل انتشرت تسمية (الغرني) أي الخارج عن الخلافة العباسية في المغرب أو حاكم المغرب الإسلامي.. وهذه هي كلّ قصة الغرني الذي تحول الى شخصية من علامات ظهور المهدي عليه السلام. إن قراءة مجملته لحركة الفاطميين ولأحاديث «ظهور الغرني» تكفي للإطمئنان بعدم علاقتها بعصر الظهور، وإن كان الكثير منها كما أشرنا من معجزات النبي (ص)، وما أخبر به من الملاحم والأحداث الآتية لأنه كان مروياً ومدوناً قبل حركة الفاطميين المغربيين بقرن أو أكثر.

ويمتد التأثير السلبي لأحاديث المغربيين في علامات الظهور الى

الأحاديث التي يرد فيها ذكر المغرب والمشرق أو الغرب والشرق، فهي تحتاج الى تحقيق المقصود منها هل هو شرق الأرض وغربها أو شرق الدولة الاسلامية وغربها، وكذلك تعبير الشرقيين والغربيين وأهل الشرق وأهل الغرب. من أجل ذلك وجب أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الواقع التاريخي في أحاديث المغربي وكذلك واقع غزو التتار في الأحاديث المتعلقة بالأترك أو الترك. وهذا المقياس لا يبقى لدينا منها إلا القليل.

الآيات السماوية

١- النداء من السماء، ويسمى في الأحاديث الشريفة أيضاً: الصوت، والصيحة.

وأحاديث هذه العلامة في مصادر الشيعة كثيرة متواترة وتعدّه أحد المحتومات الخمس (اليماني، والسفياني، والنداء، وقتل النفس الزكية، وخسف البيداء)^١ وأنه يكون في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في سنة ظهور المهدي عليه السلام على أثر خوف عام يشمل الناس بسبب الحرب، يسمعه أهل الأرض كلّ قوم بلغتهم فيذهلون له، يبشروهم بظهور المهدي، يسميه باسمه واسم أبيه و يدعوهم الى بيعته، وأن قضية المهدي بعد النداء تصبح الشغل الشاغل للناس.

وفي مصادر السنة ورد في هذه العلامة عدة أحاديث أيضاً، قسم منها يوافق ماورد في مصادر الشيعة، وأكثرها يذكر أن النداء يكون من ملك يسير في غمامة مع المهدي يقول «هَذَا الْمَهْدِي فَاتَّبِعُوهُ» أو «هَذَا الْمَهْدِي خَلِيفَةُ

١. كما وردت بذلك الاحاديث وكما عدها النعماني في كتاب الغيبة ص ٥١.

اللَّهِ فَاتَّبِعُوهُ».

من أحاديث النداء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ هَمْدَانَ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَوْلَاءِ الْعَامَّةِ يُعَيِّرُونَنا وَيَقُولُونَ لَنَا: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ مُنَادِيًا يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ بِاسْمِ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ! وَكَانَ مُتَكِنًا فَعَضِبَ وَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: لَا تَرَوْهُ عَنِّي وَارَوْهُ عَنِّي وَأَبِي وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ حَيْثُ يَقُولُ «إِنْ نَشَاءُ نُنزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا حَاضِعِينَ»^١.

وَعَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ فَقَالَ: إِنِّي نَادَيْتُ: يَا سَيْفُ بْنُ عَمِيرَةَ لَا بُدَّ مِنْ مُنَادٍ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ أَبِي طَالِبٍ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَوْي هَذَا! قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَسَمَاعِ الْأُذُنِيِّ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مَا سَمِعْتُهُ قَبْلَ وَفْتِي هَذَا. قَالَ: يَا سَيْفُ، إِنَّهُ لَحَقٌّ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَتَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُ، أَمَا إِنَّهُ يَدَاءُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمَّنَا. فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا سَيْفُ، لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ يُحَدِّثُنِي بِهِ وَلَوْ يُحَدِّثُنِي أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مَا قَبِلْتُهُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ»^٢.

وَعَنِ النَّبِيِّ (ص) «إِذَا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَقْوَامِ النَّاسِ، يُشْرَبُونَ ذِكْرَهُ فَلَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ»^٣.

١. بحار الأنوار ج ٥٢ - ص ٢٩٢.

٢. الإرشاد المفيد ص ٤٠٤.

٣. كتاب الفتن لنعيم بن حماد ص ٩٢ (مخطوطة) ورواه في بشارة الإسلام عن الملاحم للمناوي.

٢- طلوع الشمس من مغربها، وردت هذه العلامة في عدة أحاديث في مصادر الشيعة والسنة. ولكن أكثر الأحاديث التي في مصادر السنة وقسماً منها في مصادر الشيعة تذكر أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة أي القيامة، وهو المرجح عندي.

أمّا الرواية التي تقول عن المهدي عليه السلام «وَهُوَ الشَّمْسُ الظَّالِمَةُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^١ فلا تصلح أن تكون قرينة على أن المقصود بطلوع الشمس من مغربها في هذه الأحاديث المعنى المجازي أي طلوع شمس الإسلام بعد غيابها أو طلوع المهدي عليه السلام بعد غياب.. فان صراحة أحاديث طلوع الشمس من مغربها تدلّ على أن المقصود هو المعنى الحقيقي للشمس وللطلوع.

٣- الكسوف والخسوف في غير وقتها، وردت فيه بضعة أحاديث في مصادر الشيعة وبعض أحاديث في مصادر السنة، وتتفق على أنها يكونان في شهر رمضان بعد الصيحة، وأن ذلك لم يكن منذ هبط آدم ومنذ خلق الله السموات والأرض.. وتختلف هذه الأحاديث في تحديد يوم حدوث هاتين الآيتين.

٤- علامات أخرى في الشمس، وردت في روايات متفرقة في مصادر الشيعة وروايات قليلة في مصادر السنة، مثل: ذهاب نور الشمس من طلوعها الى ثلثي النهار، وتوقفها من الزوال الى الغروب، وظهور وجه انسان وصدرة في الشمس، وقد فسره بعضهم بالمسيح (ع) وظهور كفت أو يد في الشمس أو في السماء تشير: هذا.. هذا. وفي رواية

نعيم بن حمّاد عن أسماء «إنّ امارَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ كَفًّا مِنَ السَّمَاءِ مُدْلَاهُ يُنْظَرُ إِلَيْهَا مِنَ النَّاسِ»^١.

٥- ظهور حمرة تجلج آفاق السماء، وتبقى ثلاثة أيام. وردت فيها بعض أحاديث في مصادر الشيعة والسنة وفيها إجمال، ويبدو أنّ وقتها قبل ظهور المهدي عليه السلام بمدة لردع الناس عن معاصيهم كما ورد في أكثر من حديث.

٦- الكوكب المذنب، ورد أنه نجم يطلع في المشرق يضيء كما يضيء القمر، ثمّ ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه، وفي بعضها أن ذنبه يضيء فقط، وأنه يفرع العرب. ولا يفهم من رواياته المتفرقة التي وردت في مصادر الشيعة والسنة تحديد وقته، ويظهر أنّ هذا المذنب ليس كبقية المذنبات التي هي من آيات الله الكونية المتعارفة، بل له مواصفات خاصة فهمها المسلمون في صدر الاسلام فقد روى نعيم بن حمّاد في الفتن عن الوليد قال «رَأَيْنَا رَجْفَةً أَصَابَتْ أَهْلَ دِمَشْقَ فِي أَيَّامِ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ فَهَلَكَ نَاسٌ كَثِيرٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَلَمْ تَرَ مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَاهِيَةِ وَهِيَ الْخَسْفُ الَّذِي يُذَكَّرُ فِي قُرَيْبِهِ يُقَالُ لَهَا حَرَسْنَا، وَرَأَيْتُ نَجْمًا لَهُ ذَنْبٌ ظَلَعَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ مَعَ الْفَجْرِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَكُنَّا نَرَاهُ بَيْنَ يَدَيْ الْفَجْرِ بِقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ، ثُمَّ خَفِيَ، ثُمَّ رَأَيْنَاهُ بَعْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ فِي الشَّفَقِ وَبَعْدَهُ فِيمَا بَيْنَ الْجَوْفِ لِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، ثُمَّ خَفِيَ سَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. ثُمَّ رَأَيْنَا نَجْمًا خَفِيًّا لَهُ شُعْلَةٌ قَدَرُ الدَّرَاعِ رَأَيْتُ الْعَيْنَ قَرِيبًا مِنَ الْجَذْيِ يَسْتَدِيرُ حَوْلَهُ بِدَوْرَانِ الْفَلَكَ فِي جَمَادَيْنِ وَأَيَّامًا مِنْ رَجَبٍ ثُمَّ خَفِيَ. ثُمَّ رَأَيْنَا نَجْمًا لَيْسَ بِالْأَزْهَرِ ظَلَعَ عَنْ يَمِينِ قِبْلَةِ الشَّامِ مَاذَا سُئِلَتْهُ

١. الفتن لابن حماد ص ٩٣ (مخطوطة).

مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ إِلَى أُرْمِينَةَ، قَدْ كَرْتُ ذَلِكَ لِشَيْخٍ قَدِيمٍ عِنْدَنَا مِنَ السَّكَّاسِكِ
 فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بِالنَّجْمِ الْمُنْتَظَرِ. قَالَ الْوَلِيدُ: وَرَأَيْتُ نَجْمًا فِي سَنِيَّاتٍ بَقِيْنَ مِنْ سِنِيِّ
 أَبِي جَعْفَرٍ (المنصور) ثُمَّ انْقَدَّ حَتَّى التَّقَى ظَرْفَاهُ فَصَارَ لِيَطْوِقُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ
 الْوَلِيدُ: وَقَالَ كَعْبٌ هُوَ نَجْمٌ يَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَيَضِيءُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كِبَاضَةَ الْقَمَرِ
 لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ الْوَلِيدُ: وَالْحُمْرَةُ وَالنَّجْمُ الَّتِي رَأَيْتُهَا لَيْسَتْ بِالْآيَاتِ، إِنَّمَا نَجْمٌ
 الْآيَاتِ نَجْمٌ يَتَقَلَّبُ فِي الْآفَاقِ فِي صَفَرٍ وَفِي رَيْبَعَيْنِ أَوْ فِي رَجَبٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسِيرُ
 لِحَافَانِ بِالْأَنْرَاكِ تَتَّبَعُهُ رَوْمُ الظَّوَاهِرِ بِالرَّيَابِ وَالصُّلْبِ، قَالَ الْوَلِيدُ قَالَ: بَلَّغْنِي عَنْ
 كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: يَطْلُعُ نَجْمٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَبْلَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ لَهُ دُنَابٌ^١.

٧- كثرة الأمطار، ورد فيها عدة أحاديث في مصادر الشيعة وأن سنة
 ظهوره عليه السلام تكون سنة غيْدَاقَة كثيرة الأمطار، وأنَّ العلامات تختم
 بأربع وعشرين مطرة يرى أثرها وبركتها ويحيي بها الله الأرض فتخرج
 خيراتها.

وأحاديث هذه العلامة تحتاج مضافاً الى التحقيق العادي فيها الى
 ملاحظة اشكالين:

الأول: معارضتها بالأحاديث التي تذكر أن من علامات الظهور
 الجذب وقلة الأمطار.

الثاني: أن الأحاديث التي تحدّد الأربعين يوماً التي يتصل مطرها
 بأنّها تكون في جمادى والعشر الأوّل من رجب، تتعارض مع علامة النداء
 والكسوف والخسوف في رمضان، لأنّها لا تكون حينئذ خاتمة
 العلامات، وحملها على رجب من السنة الثانية ضعيف لأنّ ظهوره عليه

١. الفتن لابن حنبل ص ٦٠ (مختلطة).

السلام في محرّم فيكون مطر الأربعين يوماً بعد الظهور وليس ختام العلامات، ولا يبعد أن يكون هذا المطر المتواصل في جمادي ورجب بعد ظهوره عليه السلام وأن عدّه من علامات الظهور من باب التوسّع في التسمية كما في نزول عيسى عليه السلام.

الآيات الأرضية

٨- نار الحجاز، وفي هذه العلامة أحاديث متعددة في مصادر الشيعة والسنة، وأكثرها يحدّد مكانها في الحجاز بجبل الوراق أو بحبس سئل كما في مستدرک الحاكم ج ٤ - ص ٤٤٢ أو في وادي حسيل وهو كما يبدو من تصحيف النساخ عن حبس سئل. وقد ذكر الحموي في معجم البلدان أن حبس سئل إحدى حرّتي بن سُلَيْم. والحرّة منطقة صحراوية داكنة، وحرّة بني سليم قرب المدينة المنورة.

وبعضها تحدّد مكانها في واد بقعر عدن من حضرموت، أو تذكر أنّها بالمشرق دون تحديد. وأكثر أحاديث هذه العلامة الواردة في مصادر السنة تنص على أنّها من علامات الساعة، وبعضها تؤكد وقوعها قبل الساعة بشكل مطلق دون تحديد، كما في صحيح مسلم ج ٨ - ص ١٨٠ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ بِالْحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُضْرَى» أي يصل نورها الى مدينة بصرى قرب الشام، ويوافق هذه الأحاديث بعض ما في مصادر الشيعة من أنّ نار عدن تسوق الناس الى المحشر، أو تسوق الناس من المشرق الى المغرب. والأحاديث الباقية تذكر أنّها علامة لظهور المهدي عليه السلام وأنّها قدّام قيامه بقليل، أو قبل غرق البصرة والفتن المتلاحقة.

ولا يبعد أن تكونا نارين إحداهما علامة لظهور المهدي عليه السلام والأخرى من علامات الساعة.

٩- الزلازل والخسف، والثابت المتواتر من هذه العلامة أحاديث الزلزلة وخسف البيداء بجيش السفياي الذي يتوجه الى مكة المكرمة لقتال المهدي عليه السلام، وكذلك الزلازل والخسف في دمشق، قبل خروج السفياي، وأحاديث هذه العلامة كثيرة في مصادر الشيعة والسنة، وسيأتي ذكرها في أحداث الظهور ان شاء الله تعالى.

أما الأحاديث المتفرقة الباقية فيذكر بعضها خسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً في بغداد وخسفاً في البصرة، ويذكر بعضها كثرة الزلازل في الأرض.

الفصل الثاني

تصوّر عام لظهور المهدي

تصوّر عام لظهور المهدي عليه السلام

مع أن هذا التصوّر الذي سنقدمه صحيح في نظرنا بشكل عام، فإن هذا الفصل ليس بحثاً علمياً بل هو عرض قصصي لظهور المهدي عليه السلام وتصور كليّ لهذا الحدث الفريد كما استفدناه من أحاديث بشارة النبي (ص) بظهور المهدي (ع)، فإن اطلاع القارىء على الصورة الكلية والخطوط العامة يمكنه من متابعة البحث الاستدلالي في موضوعاته بشكل أفضل.

الساحة الجغرافية للحدث

تتركز الساحة الجغرافية للحدث في (بلاد الشام وفلسطين، وفي ايران والعراق، وفي الحجاز) فهذه المنطقة بالتحديد هي مصدر الموج الاسلامي الهادر الذي تتحدث عنه النصوص، وهي ملتقى الصراع

السياسي والعسكري بين ثورة المهدي (ع) وبين الاتجاه التحريفي العميل للغرب - حركة السفيناني - أولاً، ثمّ بينها وبين الصهيونية والغرب مباشرة.. وكل الأحداث التي تحصل في البلاد القريبة من هذه المنطقة كمصر والمغرب الاسلامي واليمن، أو البعيدة عنها كبلاد الروم وشرق الأرض وغربها، على حد تعبير الأحاديث الشريفة، ليست إلاّ امتداداً وانعكاساً لموج وأحداث هذه الساحة التي يصنع فيها مستقبل العالم وتصاغ أوضاعه الجديدة.

وهذه الحقيقة تساعد عليها اعتبارات حركة الصراع الحضارية التاريخية والفعالية في هذا العالم.. فان مركز الثقل السياسي منذ عهد ابراهيم عليه السلام لم يتعد هذه الساحة وما حولها. فهو لم ينتقل من بلد منها إلاّ ليحلّ في بلد آخر، ولم يبتعد عن المنطقة إلاّ ليعود إليها. لقد كانت هذه المنطقة قلب العالم القديم والقوة الفاعلة في حضارته، ولذلك تركزت جهود الأنبياء عليهم السلام على شعوبها لكي تحمل رسالتهم.. فكانت نينوى قاعدة العالم الجديد على يد نوح عليه السلام. وفلسطين، والحجاز ومصر قاعدة لرسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

بل نلاحظ في مطلع الدعوة الاسلامية أن أفريقيا كانت حقلاً سهلاً أمام رسول الله (ص) ولكنه اكتفى بأن اتخذ منها ملجأً للمسلمين من الإضطهاد وأبقاهم لعدة سنوات بعد إقامة الدولة الاسلامية في المدينة قاعدة احتياطيةً وخطأً ثانياً.. ووجه جهوده للامتداد بالاسلام نحو آسيا.. وبالذات نحو هذه المنطقة ذات القابلية الخاصة في حمل الرسالة الى العالم.

بل نلاحظ من اهتمام القرآن الكريم بمسألة الإرتباط العقائدي للمسلمين بأبراهيم عليه السلام.. ومن الربط الجغرافي بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى...

ومن حديثه عن علاقة التناقض بين المسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى.. أنَّ الوضع العالمي يتلخّص في صراع حضاري طويل، ساحته هذه المنطقة من العالم.

وفي المقابل كانت المنطقة هدفاً لسيطرة كلّ الحضارات والقوى الحيوية التي نشأت في أطراف العالم، والتي من أمثلتها اليونان والرومان والصينيون. ومن أمثلتها الحديثة أنّ المنطقة ظلّت هدفاً للسيطرة لدى الروم والأوروبيين ومن تفرّع عنهم من الروس والأمريكان ما يقرب من عشرة قرون.. وبعد أن استطاعوا القضاء على كيانها السياسي والسيطرة عليها في مطلع هذا القرن بدا وكأنّ الثقل السياسي قد ودّع بلدان المنطقة البائسة الخاضعة للاحتلال ليستقرّ في عواصم الدول الكبرى التي أصبحت «قلب» العالم ومصنع أحداثه.. ولكن سرعان ما ظهرت المنطقة مركز الثقل السياسي العالمي من جديد، ليس بسبب ظهور أنّها البئر النفطي للعالم، ولا بسبب موقعها الاستراتيجي فحسب.. بل بسبب انكشاف أنّها ساحة الصراع الحاسم بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية.

إنّ ما يبدو مستغرباً من تركّز أحداث ظهور المهدي (ع) في هذه الساحة الجغرافية هو الطبيعي في المنطق الإسلامي ومنطق التاريخ ومنطق الصراع الحضاري في عصرنا، والذي يضطر للإعتراف به كل الباحثين في الحضارة.

وليس جديداً أن نشير الى أن الغربيين يدركون أهمية المنطقة مادياً واستراتيجياً وحضارياً، ولذلك يعملون لإبقاء سيطرتهم وقمع مقاومة أهلها بكل ما أوتوا من قوة ووسائل بحجة أنها منطقة المصالح الحيوية لبلدانهم. وفي هذه الساحة الجغرافية نقرأ عن مدينة تمثل مركز الثقل ونقطة الهدف في أحداث الظهور.. هي القدس، أو بيت المقدس، وإيلياء، كما تسميها النصوص.

فكرة المكرمة وان كانت مركز الانطلاقة لتحرك المهدي (ع) فإن القدس هي الهدف وهي الميزان الفصل في الصراع الحضاري الذي تصفه الأحاديث، لأن الانتصار في معركتها يعني الانتصار الشامل في كل العالم، خاصة وأن عيسى عليه السلام ينزل في القدس بعد أن يدخلها المهدي عليه السلام ويؤدي دوره الهام في حسم المعركة لصالح الاسلام.

عندما نقرأ في هذه الأحاديث الشريفة مسيرة المهدي الزاحفة من مكة الى القدس نشعر بأنها التأويل الحضاري لإسراء النبي (ص) من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .. «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا عَلَيْهِمْ وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ» ٣٩-يونس.

نعم، إن مستقبل العالم يتقرر في الإنطلاق من المسجد الحرام والوصول الى المسجد الأقصى .. ولكن هذه الحركة كما تدلّ النصوص لا تكون ابتدائية وإنما تأتي تويجاً لحركة الأمة باتجاه القدس، فالأمة الممزقة المغلوب على أمرها تتحرك بالاسلام من جديد.. فهي في بلاد الشام وفلسطين تتحرك لرفض الخضوع. وفي إيران تحطم قيودها وتتجه نحو القدس مُصِرَّةً على إزالة العقبات التي تعترض طريقها. وفي اليمن

يظهر قائد مسلم يتوجه نحو القدس... وفي المقابل فإن حركة أعداء الأمة تكون كذلك باتجاه القدس، فالروم واليهود ينزلون فلسطين، وتأتي قواتهم «تحت ثمانين راية» وتنزل في شواطئ عكا وصور وأنطاكية.

والحركة الوحيدة الناشئة عن الاتجاه الى نقطة الهدف، هي حركة السفيناني التي هي في الواقع حركة اعتراضية لرحف الأمة تتجه من بلاد الشام نحو العراق وايران.. لكنّها سرعان ماتنتهي.

الوضع السياسي العالمي

تصف الأحاديث الشريفة الوضع السياسي العالمي في عصر الظهور بفقدان الاستقرار وكثرة الاختلافات والحروب الجزئية التي تنتهي بحرب عالمية يقع أكثر دمارها على دول الغرب «وتشبّ في الحطّب الجزل في غربي الأرض» وتكون عاملاً مساعداً في انتصار حركة المهدي (ع) ودخوله الى القدس، ونزول المسيح (ع) فيها.

«أَبشُرْكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلْزَالٍ»،

«وَيَوْمَئِذٍ يَكُونُ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ فِي الْأَرْضِ وَفِتْنٌ»،

«قَبْلَ هَذَا الْأَمْرِ قَتْلُ يَسُوعَ.. قِيلَ وَمَا الْيَسُوعُ؟ قَالَ: ذَاتِمَ لَا يَفْتُرُ»،

«فَدَامَ الْفَتَايِمَ مَوْتَانِ: مَوْتُ أَحْمَرَ، وَمَوْتُ أبيض، حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ كُلِّ سَبْعَةِ

خَمْسَةٍ».

وتحدد النصوص سبب هذه الحرب بمشكلة بلاد الشام وفلسطين التي تبدأ في أولها صغيرة «أولها كأنه لعب الصبيان» ثم تكبر وتتعد وتعجز كل

المحاولات عن حلها وتفشل كل المبادرات المطروحة لها «لَا يَهْدَأُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا جَاشَ فِيهَا جَانِبٌ» و«لَا تَرْتَفُونَ مِنْهَا جَانِباً إِلَّا أَنْفَقَ مِنْهَا جَانِبٌ».

وتشير بعض الأحاديث الى أن هذه الحرب تكون بعد دخول جيش السفيناني وجيش الإيرانيين الى العراق. وتذكر أن خسائرها كبيرة جداً تبلغ في بعض الأحاديث الثلثين من سكان الأرض وأكثر. وأما عبارة «يُقْتَلُ فِيهَا ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفٍ»، الواردة في بعض الأحاديث فالظاهر أن المقصود بها الكناية عن الكثرة وليس التحديد بثلاثة ملايين.

القوى الفاعلة في ساحة الظهور

١- بلاد الشام وفلسطين:

بالرغم من حالة الضعف السياسي الشديد التي تذكرها الأحاديث الشريفة عن مسلمي بلاد الشام (لبنان وسوريا والأردن) بسبب تسلط عدوهم عليهم واختلافاتهم المتعددة «يُرْسَلُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَنْ يُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّعَابِ فَاتَلَتْهُمْ لَغَلَبَتْهُمْ» إلا أن لهم دوراً هاماً في تفشيل الحلول الاستسلامية التي يعمل أعداء الأمة على فرضها. فتشتيت قوة المسلمين المحيطين بفلسطين وجعلهم ساحة للتناقضات السياسية وإن أفقدهم الدور الموحد الفعال في مواجهة العدو، ولكن الأصالة والحيوية التي يتمتعون بها من جهة، ونفس حالة التناقضات الدولية والمحلية من جهة.. سوف تمكّنهم من الإحتفاظ بسخونة المواجهة مع العدو.

وقد ورد في الأحاديث أن فتنة بلاد الشام تدوم ثمانية عشر عاماً وفي

حديث أنها تدوم اثني عشر عاماً، وقد يكون هذا الرقم رمزياً، أو لبيان الكثرة.. وفي أواخرها تحدث «هَزَّةٌ» أو «رَجْفَةٌ» يقتل فيها مئة ألف، وقد تكون حرباً خاطفة أو هزة أرضية.. ويدخل على أثرها الى الشام جيش المغاربة وهو مصطلح لمغرب الدولة الاسلامية، ثم يكون اختلاف أهل الشام على ثلاث رايات بقيادة الأصبه أي الشديد الشقرة المائل الى الصفرة، والأبقع أي الأبرص، والسفياني وهو شخص اسمه عبد الله أو عثمان من ذرية عنبسة بن أبي سفيان، و يتمكّن السفياني من تصفية خصومه والسيطرة على سوريا والأردن، ثم لا يكون له همة إلاّ التوجه الى العراق.

يظهر أن الغربيين عندما يشعرون بخطورة التهديد الإيراني العراقي لإسرائيل يعتمدون أسلوباً جديداً غير أسلوب التزيق في المنطقة المحيطة بفلسطين، فيقومون بمساندة السفياني لكي يسيطر على سوريا والأردن ويحول توجه الأمة عن القدس الى العراق وايران.

وتصف الأحاديث شخصية السفياني وتحركه بأوصاف كثيرة مفضّلة: منها ارتباطه بالغرب وأنه يتحالف مع (الروم) خوفاً من المهدي، وأن جماعته يلجؤون بعد هزيمته الى الروم فيسترجعهم أصحاب المهدي ويقتلونهم.

ومنها، أنه يظهر أول الأمر بمظهر المسلم المتدين ثم تنكشف حقيقته. ومنها، أنه يثير التعصب المذهبي بين المسلمين و يطرح نفسه حامياً للمذهب السني و يرفع شعار القضاء على الشيعة. ومنها، أن حركته تحقق نجاحاً سريعاً في شهور معدودة ولكنها لا تلبث أن تنهار في أقل من سنتين.

وأنه يخوض معركة مع الأتراك وبعض الروم في منطقة قرقيسيا (دير الزور) وينتصر عليهم، وهي المعركة الموصوفة في الأحاديث بأنها مآدبة الله التي تشبع فيها سباع الأرض وطيور السماء من لحوم الجبارين، أما سببها فهو اكتشاف كنز من ذهب وفضة أو غيرهما في دلتا الفرات أو في مجرى الفرات عند الحدود السورية التركية العراقية تختلف عليه ثلاث فئات ثم لا يكون لأحد منهم.

وبعد معركة قرقيسيا يستغل السفياي حالة الضعف السياسي في العراق فيقوم بحملة عسكرية تدخل العراق وترتكب مجازر في بغداد وغيرها لأسابيع محدودة حتى تدخل قوات الإيرانيين فتهزمها.

كما يحاول السفياي ملء حالة الفراغ السياسي والعسكري التي تحدث في الحجاز فيوجه جيشاً الى الحجاز يتمكن من احتلال المدينة المنورة ويرتكب فيها مجازر ثم يتوجه الى مكة المكرمة لقمع حركة المهدي (ع) التي تكون في بدايات ظهورها فيخسف الله تعالى بهم الأرض قبيل وصولهم الى مكة فلا ينجونهم إلا نفر يسير. وتسمى هذه الحادثة خسف البيداء بجيش السفياي وتكون آية لانطلاق المهدي (ع) من مكة.

«فَيَبْلُغُ أَمِيرَ الْجَيْشِ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَيَبْعَثُ جَيْشًا عَلَى أَمْرِهِ فَلَا يُدْرِكُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ حَائِفًا يَتَرَقَّبُ عَلَى سُنَّةِ مُوسَى بْنِ عِفْرَانَ، وَيَنْزِلُ أَمِيرُ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ فِي الْبَيْدَاءِ فَيَأْمُرُ اللَّهَ الْأَرْضَ فَتَأْخُذُهُمْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ وَهَوِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَاقُونَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ».

... وبعد هلاك قوات السفياي في الحجاز والهزيمة التي تمنى بها على يد رايات المشرق في العراق تنتقل المعركة الى ساحته و يقوم بتجميع

قواته في الشام استعداداً لأكبر معارك المنطقة في أحداث الظهور، معركة تحرير القدس التي يمتد محورها من دمشق الى طبرية فالقدس، مما يدل على أن قوات السفينائي تكون في خندق واحد مع القوات الصهيونية والغربية «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ وَبَعَثَ جَيْشَهُ إِلَى بَنِي أُمَّيَّةَ هَرَبُوا إِلَى الرُّومِ فَيَقُولُ لَهُمْ الرُّومُ لِأَنذِخْلكُمْ حَتَّى تَدْخُلُوا فِي دِينِنَا فَيَفْعَلُونَ».

وتشير الأحاديث الى فترة تحشيد القوات لهذه المعركة ووصول قوات المهدي (ع) بقيادة شعيب بن صالح قائد قوات الخراسانيين الى مرج عذراء قرب دمشق وانضمام جماعات من مسلمي المنطقة الى صفهم (أبدال أهل الشام) وفرار جماعة من جيش المهدي (ع) والتحاقهم بالسفيناى، وأن ذلك الفرز مصداق قوله تعالى «وَأَمَّا زُواِ التَّوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ» ويسمى يوم التمايز.

كما تشير الى العنايةات الإلهية التي ترافق قوات المهدي (ع) في معركة فتح القدس «فَيَغْضِبُ اللَّهُ عَلَى السُّفْيَانِي وَتَغْضِبُ خَلْقَ اللَّهِ لِيَغْضِبَ اللَّهُ تَعَالَى فَتَرْتَشُّهُمْ الْقَلْبُزُ بِأَجْنِحَتَيْهَا وَالْجِبَالُ بِصُخُورِهَا وَالْمَلَائِكَةُ بِأَضْوَانِهَا» وأن قوات المهدي (ع) تحقق انتصاراً سريعاً وساحقاً يستسلم على أثره اليهود ويهرب السفينائي فيقبض عليه رجل اسمه صباح عند طبرية، بينما يهرب جماعته الى الروم (أوروبا) فيطالب بهم أصحاب المهدي ويهددون الدولة التي تعطيهم حق اللجوء السياسي فتضطر الى تسليمهم.

٢- ايران:

تأتي ايران في طليعة القوى الفاعلة في أحداث عصر الظهور، ويسمى الإيرانيون في الأحاديث الشريفة «أَهْلُ الْمَشْرِقِ الْمُؤَطَّنُونَ لِلْمَهْدِيِّ»،

وَقَوْمٌ سَلْمَانِي، وَرَايَاتُ الْمَشْرِقِ، وَأَصْحَابُ الرَّايَاتِ السُّودِ، وَالْخُرَّاسَائِيُّونَ».

وتسمي الأحاديث عدداً، من قادتهم كالسيد الأكبر الذي تكون راياتهم محتومة بخاتمه، والهاشمي الخراساني الزعيم السياسي الذي بكفه اليمنى خال، وشعيباً بن صالح الفتى الأسمر الحديدي من أهل الري (طهران) قائد قواتهم الذي يجعله المهدي (ع) قائداً لقواته، وكنوز الطالقان، وهم شبان من منطقة الطالقان، الى الشمال من طهران، من أصحاب المهدي (ع) وَصَفَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ بِأَنَّهُمْ مِنْ كَنُوزِ اللَّهِ وَأَنَّهِمْ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَوَصَفَتْ صِلَابَتَهُمُ الْعَقَائِدِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ وَحُبَّهُمْ لِلْمَهْدِيِّ (ع).

وتمدح الأحاديث بلدة قم التي يظهر فيها العلم و يفيض على أهل المشرق والمغرب وتكون حجة على الناس، وأنه يخرج منها رجل يدعو الناس الى الحق وأن قلوب أصحابه كقطع الحديد كناية عن صلابة عقيدتهم وقوتهم، وَأَنَّهُمْ لَا تُزَعِّزُهُمُ الْعَوَاصِفُ، أَرْسَى مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، لَا يَكِلُونَ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَجْبُنُونَ، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ.

وتصف الأحاديث الإيرانيين بأنهم يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه، فيقاتلون ويصبرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلون.. حتى يدفعوا الراية الى المهدي (ع). و يقتضي أن يكون الحق الذي يطلبونه من أعدائهم هو أن لا يعتدوا عليهم، ولا يعملوا على منعهم من انتهاج سياستهم الاسلامية.

والأحاديث عن الإيرانيين منها أحاديث عامة في مدحهم وبيان دورهم في التمهيد للمهدي (ع) وهي أحاديث كثيرة في مصادر السنة والشيعية على السواء. ومنها ما يتعلق بمرحلة ما قبل ظهور الهاشمي

الخراساني وشعيب بن صالح وهي قليلة نسبياً وأكثرها في المصادر الشيعية.

ومنها ما يتحدث عن مرحلة الهاشمي وشعيب و يصف تحركاتها وأوضاعها وهي أحاديث كثيرة مفصلة في مصادر الشيعة والسنة ولكنها في مصادر السنة أكثر.

وتحدد الأحاديث الفترة من ظهور الهاشمي وشعيب الى أن يسلموا الأمر الى المهدي (ع) باثنين وسبعين شهراً، ولكنها لا تحدد المدة ما بين الرجل الذي يخرج من قم أو السيد الأكبر وما بين شعيب والهاشمي. وتشير الأحاديث الى أنهم يكونون في حرب مع أعدائهم حتى اذا رأوا أن الحرب قد طالت عليهم بايعوا الهاشمي الخراساني الذي يختار شعيباً ابن صالح قائداً لقواته.

وتتركز الأحاديث على وصف معارك الإيرانيين خارج ايران في العراق وبلاد الشام وفلسطين، مما يدل على استقرار وضعهم السياسي الداخلي، ويشير بعضها الى حالة خلل واحدة في الوضع الايراني الداخلي عند معركة قرقيسيا - وهي مدينة قديمة على الحدود السورية العراقية التركية تقع آثارها قرب المدينة السورية المعروفة دير الزور - التي تكون أساساً بين السفيناني والأترك وبعض الروم (الغربيين) وتكون قوات الإيرانيين قريباً منهم وكانهم يريدون المشاركة فيها ولكنها ينسحبون من قرقيسيا لمعالجة «فَتَقَ يَنْفَتِقُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» فيرجعون الى بلادهم ويعالجون الوضع الداخلي ويستعدون لمواجهة السفيناني بعد انتصاره في قرقيسيا.

يتركز تحرك الإيرانيين في هذه الأحاديث الشريفة باتجاه القدس عبر

العراق، ولا تذكر لهم تحركاً باتجاه الحجاز أو الجزيرة ماعدا الزحف الشعبي الى منطقة اصطخر وهي منطقة شيراز التي تقابلها في الضفة الأخرى من الخليج منطقة الحجاز الشرقية، الأحساء والقطيف .. وذلك عندما تتصاعد أحداث الحجاز ويخرج المهدي عليه السلام في مكة فيخرج أهل المشرق لاستقباله وهو متجه من الحجاز الى العراق فيوافقهم في اصطخر وبياعونه هناك ، ويقاثلون السفيناني معه هناك، في الوقت الذي تكون قواتهم متمركزة في الكوفة وتكون في مواجهة بقايا قوات السفيناني في مناطق أخرى من العراق، وتكون هذه القوات قد بعثت بالبيعة الى المهدي عليه السلام وهو في مكة.

تدلّ الأحاديث اذن أنّهم سوف ينتصرون في حربهم مع النظام العراقي وأنّه سيقوم في العراق نظام اسلامي، ولكن العراق سيبقى مشكلة للإيرانيين، فالسفيناني يتمكن قبل دخول قواته الى العراق من إسقاط هذا النظام بمساعدة أنصاره العراقيين حيث يبعث اليهم أن يقتلوا حاكمهم الموالي للمهدي عليه السلام فيقتلونه.

كما تدلّ الأحاديث بصراحة ووضوح على أن الإيرانيين يدخلون مع المهدي عليه السلام دمشق والقدس ويكون دورهم فعالاً في معركة التحرير. أمّا قبل هذا التحرير النهائي للقدس فتوجد بعض الأحاديث التي تشير الى أنّهم يدخلون دمشق ويخوضون معارك .

وتذكر الأحاديث رجلاً من أهل بيت المهدي عليه السلام يحكم أو يقود الجيش ثمانية أشهر أو ثمانية عشر شهراً يتوجه الى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت دونه، ويبدو أن هذا الرجل الهاشمي من الإيرانيين. وتذكر منطقتين لدخول القوات الإيرانية الى العراق، منطقة البصرة

ومنطقة خانقين باتجاه بغداد والكوفة. وتشير الى أنهم يدخلون العراق أكثر من مرة. ولم أجد اشارة الى قتال بين الايرانيين والأترك قبل ظهور المهدي (ع) ولكن أول بعث عسكري يبعثه المهدي (ع) من الكوفة يكون موجهاً الى تركيا.

٣. العراق:

تذكر الأحاديث أن العراق سيكون عاصمة العالم بأجمعه، وستكون الكوفة مقر حكم الامام المهدي (ع) وتصف الأحاديث مسجد الجمعة العالمي الذي يأمر المهدي (ع) ببنائه خارج الكوفة بأن له ألف ألف باب، وأن أهل الكوفة سيكونون أسعد الناس حالاً بجوارهم للمهدي (ع).

أمّا قبل ظهوره (ع) فتحدث عن اضطهاد شديد وخوف ذريع يشمل أهل العراق لا يقتر لهم معه قرار. وعن رجال صالحين يقتلون في بغداد وظهر الكوفة، وعن قتل رجل هاشمي أو نفس زكية في سبعين من الصالحين، وعن حركة قبل السفيناني بقيادة شخص يسمّى الشيبباني، وعن مقاومة جزئية يقوم بها أهل الكوفة للسفيناني.. وعن شخصيات عراقية هامة يكونون من أنصار المهدي (ع) كالنفس الزكية رسول المهدي (ع) الى أهل مكة الذي يقتلونه قبل ظهور المهدي بخمسة عشر ليلة، وابن عمّه محمد وشقيقته فاطمة اللذين يقتلونها في المدينة المنورة بوشاية أحد عملاء السفيناني الذي يكون قد هاجر معها من العراق.

وتتحدث أخبار الظهور عن أزمة اقتصادية تكون في العراق «بُوشكُ

أهل العراق أن لا يُجيبوا إليهم فَيُفِزُوا ولا دِرْهَمًا».

وتشير الأحاديث إلى الحرب العراقية الإيرانية، وإلى دخول القوات الإيرانية إلى البصرة وبغداد والكوفة. وإلى قيام نظام إسلامي في العراق ولكن يبدو أن هذا النظام لا يتمكن من إعداد الشعب العراقي لدور فعال، وأن عملاء السفياني يتمكنون من قتل حاكم العراق الموالي للمهدي (ع) ومساعدة جيش السفياني في دخوله العراق وارتكاب المجازر الفظيعة التي لا تتوقف إلا بدخول القوات الإيرانية بقيادة الخراساني.

بشكل عام نجد العراق في أحاديث علامات وأحداث الظهور ميداناً لمعارك متعددة وهامة، وأن تيارين سياسيين يتنافسان عليه وفيه: تيار الإيرانيين أصحاب المهدي (ع) وتيار السفياني (الغربي) وأن شعبه المسلم أرضية مؤيدة للإسلام ولكن شدة الاضطهاد التي تقع عليهم من الحكام الظلمة وحالة الضعف السياسي تجعل دورهم الانفعال أكثر من الفعل.

٤- الحجاز:

تسمى الأحاديث الشريفة حدثاً في الحجاز سيكون مدخلاً لسلسلة الأحداث الممهدة لظهور المهدي (ع) وهو الفراغ السياسي الذي يحصل بموت آخر حاكم من «بني فلان» على حدّ تعبير الأحاديث الشريفة «إِذَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَجْتَمِعِ النَّاسُ بَعْدَهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَمْ يَتَنَاهَ هَذَا الْأَمْرُ دُونَ صَاحِبِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَذْهَبُ مُلْكُ السَّيْنِ وَيَصِيرُ مُلْكُ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ».

ويذكر حديث آخر سبب موته فيقول «يَكُونُ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنْ يَنْكِحَ خِصِيًّا فَيَقُومُ وَيَذْبَحَهُ وَيَكْتُمُ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا؛ فَإِذَا سَارَتْ الرُّكْبَانُ فِي ظَلَبِ الْخِصِيِّ

لَمْ يَزِجْ أَوْلُ مَنْ يَخْرُجُ حَتَّى يَذْهَبَ مُلْكُهُمْ».

وتشير الأحاديث الى أنَّ هذا الفراغ السياسي يتحوّل الى أزمة بين القوى السياسية في الحجاز-القبائل-تصل الى اشتباكات مسلّحة ولكنها غير حاسمة.

ويفهم من هذه الأحاديث وغيرها أن المحاولات المتتابة لتثبيت النظام الحاكم في الحجاز تفشل بسبب عدم العثور على شخص ترضى به الأطراف المتناحرة.

و يبدو أن التفكك العشائري يشمل الجيش الحجازي حيث لا تذكر الأحاديث له دوراً في حسم الوضع المتدهور وتذكر أن الأمر يحتاج الى استقدام قوات من خارج الحجاز لتهدئة وضع الحرمين الشريفين، وأن قوات السفياي تدخل المدينة المنورة ثمّ تحاول دخول مكة المكرمة.

إنّ هذا التردّي في الوضع الداخلي للحجاز لا يأتي نتيجة لعوامل داخلية من فساد الأسرة الحاكمة وطموح القبائل الحجازية الى السلطة فقط، بل إنّ العوامل الخارجية الممهدة لظهور المهدي (ع) ستكون ذات تأثير خاص على الساحة الاسلامية الحجازية.

فحالة الانهماك والتوتر التي تصاب بها القوى الكبرى التي تكون على وشك حرب عالمية .. أو حالة الضعف والارتباك التي تصاب بها القوى المتبقية بعد حرب عالمية يكثر فيها الدمار وتذهب فيها نفوس الملايين.

والنداء السماوي الذي يهزّ العالم ويسمعه أهل الأرض كل قوم بلغتهم يدعوهم الى الله تعالى ويشرّهم بالمهدي باسمه واسم أبيه .. . والمدّ الاسلامي الذي يتعاضم في جميع بلاد المسلمين ويصبح تياراً

جماهيرياً متحفزاً باحثاً عن المهدي (ع).

والتحركات والأحداث الكبيرة الجارية في المنطقة، في اليمن وإيران والعراق وبلاد الشام وغيرها...

.. هذه العوامل الخارجية التي توجه أنظار المسلمين والعالم نحو الحجاز، ستجعل من قضية المهدي (ع) في مسلمي الحجاز تياراً قوياً يعمل لتهيئة الوضع السياسي للمهدي (ع) و يبحث عنه لمبايعته.
بل تدلّ الأحاديث على أن مبعوثين من بلاد العالم الاسلامي يفدون الى الحجاز و يبحثون عن المهدي سراً ليبايعوه.

«إِذَا انْقَطَعَتِ التِّجَارَاتُ وَالطَّرِيقُ وَكَثُرَتِ الْفِتْنُ خَرَجَ سَبْعَةُ رِجَالٍ عُلَمَاءَ مِنَ الْقَوْمِ سَتَى عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، يُبَاعُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُ مَائَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا حَتَّى يَجْتَمِعُوا بِمَكَّةَ فَيَلْتَقِي السَّبْعَةُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَيَقُولُونَ جِئْنَا فِي ظَلَبِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُبَيِّنُ أَنْ نَهْدَأَ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَفْتَحَ لَهُ الْقِسْطَ نَطِينِيَّةً قَدْ عَرَفْنَاهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَحَلِيبَتِهِ.. فَيَتَفَقُّ السَّبْعَةُ عَلَى ذَلِكَ فَيَطْلُبُونَهُ».

في هذه الأثناء يكون المهدي (ع) قد خرج من المدينة المنورة متوجهاً الى مكة المكرمة خائفاً يترقب على ستة موسى بن عمران عليها السلام، فيدخل الى حرم الله تعالى في حين يبدأ وزراءه صفوة العالم الاسلامي بالتوافد الى مكة «يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَا كَفِرْعَ السَّحَابِ وَيُوَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمْ الْأَوْلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الدِّينِ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ».

وتصف الأحاديث في هذه المدة اضطراباً يقع بين الحجاج في منى، ويبدو أنه امتداد للخلاف بين أهل الحجاز حول السلطة.

«يَحِجُّ النَّاسُ مَعَاً عَلَى غَيْرِ إِمَامٍ وَيَعْرِفُونَ مَعَاً، فَبَيْنَاهُمْ فِي مَنَى إِذْ أَخَذَهُمْ

مِثْلُ الْكَلْبِ فَسَارَتْ الْقَبَائِلُ بَغْضِهَا إِلَى بَغْضِ فَاقْتُلُوا حَتَّى تَسِيلَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ دَمًا»، ويفهم من النص أن الناس يعيشون حالة التوتر الى حد أنهم بمجرد ان يكملوا أداء مناسكهم أو قبل اكماها يشتبكون في منى المقدسة !
وبعد أسبوعين من اضطرابات منى أي في الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من ذي الحجة يرتكب بقايا النظام في الحجاز جريمة قتل النفس الزكية وهو فتى هاشمي اسمه محمد بن الحسن يرسله المهدي (ع) الى أهل مكة في عملية اختبار وتهيئة للثورة المباركة، فيدخل المسجد الحرام ويقف بين الركن والمقام وما أن يتكلم بكلمات يدعو فيها الناس الى بيعة المهدي (ع) حتى يقوموا اليه و يقتلوه في الحال، فتكون هذه الجريمة ايداناً بنهاية حكمهم.

«الْأُخْبِيرُكُمْ بِأَخِيرِ مُلْكِ بَنِي فَلَانٍ؟ قَتَلُ نَفْسِ حَرَامٍ، فِي يَوْمِ حَرَامٍ، فِي بَلَدِ حَرَامٍ، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ مَا لَهُمْ مِنْ مُلْكٍ بَعْدَهُ غَيْرَ خَمْسِ عَشْرَةَ لَيْلَةً».
وبعد أن يكون قد تم في مكة أعظم لقاء بين أناس منذ قرون، لقاء المهدي الموعود (ع) بأصحابه وحوارييه ووزرائه عليهم السلام، يلتقي أول الأمر بأثني عشر منهم هم نقباؤهم وأفضلهم .. يبدأ التحرك كما تذكر الأحاديث مساء يوم الجمعة التاسع من محرّم إذ يتقدّم المهدي (ع) بعد صلاة العشاء ويقف بين الركن والمقام ويوجه بيانه الأول الى أهل مكة يقول فيه:

«أَدُّرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَقَامَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ اكْمَلَ الْحُجَّةَ، وَبَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَمَرَكُمْ بِأَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُحَافِظُوا عَلَيَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَأَنْ تُحْيُوا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَتُمَيِّتُوا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَتَكُونُوا أَعْوَانًا عَلَيَّ الْهُدَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ذُنَا قَنَاوُهَا وَأَذَنْتْ يَوْذَاعَ .. وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَإِمَانَةِ الْبَاطِلِ».

وما أن يكمل (ع) كلامه حتى يحاول شرطة بقايا الطاغوت أن يعتقلوه أو يقتلوه، ويعاونهم في ذلك أمام المسجد، فيتقدم أصحاب المهدي ويدفعونهم عنه ويحيطون به ويتقدم أحدهم ليبدأ بمبايعته فاذا بجبرئيل (ع) ينزل من على ظهر الكعبة فيكون أول المبايعين، ثم يبايعه أصحابه.

ويبدو أنهم بعد هذا الإعلان والبيعة ينسحبون تلك الليلة من المسجد الحرام أو يتخفون فيه. ولا تذكر الأحاديث ما يجري في تلك الليلة وقبلها من اعداد لتحرير مكة، لكن يبدو أنه بالرغم من وجود بقايا الطاغوت فإن الوضع العام لأهل مكة يكون مساعداً للمهدي (ع) حيث يتم له في صبيحة اليوم التالي السيطرة على مكة المكرمة ويزيع فيها بيانه الأول الى العالم.

من فقرات هذا البيان:

«إِنَّمَا النَّاسُ.. مَنْ يُحَاجُّنَا فِي آلِهِ تَعَالَى فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ،

وَمَنْ يُحَاجُّنَا فِي آدَمَ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِآدَمَ،

وَمَنْ يُحَاجُّنَا بِنُوحٍ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِنُوحٍ،

وَمَنْ يُحَاجُّنَا بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ،

وَمَنْ يُحَاجُّنَا بِمُحَمَّدٍ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ،

وَمَنْ يُحَاجُّنَا بِالنَّبِيِّينَ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ،

وَمَنْ يُحَاجُّنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ..،

فَأَنَا بَقِيَّةُ مِنْ آدَمَ، وَذَخِيرَةُ مِنْ نُوحٍ، وَمُضْطَفَى مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَصَفْوَةٌ مِنْ

مُحَمَّدٍ (ص) الْأَوْمَنَ حَاجِّنِي فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ...

أنا ابنُ نبيِّ اللَّهِ، أَدْعُوكُمْ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ.. قَالَ اللَّهُ اللَّهُ فِينَا لَا تَخْذُلُونَا.. إِنَّا نَسْتَنْصِرُ الْيَوْمَ كُلَّ مُسْلِمٍ».

بعد نجاح هذه المرحلة (تحرير مكة واتخاذها قاعدة لمخاطبة العالم) يمكث المهدي في مكة ويطيل المكث كما تذكر الأحاديث، ولا تشير الى وجود ما يهدد سيطرته عليها من داخلها أو من أجوانها ماعدا جيش السفيفاني الذي يتوجه من المدينة للقضاء على حركة المهدي .. وتتجه الأنظار الى هذا الجيش لترى فيه الآية الموعودة على لسان النبي (ص) التي يروها كافة المسلمين:

«يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْتُ، فَإِذَا كَانُوا يَبْدَأُ مِنَ الْأَرْضِ خُيِّفَ بِهِمْ»، «فَيُخَسَفُ بِهِمْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَنَاهُ أُبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَبِيَا يَعُونَهُ».

وتحدد بعض الأحاديث المكان الذي سيقع فيه الخسف باسم (أَمَاصِهْرَا) على بعد اثني عشر ميلاً من منطقة (ذات الجيش) وأن عدد الجيش ثلاثون ألفاً يخسف بهم في وسطهم، فيرجع المتقدمون فيخسف بهم، ويلحق المتأخرون منهم فيخسف بهم، ولا ينجو إلا بضعة نفر. تكون هذه الحادثة آية للعالم يبدأ المهدي (ع) بعدها بزحفه المقدس من مكة الى المدينة، الى منطقة اصطخر في جنوب ايران، الى العراق، فسوريا فالقدس .. وتستغرق هذه المسيرة ثمانية أشهر.

*

ينبغي الإلفات هنا، وبشكل يتناسب مع هذا التصور العام التمهيدي للدراسة الى (عناصر الفعل الاضافية) التي يعتمد عليها عمل

المهدي (ع)، فإن الأحاديث عند السنة والشيعة تتفق - وان تفاوتت في التفاصيل - على أن عدداً من الكرامات والمعجزات الإلهية تجري على يد المهدي (ع) وترافق مسيرته الموعودة من مكة الى القدس، فالعالم .. وكذلك في إدارته لحكم العالم الجديد. منها آيات لإقناع الناس واقامة الحجّة عليهم، كالنداء السماوي باسمه واسم أبيه، ونزول المسيح (ع). ومنها في صفاته وصفات أصحابه (ع) ومنها في معاركه. ومنها في الوسائل المادية التي يستخدمها ..

وإننا سَمِيناها عناصر فعل اضافية لأن عناصر الفعل العادية والقوانين الطبيعية للعمل الانساني وحركة المجتمع هي الأصل في عمل المهدي (ع) وتأتي هذه المعجزات عند الحاجة لتعزيز المنطق الذي يطرحه، واسناد حركة التحرير التي يقودها.

إنّ المهدي (ع) يطرح منطق الاسلام من جهة «بِمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا» ومنطق فساد الواقع العالمي وضرورة انقاذه من جهة أخرى «بِقَدْمَا مُلِيتُ ظُلْمًا وَجُورًا» ولكن عندما يوجد جدار سميك يمنع الشعوب من سماع هذا المنطق والتفكير به .. فإنّ الأمر يحتاج الى فعل إلهي يحطم هذا الجدار ويعيد الى الناس قدرتهم على الاستماع.

إنّ النظام الذي دبّره الطاغوت لحياة الناس جعل الانسان جهازاً يركض طوال عمره لتأمين ما هو ضروري لمعيشته وماتقول له الحضارة المادية انه ضروري! ومضافاً الى ذلك فهي تلاحقه في حلّه وترحاله وليله ونهاره باعلامها وثقافتها!

إن كائناً متورطاً في عمل لايسمح له أن يحك رأسه، وملاحقاً بعملية غسل دماغ لا تسمح له أن يرفع رأسه .. يحتاج الى صعقة كهربائية

لتجعله يفكر حقاً باللون الآخر للحياة، الى نداء سماوي يهزه ليصبح قابلاً للاستماع.

إنَّ معجزة النداء السماوي وقسماً من معجزات المهدي (ع) هي عناصر فعل اضافية في قانون الهداية الإلهي، احتاج الناس إليها لأن طاغوت الحضارة الغربية أبعدهم بعداً اضافياً عن المنطق.

وقسم آخر من معجزاته (ع) يتعلق بحركة الصراع العسكري، فالقانون الذي يقوم عليه عمل المهدي (ع) بالأصل هو قانون المعركة الاعتيادي في الأرض، والمعجزات والكرامات في معاركة (ع) هي عناصر اضافية لمقابلة ذلك التفاقم الربوي في رأس المال العسكري للطاغوت.

أمَّا القسم الثالث من المعاجز فهو في مجال الوسائل التي يستخدمها (ع) من قبيل: «نُظَوِي لَهُ وَلَاضْحَابِهِ الْأَرْضُ».

«بَرَفَعَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ مَنْخَفِضٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَتَخَفِضُ لَهُ كُلَّ مُرْتَفِعٍ حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ رَاحِيَتِهِ، فَأَبْنِيكُمْ إِذَا كَانَ فِي رَاحِيَتِهِ سَعْرَةً لَا يُبْصِرُهَا؟».

وان وزراء حكّام العالم يتصلون به مباشرة «لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بَرِيدٌ فَيَسْمَعُونَهُ وَبَنظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ».

وأنه «مَا كَانَ مِنْ سَحَابٍ صَعْبٍ فِيهِ رَعْدٌ وَبَرَقٌ فَصَاحِبُكُمْ يَرْكَبُهُ، أَمَا إِنَّهُ يَرْكَبُ السَّحَابَ وَيَرْفُقِي فِي الْأَسْبَابِ الْأَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِيْنَ السَّبْعِ، خَمْسُ عَوَامِرُ، وَتَسْتَانِي خَرَابَانِ».

وأن له في الهواء خيلاً مسرحية ملجمة لها أجنحة، وأنه ينزل في العراق بسبع قباب من نور لا يعلم في أيها هو.. الخ.. فهي من أبواب العلم التي يستخدمها المهدي (ع) ويعلمها للناس، وقد أصبح طرف منها

مألوفاً للناس في عصرنا.

وقد ورد في حديث شريف أن مايفتحه المهدي من أبواب العلوم هو
أضعاف أضعاف ما يكون لديهم «الْعِلْمُ سَبْعٌ وَعَشْرُونَ حَرْفًا، فَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ
حَتَّى الْيَوْمِ غَيْرَ الْحَرْفَيْنِ فَإِذَا فَاَمَ فَاثْمُنَا أَخْرَجَ الْحَمْسَةَ وَالْعِشْرِينَ حَرْفًا فَتَبَّهَا فِي
النَّاسِ، وَصَمَّ إِلَيْهَا الْحَرْفَيْنِ حَتَّى بَيَّئَهَا سَبْعَةٌ وَعِشْرِينَ حَرْفًا!».»

وقد ذكرت الأحاديث أن عند المهدي (ع) موارث الأنبياء صلي
الله عليهم يستخرجها من أماكنها في الأرض أو تكون مودعة له عبر
الأجيال.

فن رسول الله (ص) عنده عهد مكتوب له يأمره فيه بأوامره.

وعنده راية رسول الله (ص) التي تحق بها الملائكة، وعنده قيص
رسول الله (ص) وعمامة ودرعه السابعة.

وعنده قيص ابراهيم (ع) الذي نزل اليه به جبرئيل (ع) لَمَّا أوقدت
له النار «الْبَسَهُ إِثَاءَهُ فَلَمْ يَضُرَّهُ مَعَهُ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَعَلَهُ فِي تَمِيمَةٍ
وَعَلَّقَهُ عَلَى إِسْحَاقَ، وَعَلَّقَهُ إِسْحَاقُ عَلَى يَعْقُوبَ، فَلَمَّا وُلِدَ يُوسُفَ عَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَكَانَ
فِي عَضُدِهِ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُ يُوسُفَ مِنَ التَّمِيمَةِ وَجَدَ يَعْقُوبَ
رِيحَهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون».

وعنده عصا موسى (ع) التي هي «مِنْ آيِسٍ مِنْ غَرَسِ الْجَنَّةِ أَنَاهُ بِهَا
جَبْرَائِيلُ (ع) لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْفَاءَ مَدْيَنَ، وَهِيَ وَتَابُوتُ آدَمَ فِي بُحْبَرَةٍ طَبْرِيَّةٍ وَلَنْ يَبْلَيَا
وَلَنْ يَتَغَيَّرَا حَتَّى يُخْرِجَهُمَا»، «وَهِيَ خَضِرَاءُ كَهَيْئَتِهَا حِينَ انْتَرَعَتْ مِنْ شَجَرِهَا، وَإِنَّمَا
لَتَنْطَلِقُ إِذَا اسْتَنْطَلَقَتْ وَإِنَّمَا تَرْوَعُ وَتَلْقَفُ مَا بَاتَ فَيَكُونُ وَتَفْعَلُ مَا تُؤَمِّرُ بِهِ.. يُفْتَحُ لَهَا شُعْبَتَانِ
إِخْدَاهُمَا فِي الْأَرْضِ وَالْأَخْرَى فِي السَّقْفِ وَيَبْتَهُمَا أُرْبَعُونَ ذِرَاعًا!».»

ويستخرج المهدي (ع) من جبل من جبال الشام أسفار التوراة يحتاج

بها اليهود فيسلم على يديه جماعة منهم، و«يَسْتَخْرِجُ النَّوْرَةَ وَسَائِرَ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَارٍ يَأْتِيهَا كَيْفَةً فَيَحْكُمُ بَيْنَ أَهْلِ النَّوْرَةَ بِتَوْرَاتِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ».

كما أنه (ع) تطوى له ولأصحابه الأرض، وتخرج له كنوزها من ذهب وفضة وجواهر فيجمعها ويقول للناس: تعالوا الى ما قطعتم فيه الأرحام، وقتلتم فيه النفس الحرام... وتخرج الأرض خيراتها وتنبت نباتاً وأشجاراً لم تكن موجودة، وأنه بلهمه الله تعالى وأصحابه رؤية الواقع في القضايا والمشاكل فيحكم بين الناس بالحق كما هو لا يحتاج الى بينات وشهود... الخ.



ينشر المهدي (ع) راية النبي (ص) السوداء التي «لَمْ تُنْشَرْ مُنْذُ نُوفِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَلَا تُنْشَرُ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، وَالَّتِي يَسِيرُ الرَّعْبُ أَقَامَهَا شَهْرًا وَعَنْ يَمِينِهَا شَهْرًا وَعَنْ بَارِئِهَا شَهْرًا» «وَتَمُدُّهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَضْرِبُونَ وَجُوهَ أَعْدَائِهِ وَأَذْبَارَهُمْ»، ويتوجه من مكة مع أصحابه الثلاث مئة وثلاثة عشر على رأس جيش من بضعة عشر ألف مقاتل، ويشير بعض الأحاديث الى أن أكثر هذا الجيش من أهل الحجاز وفيه من أهل الشام وإيران والعراق، حتى اذا وصلوا الى مكان الخسف بجيش السفياي وقف عنده المهدي (ع) وتلا قوله تعالى «أَقَامِينَ الدِّينَ بِمَكْرُونِ السِّيَابِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ. أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ فَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ» ٤٥- ٤٦- النحل.

وفي المدينة المنورة يخوض جيش المهدي (ع) مع قوات النظام وقوات السفياي معركة عنيفة فيحقق عليها نصراً كاسحاً.

وبتحرير الحرمين الشريفين يتمهد له حكم الحجاز، حيث تذكر الأحاديث فتح الحجاز بعد فتح المدينة بعبارة مقتضية مثل «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ الْحِجَازَ»، «فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِلْمَهْدِيِّ أَرْضَ الْحِجَازِ»، مما يشير إلى أن تحرير الحرمين يكون حاسماً في السيطرة على الحجاز، خاصة إذا كانت بعض القبائل الحجازية قد بايعته في مكة.

الى ايران والعراق

بعد انتصار المهدي عليه السلام في الحجاز يشدد السفياي قبضته على العراق وتقوم قواته بتهديد الحدود الايرانية.. فيتحرك الايرانيون عسكرياً لمواجهة، ويتحركون سياسياً لغرض الانضمام الى المهدي عليه السلام. وتدل بعض الأحاديث على أنه يتوجه من المدينة المنورة الى العراق ماراً بجنوب ايران حيث يلتقي بالخراساني وقائده شعيب قرب اصطخر المدينة التاريخية الواقعة قرب عبادان والأهواز والتي يروى أنها من مدن النبي سليمان عليه السلام، وتقع بقربها مدينة مسجد سليمان التي تضم آبار النفط الايرانية. و بعد لقائهم في اصطخر يخوضون معركة حاسمة مع جيش السفياي يكون انتصارهم فيها مؤثراً في انطلاق المد الجماهيري تجاه المهدي عليه السلام.

«إِذَا خَرَجَتْ خَيْلُ السُّفْيَانِيِّ إِلَى الْكُوفَةِ فِي ظَلَبِ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ خُرَاسَانَ فِي ظَلَبِ الْمَهْدِيِّ، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْهَاشِمِيُّ بِرَايَاتِ سُودٍ عَلَى مُقَدَّمَتَيْهِ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْمَهْدِيُّ وَالْهَاشِمِيُّ بِبَيْضَاءٍ إِصْطَخْرٍ فَيَكُونُ بَيْنَهُمْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَتَظْهَرُ الرِّايَاتُ السُّودُ وَتَهْرُبُ خَيْلُ السُّفْيَانِيِّ.. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى النَّاسُ الْمَهْدِيَّ وَيَطْلُبُونَهُ».

في هذه الأثناء تكون قوات الايرانيين قد دخلت العراق من جهة أخرى ووصلت الكوفة وبعثت بالبيعة الى المهدي عليه السلام ووضعت نفسها تحت قيادته .

و يدخل المهدي عليه السلام الى العراق «في سَبْعِ قِيَابٍ مِنْ نُورٍ لَا يُعْلَمُ بِأَيِّهَا هُوَ» ممّا يبدو أنه اشارة الى دخوله ليلاً في سرب من الطائرات .. ويخوض جيشه عدة معارك تكميلية لتحرير العراق يهزم فيها بقية قوات السفلياني وأعوانه و يسيطر على العراق و يتخذ الكوفة مقراً له، ويمكث فيها و يطيل المكث كما تذكر الأحاديث، و يبدو ذلك من أجل تثبيت حكمه في المنطقة الاسلامية المحررة الحجاز وايران والعراق، ومن أجل الإعداد للزحف الكبير نحو القدس .

جاء في حديث أنه «لَا تَبْتَئُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى تَخْرُجَ عَلَيْهِ مَارِقَةٌ بِرُمَيْتِهِ الدَّسَكْرَةَ فَيَدْعُو رَجُلًا مِنَ الْمُؤَالِي فَيَقْلُدُهُ سَيْفَهُ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَا يَبْقِيَ أَحَدًا» .

كما تشير الأحاديث الى عمليات قتل واسعة يقوم بها المهدي عليه السلام في العراق في أعدائه تشمل سبعين رجلاً بزّي علماء الاسلام وأن أحد أصحابه يذعر لما يرى من كثرة القتل فيقوم اليه و«هُوَ أَشَدُّ النَّاسِ بَدَنِيهِ وَأَشَجُّهُمْ بِقَلْبِهِ مَا خَلَا صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا هَذَا مَا تَصْنَعُ؟ إِنَّكَ لَتَجْفِلُ النَّاسَ إِجْفَالِ النَّعَمِ! أَقْبِعْهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَمْ يَمَادَا؟ فَيَقُولُ الْمَوْلَى الَّذِي وَلِيَ الْبَيْعَةَ: لَتَسْكُنَنَّ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ؟ فَيَقُولُ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْكُتْ يَا فُلَانُ. إِي وَاللَّهِ إِنْ مَعِيَ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، هَاتِ يَا فُلَانُ الْعَبِيَّةَ فَيَأْتِيهِ بِهَا فَيَقْرَأُ الْعَهْدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَيَقُولُ الرَّجُلُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَعْطِنِي رَأْسَكَ أَقْبَلُهُ، فَيُعْطِيهِ رَأْسَهُ فَيُقْبَلُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ جَدَّدْ لَنَا بَيْعَةَ، فَيُجَدِّدُ لَهُمْ بَيْعَةً» .

وفي حديث آخر «أَوَّلُ لَوَاءٍ يَغْقِدُهُ الْمَهْدِيُّ بِنَعْتِهِ إِلَى التُّرْكِ فَيَهْرُمُهُمْ»
 «بِقَاتِلِ السُّفْيَانِيِّ التُّرْكِ، ثُمَّ يَكُونُ اسْتِصْالُهُمْ عَلَى يَدِ الْمَهْدِيِّ، وَأَوَّلُ لَوَاءٍ يَغْقِدُهُ
 الْمَهْدِيُّ بِنَعْتِهِ إِلَى التُّرْكِ».

وفي حديث آخر «بَسِيرٌ مِنْ مَكَّةَ.. حَتَّى يَأْتِيَ الْكُوفَةَ فَيَنْزِلُ عَلَى نَجْفِهَا عَلَى
 قُرْبٍ مِنْهَا، ثُمَّ يُفَرِّقُ الْجُنْدَ فِي الْأُمْصَارِ».

وتشير بعض الأحاديث الى أنه عليه السلام يقوم بتجميع طاقات
 المسلمين في العراق استعداداً للزحف الى القدس «إِذَا دَخَلَ الْقَائِمُ الْكُوفَةَ
 لَمْ يَبْقَ مُؤْمِنٌ إِلَّا وَهُوَ بِهَا أَوْ يَحْنُ إِلَيْهَا، فَيَقُولُ الْقَائِمُ: سِيرُوا بِنَا إِلَى هَذَا الْقَاعِيَةِ».

وتشير بعضها الى أنه في فترة وجود المهدي عليه السلام في العراق تقع
 الحرب العالمية التي يهلك فيها عدد كبير من سكان العالم.

الزحف الى القدس

نلاحظ في الأحاديث التي تصف معركة المهدي عليه السلام في
 تحرير المسجد الأقصى وما حوله أنها تذكر السفياياني على أنه الطرف
 الآخر في المعركة ولا تذكر اليهود مباشرة ولكنها من جهة أخرى تدل على
 أن السفياياني يتراجع من عاصمته دمشق الى داخل فلسطين فيكون مقره
 في الرملة -قرب تل أبيب- وتكون ساحة المعركة طبرية والقدس، وأن
 المهدي عليه السلام يقاتل في هذه المعركة سبع رايات مما يشير الى أنها
 قيادات سياسية متحالفة أو متحدة في قيادة واحدة ضد المهدي عليه
 السلام، وتؤكد من جهة ثالثة أنه عليه السلام يستخرج أسفار التوراة
 وتابوت السكينة من غار أنطاكية ومن جبل بالشام وفلسطين ويحاج بها

اليهود.. ممّا يكشف عن أن السفيناني إنّما هو واجهة لليهود في حربهم للمهدي عليه السلام وأنّه الشخصية التي يجد فيها اليهود وحلفاؤهم الغربيّون الموصفات المطلوبة لمقاومة المدّ الاسلامي وأنهم يساندونه ويعطونه دوراً واسعاً في المنطقة، ولكنه بعد هزيمته في الحجاز والعراق ينكفيء الى دمشق بل الى داخل فلسطين المحتلة و يضعف أمره حتى أنّ لا يستطيع أن يرد زحف المهدي عليه السلام، بل يحاول أن يثبته عن عزمه بالمساعي السياسيّة.. ولكن المهدي يتقدّم بجيشه الكبير داخل سوريا حتى يعسكر في مرج عذراء على بعد ثلاثين كيلومتراً من دمشق.

«ثُمَّ تَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْعُدْرَاءَ وَقَدْ الْحَقَّ بِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَالسُّفِينَانِي بِوَقْتِهِ بِوَادِي الرَّقْلَةِ» ممّا يشير الى أن المدّ الجماهيري الاسلامي يضطر السفيناني لمغادرة دمشق التي لا تذكر الأحاديث وقوع معارك فيها أو حولها.

و يبدو من الأحاديث أن فترة المفاوضات تكون طويلة نسبياً وممرّنة حيث تسمح لعدد من أهل المنطقة بالالتحاق بمعسكر المهدي عليه السلام ولعدد آخر يكونون مع المهدي بالالتحاق بالسفيناني، ويسمّى ذلك اليوم يوم الابدال بمناسبة التحاق أبدال أهل الشام بالمهدي عليه السلام، ويوم التمايز بمناسبة الفرز والتمييز مصداقاً لقوله تعالى «وَأَفْتَا زُؤَا بِيَوْمِ إِيُّهَا الْمُجْرِمُونَ».

وتذكر الأحاديث أن المهدي عليه السلام في هذه الفترة يطلب اللقاء بالسفيناني ويتقابلان بالفعل فيأتيه السفيناني ويستمع الى منطقه فيتأثر أو ينهزم نفسياً ويباع المهدي! ويرجع الى جماعته لاقناعهم بموقفه الجديد، ولكنهم يوبخونه فيرجع الى موقفه الأول!

وتكاد تجمع الأحاديث على أن عنصر الإعجاز الإلهي يرافق هذه

المعركة التي يبدو أنها أكبر معارك الظهور على الاطلاق، ففي بدايتها يكون النداء من السماء «الْإِنُّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمْ أَصْحَابُ الْمَهْدِيِّ» وفي أثنائها يغضب الله تعالى على أعداء المهدي فتغضب عليهم الطبيعة لغضب الله و يكون ذلك عاملاً مساعداً لأصحاب المهدي و يكتب الله لهم النصر الأكبر وهزم أعداؤهم شر هزيمة فلا يبقى منهم إلا الشريد والمتخفي فيساعد الناس في القبض عليهم «حَتَّى يَقُولَ الْحَجْرُ لِلْمُسْلِمِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتِي فَأَقْتُلُهُ» وهو تعبير عن حالة فلول المهزمين الذين يطاردهم الغضب الإلهي والجماهيري.

و يدخل المهدي عليه السلام الى القدس فاتحاً ومطهراً للمسجد الأقصى وما حوله، و يدخل العالم مرحلة جديدة هي مرحلة مابعد القضاء على اليهود.

نزول المسيح عليه السلام

أياً كان الوضع السياسي العالمي فإن القضاء على السفياي، وانكسار اليهود وتحرير القدس، سيكون مفاجأة عالمية تحدث هزة في مختلف الشعوب.

أمّا الشعوب الاسلامية فتكون الموجة فيها إيجابية وعارمة باتجاه الانضمام الى دولة المهدي عليه السلام وقيادته، فان الأحاديث تذكر سيطرة المهدي عليه السلام على المسلمين بعد فتح القدس «وَتَرْجِعُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ نِعْمَتَهُمْ وَالْقَنُتَهُمْ وَفَاصِيَهُمْ وَذَانِيَهُمْ» ولا تذكر أي معارك يخوضها المهدي عليه السلام لتحرير بقية أجزاء الوطن الاسلامي الكبير.

ولكن الموجة السلبية تكون في العالم المسيحي الذي يفاجأ بانهار حلفائه اليهود وانتهائهم دفعة واحدة، ويرى نفوذه على بلاد المسلمين قد اُكتسحته موجة جديدة لم تكن بالحسبان، بل يرى أن هذه الموجة أصبحت تهدد وجوده في عواصمه وبلادها!

تذكر الأحاديث الشريفة معالجتين لحالة الذعر والتأهب التي تحدث في العالم المسيحي، لم أتبيّن أيهما تسبق الأخرى: الهدنة الإسلامية المسيحية التي يعقدها الإمام المهدي عليه السلام معهم. ونزول المسيح عليه السلام من السماء.

فقد ورد أن آخر هدنة تكون بين المسلمين والروم تكون على يد المهدي عليه السلام ثم ينقضها الروم، وأن مدتها تدوم سبع سنين حسب بعض الأحاديث وتسعة أشهر حسب بعضها الآخر.. مما يدل على أنّ المهدي عليه السلام يعمل بعد فتح القدس لتطمين العالم المسيحي بأنّه لاينوي التوسع العسكري أو الدخول في حرب معهم ماداموا يحترمون بنود الهدنة المعقودة بينهم وبينه، وبذلك يفتح المجال واسعاً أمام المسيح عليه السلام للعمل مع الشعوب المسيحية.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»، وقد ورد في تفسيرها «إِنَّ عَيْسَى قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى الدُّنْيَا فَلَا يَبْقَى أَهْلٌ مِثْلَهُ يَهُودِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْمَهْدِيِّ».

وفي أحاديث أخرى «تَنْزِلُ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ».

«فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ نَزَلَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَحْمَرَانِ، كَأَنَّمَا يَقْطُرُ مِنْ رَأْسِهِ الدَّهْنُ، وَهُوَ رَجُلٌ

صَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَالْوَجْهِ أَشْبَهُ الْخَلْقِ بِإِزْهَابِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَبَائِلِي الْمَهْدِيِّ وَيُصَافِحُهُ
وَيُبَشِّرُهُ بِالنَّصْرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْمَهْدِيُّ: تَقَدَّمَ بِأَرْوَحِ اللَّهِ وَصَلَّ بِالنَّاسِ. فَيَقُولُ
عَيْسَى: بَلِ الصَّلَاةَ لَكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يُودِّعُ عَيْسَى وَيُصَلِّي خَلْفَ
الْمَهْدِيِّ».

وفي حديث «بَنَزَلَ وَأَضَعَا يَدَيْهِ عَلَى أُجْحِيحَةَ مَلَكَئِنٍ وَمَعَهُ الْوَيْفُ الْمَلَأْنِكَةُ».
وأمر نزوله عليه السلام في القدس محل اجماع الأحاديث والمسلمين،
ولكن السؤال: هل ينزل و يعلن مباشرة موقفه من الاسلام و يأمر الناس
باتباع المهدي عليهما السلام والانضمام الى قيادته؟
الذي أفهمه من طبيعة الأمور أن عيسى عليه السلام ينزل للعمل مع
أتباعه في خطة تدريجية تجعلهم يتقبلونه و يؤمنون به جميعاً بدون استثناء
«وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» وأنه يعمل مع الجماهير المسيحية
لإحداث تحوّل فيها نحو الاسلام ولاخضاع حكوماتهم وقساوستهم، وأن
الصلاة خلف المهدي عليها السلام تكون ختام عمله معلناً بذلك
للمسيحيين اقتداءه هو بالمهدي عليه السلام.

ولم أجد في الأحاديث ما يخالف هذا الافتراض المنطقي إلاّ الحديث
القائل بأنّ المهدي يصلّي في بيت المقدس بالناس أياً ما فإذا كان يوم
الجمعة وقد أقيمت الصلاة ينزل المسيح فيصلّي خلفه.. ولكن وجدت
نصاً آخر للحديث أن المهدي «يصلّي بالناس إماماً (لا أياً ما) حتى اذا
كان يوم الجمعة وأقيمت الصلاة ينزل المسيح عليه السلام «مما يدلّ على
أنّ كلمة (أياً ما) جاءت من اشتباه النسخ بدل كلمة (إماماً).

وعلى هذا فان مدة عمل المسيح عليه السلام منذ نزوله الى أن يصلّي
خلف المهدي عليه السلام قد تكون طويلة تصل الى سنوات.. وقد يبدأ

عمله عليه السلام بالانتقال من القدس الى روما أو المدينة الرومية الكبيرة كما سمّتها بعض الأحاديث، وقديزور العديد من عواصم البلاد المسيحية، لأنّ نزوله عليه السلام هو كالبعثة الجديدة الى النصارى واليهود بل إن رفعه الى السماء وادّخاره حياً لمدة ألي سنة أو أكثر أو أقل واعادته الى الأرض إنّما هو خطة إلهية اتّضح لنا من أهدافها: أن يكون علماً للساعة ودليلاً عليها كما ذكر الله تعالى. وأن يدعو أتباعه النصارى مجدداً بعد أن تصبح في يدهم أكثر مقدرات الأرض و يصبح علاقتهم باليهود و يقيم على اليهود الحجّة. و يقرهم من المسلمين حتى يصل بهم الى الدخول في الاسلام والانضمام الى دولة المهدي عليه السلام.

ولنا أن نتصوّر مدى فرحة النصارى في العالم بنزوله عليه السلام والتظاهرات المليونية العارمة التي ستشهدها بلادهم ترحيباً بالمسيح عليه السلام وتصورهم ان هذا الموج الذي أحدثه ظهور المسيح سيرجع كفتهم على الموج الاسلامي الذي أحدثه ظهور المهدي عليه السلام.

وعلى ضوء هذا يمكننا الاعتماد على الأحاديث القائلة بأنه بعد فتح القدس يفتح الله تعالى للمهدي شرق الأرض وغربها بدون قتال. وأن نفسر العديد من أحاديث حركة ظهور المهدي بعد فتح القدس، مثل حديث أن المهدي والمسلمين يفتحون مدينة الروم الكبرى أو القسطنطينية الكبرى بالتكبير، الذي يمكن تفسيره بدخول المهدي وأنصاره عليهم السلام بشعار التكبير الى عاصمة النصارى الدينية روما او الى إحدى عواصم دولهم الأخرى، واعتباره وصفاً لبداية بسط المهدي لحكم الاسلام على العالم المسيحي بمساعدة المسيح عليها السلام. ومما تذكره الأحاديث في ختام دور عيسى بن مريم عليه السلام خبر

وفاته وقيام المهدي عليه السلام بمراسم تكفينه والصلاة عليه ودفنه على مشهد من جماهير الناس.. وأنه يكفنه بثوب من نسج أمه الصديقة مريم ودفنه في القدس الى جانب قبرها عليها السلام.

المسيرة الجديدة للعالم

الأحاديث في مدة حكم المهدي عليه السلام وما يكون بعده متفاوتة ومضطربة، ويقل في رواها الثقة المشهورون ويكثر فيهم الرواة العاديين والمجهولون والضعفاء، ويصل التفاوت في عدد منها الى التضاد والتناقض. وقد تبعت أحاديث مدة حكمه عليه السلام بشكل أولي والتي يذكر بعضها أنه سبع سنوات ويصل بعضها الى ثلاث مئة وتسع سنين وقليل منها يذكر امتداده الى يوم القيامة.. فألفتني ما يذكره بعضها من أن النبي (ص) عبر عن مدة حكم المهدي بطريقة رمزية فقال «يَحْكُمُ: وَفَتَحَ أَصَابِعَ الْيَدِ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهَا إِصْبَعَيْنِ مِنَ الْيَدِ الْيُسْرَى، وَلَمْ يُزِدْ عَلَى هَذَا». ولذلك روى بعض الرواة الدقيقي الرواية أن المهدي يحكم خمسا واثنين. فسئل عن معناه فقال: لا أدري، هكذا رويته!

أن هذا الرمز المقصود من النبي (ص) يساعد على افتراض أن التطور الذي يحصل في العالم في عصر المهدي عليه السلام يشمل حتى السنة كوحدة زمنية للتاريخ. ويساعد على هذا الافتراض عدد من الأحاديث والأمور نشير اليها في هذا العرض المجل:

منها: أن دولة سليمان عليه السلام والتي هي نموذج محدود ومشهد خاطف للحياة الانسانية على الأرض كما يمكن أن تكون وكما يريدنا

الله تعالى، محدود من حيث المساحة فقد وصلت كما تذكر الأحاديث الشريفة الى حدود مصر والى اليمن والى اصطخر ولم تتعدّها، ومحدود من حيث الوسائل التي سخرت فيها لتطوير الحياة .. هذه الدولة كان يجب أن تبقى أربعين سنة وتشمل جيلاً من الناس حتى تؤدّي غرضها في إراءة النموذج والاحتفاظ به في ذاكرة الأجيال .. فكيف بالدولة الاسلامية العالمية على يد المهدي عليه السلام وهي ذات التطبيق الشامل للحياة الانسانية بالهدى الإلهي التي جاهد من أجلها مئة وأربعة وعشرون ألف نبي صلوات الله على نبيّنا وعليهم، وواصل جهادهم عدد أكبر من الأئمة سلام الله عليهم .. ؟

ومنها: أنّ ضخامة حدث ظهور المهدي ونزول المسيح عليها السلام واقامة الدولة الإلهية الكبرى .. بل إنّ عدداً من مفردات الانجازات والنعم الإلهية التي تصفها أو تشير اليها الأحاديث الشريفة تقتضي زمناً طويلاً ولا تتناسب مع فرضية أن يكون هذا الحدث شعلة تضيء على العالم لحظة ثم تنطفئ ليعود الظلام من جديد! بل إنّ ظاهر قوله تعالى «وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»، «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» أن نور الاسلام يتوهج و يأخذ مداه الى آخره ولا يخمد دفعة واحدة.

ومنها: أن الناس قد وصلوا بالحرفين من العلم اللذين يملكونها الى اكتشاف القمر وبعض الكواكب والى وضع أقمار وسفن صناعية وغيرها في المدار الخارجي للأرض، وقد طوروا شكل الحياة وموادها تطوراً كبيراً .. فكيف سيكون شكل الحياة ومداه بعد أن يُخرج المهدي عليه السلام الخمسة وعشرين حرفاً من العلم و يضمّهما الى الحرفين و يبيّنها في الناس سبعة وعشرين حرفاً كما تذكر الأحاديث ؟

إنَّ ذلك يقتضي أن يصبح السفر من الأرض الى المناطق البعيدة البعيدة من الكون واقامة الاتصال بسكانها أمراً طبيعياً. ومنها: أن حركة الحياة الدنيا باتجاه الآخرة وحركة الشهادة باتجاه الغيب تقتضي أن يحدث في تراكم أجيال الانسان وقرون الزمن تغير نوعي في الحياة على الأرض يصل الى حالات انفتاح الغيب على الشهادة والآخرة على الدنيا. وهذه الحالات التي ورد بشأنها عدد من الآيات والأحاديث والتي يمكن أن نسميها المراحل التمهيدية للقيامة، إنَّها يبدأ ظرفها بظهور المهدي عليه السلام.

على ضوء ذلك يمكن أن نرجح أن دولة الاسلام العالمية التي تبدأ على يد المهدي عليه السلام تمتد الى يوم القيامة، وأن ضمان استمرارها يكون في خطين: أحدهما حالة الرشد التي يصل اليها الناس في ظل نمو الوعي وظروف الحياة الجديدة والتي قد تصل الى حالة العصمة الاجتماعية عن الكفر والانحراف. وثانيهما: حالة انفتاح الأرض على الكون والآخرة مما يجعل من الطبيعي مجيء بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام الى الأرض لتوجيه مسيرة البشرية الجديدة كما في بعض الأحاديث.

كما أنَّ بعض الأحاديث والأقوال الموروثة لدى المتديتين عن مجتمع اللانقد الذي يتحقق في عصر المهدي عليه السلام أمر منطقي الى حد بعيد.

وكذلك امكانية أن يصل المجتمع البشري في عصره عليه السلام وما بعده الى مجتمع اللاحكمة، ومجتمع اللادولة بمفهومها المعروف. وأن يعيش المجتمع الانساني في ظل الهدى الإلهي أجيالاً عديدة في حركة

خيرة منسجمة لا ينشز عنها إلاّ الدجال وأصحابه في أول الأمر، ومجموعة الاشرار الذين تقوم عليهم الساعة كما ورد في الأحاديث الشريفة.

من ملامح شخصية المهدي عليه السلام

يناسب في ختام هذا العرض لحدث الظهر أن نقدّم صورة عن شخصية المهدي عليه السلام مقتبسة من أوصافه العديدة التي تضمّنتها الأحاديث الكثيرة في مصادر المسلمين:

«إِسْمُهُ إِسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، وَشَمَائِلُهُ شَمَائِلِي»

وما أشوق الأرض الى شمائل يتيّم مكة .. فإنّ لقلبها نحوه وجيباً لا يبلغه وجيبها الى أحد أبداً ..
خطاه على متنها تاريخ.
وأنفاسه في هوائها أريج.
وحيثما عقّر جبينه بالسجود فثمّ خشوع الى الأعماق، وفوار نور الى عنان السماء.

وفيض دموعه على ثراها .. روى قلبها أكثر من أنهارها.
وحبّات دموعه .. أعزّ لديها من جواهرها ولآليها.
وكلمات ذلك القلب العامر بالله .. لازالت تُدوّي في جنبات بقاعها، وتودّ لو يؤذن لها فتنتطق بها للأجيال، وتود لو تسمع منها المزيد.
والأجيال .. ما أشوقها الى شمائل رسول الله .. شمائل أكبر مهندس لتاريخ الأرض .. وأمهر بان لإنسانها ..
وجيل أمتنا الحاضر .. جيل المليار مسلم .. المستضعفين في

الأرض .. الذين تزدريهم عيون حفنة من اليهود وبحر محيط من الأعداء، ويعزف فيهم القادة الرجال .. ما أشوقهم الى إسراء من المسجد الحرام الحزين الى المسجد الأقصى المستغيث .. والى نسمة من شمائلك يا حبيب الله تسري في شمائلهم فتبعثهم الى الحياة ..

ويحيي ء جواب الرسول الرحيم:

«إِسْمُهُ إِسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، وَسَمَائِلُهُ سَمَائِلِي، وَسُنَّتُهُ سُنَّتِي .. يُقِيمُ النَّاسَ

عَلَى شَرِيْعَتِي» أخرجه الصدوق في كمال الدين ص ٣٨٦، وغيره.

«أَلْمَهْدِيُّ مِنِّي .. أَجْلِي الْجَبْهَةُ، أَقْنِي الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا

فُيُتُّ جَوْرًا وَظُلْمًا» أخرجه أبوداود في صحيحه ج ٢ ص ٢٠٧، وغيره.

«أَلْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَسْمُ الْأَنْفِ، أَقْنِي، أَجْلِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا

كَمَا فُيُتُّ جَوْرًا وَظُلْمًا» أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٥٥٧، وغيره.

والشمائل: الصفات الجسمية، وقد تطلق على الصفات الأخلاقية.

وأجلى الجبهة: صاحب الجبهة الواسعة التي انحسر عنها الشعر.

وأقنى الأنف، وأشم الأنف: صاحب الأنف الدقيق المستطيل

الذي في وسطه علو وتقوس.

وقد ذكرت الأحاديث الشريفة عدداً آخر من صفاته الشخصية عليه

السلام مثل أنه: مَرْبُوعُ الْقَامَةِ، أَمِيلٌ إِلَى الطُّولِ .

حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ. كَثُ اللَّحْيَةِ. أَيْضُ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ. عَلَى خَدِّهِ الْأَيْمَنِ

خَالَ.

أَزْجُ الْحَاجِبَيْنِ مُشْرِفُهُمَا. عَائِرُ الْعَيْنَيْنِ وَاسِعُهُمَا، أَفْرَقُ النَّبَا بَرَأْفُهُمَا. يَظْهَرُهُ

شَامَتَانِ، شَامَةٌ عَلَى لَوْنِ جِلْدِهِ، وَشَامَةٌ عَلَى شِبْهِ شَامَةِ النَّبِيِّ (ص). يَكُونُ شَيْخَ السِّنِّ،

شَابُ الْمَنْظَرِ كَابْنِ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ.

قَوِي فِي بَدَنِهِ لَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى شَجَرَةٍ لَقَلَعَهَا.

عَلَيْهِ جَلَابِيبُ الثَّوْرِ تَتَوَقَّدُ.

يُومِيءُ لِلظَّيْرِ فَتَسْقُطُ عَلَى يَدِهِ، وَيَغْرِسُ قَضِيبًا فَيُخَضِّرُ وَيُورِقُ.

أَشْفَقُ عَلَى النَّاسِ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ.

أَخَذَ النَّاسِ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ، وَأَكْثَفَ النَّاسِ عَمَّا تَنْهَى عَنْهُ.

شَدِيدٌ عَلَى الْعَمَّالِ، جَوَادٌ بِالْمَالِ، رَجِيمٌ بِالْمَسَاكِينِ.

كَأَنَّمَا يُلْعِقُ الْمَسَاكِينَ الرَّبْدَ.

أَشَدُّ النَّاسِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى.

خَاشِعٌ لِلَّهِ كَخُشُوعِ النَّسْرِ بِجَنَاحِيهِ.

(المهديُّ خاشِعٌ لِلَّهِ كَخُشُوعِ النَّسْرِ بِجَنَاحِيهِ)

أخرجه ابن حنَّاد في الفتن والملاحم ص ١٠٠ (مخطوطة).

والسيوطي في العرف الوردی ج ٣ ص ٣٧.

والسفاريني في لوائح الأنوار ج ٢ باب صفة المهدي.

وابن حجر في كتابه القول المختصر، وغيرهم.

هذا التشبيه النبوي من جوامع الكلم التي خصَّ الله تعالى بها

رسوله (ص) والتي يجتمع فيها: الجمال، والعمق، والأبعاد، والشمول.

فأقصى ما يملك النسر من مظهر الخشوع جناحاه حيث يخفضها الى

أسفل من بدنه ويخفض رأسه، فيبدو ثابتاً في مكانه محققاً في الأرض

خاشعاً.

والخشوع في الانسان أمر غريزي يكاد أن يكون تكوينياً، ذلك أن

الوجود المحدود لابد له أن يستمد من الوجود المطلق عزوَجلاً فيعظمه

ويحبّه ويستعطفه .. فان هو لم يفعل التجأ الى ما يتصوّره مطلقاً أو كبيراً فخشع له، فأفسد وجوده وأفسد الحياة من حوله. وأكثر ما يتجلى أمر هذا الخشوع في الحكام فترى الواحد منهم يخشع لوجود آخر يعظّمه ويستند اليه ويسبح بحمده .. وان شئت فانظر الى حالة عشرين حاكماً على العرب وستين حاكماً على المسلمين!

والمهدي عليه السلام خاشع لله تعالى، يعظّمه ويحبّه ويستعطفه .. ولكن لماذا كخشوع النسر بجناحيه أو لجناحيه أو لجناحه كما في بعض الروايات، أي خشوعاً يصل الى جناحيه كما تقول خشوعاً يصل الى قمة رأسه؟ يريد النبي (ص) بهذا التشبيه أن يبيّن بُعدين على الأقل في شخصية حفيده المهدي عليه السلام ينسجمان مع هذا الخشوع وينبعان منه: القوة على أعدائه، والتحليق والسمو عليهم وعلى الدنيا.

فالمهدي عليه السلام قوي على أعدائه كقوة النسر على بغاث الطير، يحدق بالطاغوت كالنسر من أعلى و ينقض عليه فيريده ولا يمهله .. فهذه ثمرة الخشوع الكامل لله عزّوجلّ لا كخشوع الضعفاء الذي يخشعون لله ويرون أنّه أكبر، ويخشعون في نفس الوقت للقوى الحاكمة ويرون أنّها أكبر أيضاً! فذلك خشوع القطيع يطلب من ربّه النجاة من الذئاب ويستسلم لها، بل خشوع الدجاج لربّه يطلب النجاة من الثعلب ولا يجرؤ أن يطلق في وجهه صراخاً أو ينقره بمنقار!

والمهدي عليه السلام يمسك بزمام الدنيا و يسيطر على أطرافها يكتس منها الجور والظلم، ويملؤها بالقسط والعدل .. ولكنّه مخلق عنها كالنسر، يراها أصغر من قدره وأصغر من هدفه .. ومن يزهّد في مناصب الدنيا وأموالها ومتاعها فلا يراها لنفسه قدراً، فذلك زهد النسر المحلّقة.

«مِنْ عَلاَقَةِ الْمَهْدِيِّ: أَنْ يَكُونَ شَدِيداً عَلَى الْعَمَّالِ، جَوَاداً بِالْمَالِ،
رَجِيماً بِالْمَسَاكِينِ»

أخرجه الترمذي ج ٣ ص ٣٢٣

والسيوطي في العرف الوردى ج ٢ ص ٧٥

الفقراء في مصطلح فقهاء المسلمين هم (الذين لا يملكون كفاية نفقتهم السنوية، سواء كانوا عاطلين عن العمل أو كانوا يعملون ولكن واردهم لا يكفيهم) وتحسب كفاية النفقة السنوية بالمستوى المتوسط للمجتمع الذي يعيشون فيه. وعلى هذا فإن أكثر من أربعة مليارات انسان من أصل حوالي خمسة مليارات ونصف سكان الأرض، هم فقراء بالمفهوم الاسلامي.

والمساكين هم الفقراء الأسوأ حالاً، من الذين لا يكادون يسدّون رمقتهم، أو الذين لا يستطيعون كسب معيشتهم لقصورهم الذهني أو البدني، ولا مورد لهم.

وأساس مشكلة المساكين والفقراء تأتي من أن الأرض والحياة الدنيا المحدودة لا تتسع لمطامع الناس التي يتصورون أنّها مصالحهم، فتعارض مصلحة الفقراء مع مصلحة الحاكم ومجموعة من بيدهم الثروة في المجتمع فيستأثرون ويظلمون.. ويستحكم التعارض وتصبح المشكلة مستعصية ومزمنة.

وتتجه الكنيسة المسيحية الى معالجة المشكلة بالوعظ والتربية الأخلاقية.

وتتجه الشيوعية الى معالجتها بتثوير الفقراء (البروليتاريا) على

أصحاب القدرة والثروة (البرجوازيين).

وتحاول الدول الغربية اعتبار أن الضوابط القانونية هي المعالجة التي تحقق التوازن بين مصلحة فئات المجتمع.

وتتميز معالجة الاسلام بأنها تتضمن العناصر الإيجابية من هذه المعالجات وتضيف إليها عنصراً جديداً أساسياً.

فالتربية الأخلاقية وما يترفع عنها من تشريعات مالية وقيم وعادات اجتماعية.. عنصر ضروري لمعالجة المشكلة، ولكنه عنصر تكميلي وتجميلي وليس أساسياً.

وتشوير الطبقة المستضعفة أمر ضروري ولكن بالطريقة والمحتوى الاسلامي، أمّا الثورة بالطريقة والمحتوى الشيوعي فلا تعني أكثر من نقل القدرة والثروة من يد فئة الى يد فئة جديدة، وتكون المعالجة بالتالي تغيير أحد طرفي المشكلة لأكثر.

والقوانين التي تضبط حدود مصالح الأفراد والفئات في المجتمع أيضاً ضرورية، ولكن الاسلام لا يثق بالقوانين الوضعية ولا بمنفذها.

إنّ العنصر الجديد الذي يقدمه الاسلام يتناول أساس المشكلة وعمقها الذي هو في الانسان، فيطرح الاسلام هذا السؤال:

مَنْ مِنَ النَّاسِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَحَبّاً لِلْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ وَحَرِيصاً عَلَى مَصْلِحَتِهِمْ؟

ويجيب على السؤال، بأن الانسان مالم يؤمن بالموقف والمسؤولية بين يدي الله تعالى في الآخرة، فإن غريزة حبّ الذات ستبقى مانعاً له عن حبّ الفقراء والمساكين وستدفعه الى عدائهم والإضرار بمصلحتهم قال عز وجلّ «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ؟ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْكَيْتِيمَ! وَلَا يُحِضُّ عَلَى

طَعَامَ الْمَسْكِينِ!».».

وحتى أولئك المؤمنين بيوم الدين نظرياً ولكنهم منافقون، ليس بمقدورهم أن يحبوا جماهير الفقراء والمساكين، بل سيدفعهم نفاقهم إلى منع التعاون بين الناس «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.. الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْتَعُونَ الْمَالُونَ!».».

وبذلك ينحصر الأمر في نوع خاص من الناس هم المصدقون بالدين والمسؤولية أمام الله تعالى، فهو لاء وان تعارضت مصلحتهم مع مصلحة الجماهير الواسعة إلا أنهم سيفضلون مصلحة الجماهير على مصلحتهم خوفاً من العقوبة الإلهية في يوم الدين. فهم وحدهم المؤهلون لأن يكونوا أمناء على مصلحة الفقراء والمساكين، وييدهم وحدهم يجب أن تكون السلطة ومقدرات المجتمع.

على أن حبّ المساكين والفقراء لدى المهدي وأمثاله من كبار الأئمة عليهم السلام له منابع أخرى سوى الخوف من الله تعالى، لأنّ الخوف من عقاب الله يمثل الحد الأدنى في الحاكم في نظر الاسلام... و يوجد منبعان آخران لحبّ الجماهير وخدمتهم:

أولهما: حبّهم وخدمتهم رغبة في جزاء الله تعالى في الآخرة.

وثانيهما: حبّهم وخدمتهم لأن الله تعالى يحبّ ذلك ويأمر به، فيكون حبّهم من فروع حبّ الله تعالى. وهذا النوع العالي من العبادة من أخلاق رسول الله (ص) وكبار أهل بيته وصحابته عليهم السلام، وقد ورد في عدة أحاديث شبّه المهدي بجدّه رسول الله (ص) في خلقه وخلقه. وبعضها يصف حبه عليه السلام للمساكين فيقول (المهدي كأنما يلعق المساكين الزبد) وسواء كان هذا الوصف من رسول الله (ص) أو تعبيراً عمّا فهمه

الرواة من وصفه لولده المهدي .. فهو يصور أبوته الحانية للمساكين وهو يجلس معهم ويطعمهم بيده من أطيب الأطعمة.

وكما أن الرحمة بالمساكين مقياس تعرف به عدالة الحاكم في فئة المساكين ومن ثم في بقية الفقراء وفئات المجتمع .. فهي من جهة أخرى تعرف بصفتين تلازمانها وتنتجان عنها هما: سخاء الحاكم، وشدته على وزرائه. فالحاكم البخيل أو غير الكرم يصبح عاجزاً عن حب المساكين وخدمتهم. والمتسامح مع جهاز دولته يصبح عاجزاً عن إنصاف كل فئات المجتمع.

ولم يذكر الحديث الشريف صفة حب المساكين أولاً مع أنها أساس الموضوع، لأنه ليس في مقام التحليل أو التوجيه التربوي بل في مقام بيان صفات المهدي عليه السلام التي تتصل برحمته بالمساكين، وقد جعل أول هذه الصفات محاسبته لجهاز دولته، و يليه إنفاقه للثروة على أصحابها الشرعيين «يَخْتُو الْمَالَ حَنُوءاً وَلَا يَعْذُهُ عَدَاً».

وللإسلام رأيه الخاص في تعامل المسؤول الأول في الدولة مع بقية المسؤولين الذي يختلف عن كل مناهج الحكم والادارة .. فهو يأمر الحاكم أن يعتمد مع بقية المسؤولين منهج المراقبة والمحاسبة والعقوبة السريعة الشديدة .. وفي الوقت الذي يحرم بشدة التجسس على مواطني الدولة الإسلامية باستثناء أعدائها من المنافقين والكفار، يوجب على المسؤول الأول أو يجيز له أن يشكل جهاز تجسس على كافة المسؤولين من الوزراء ومعاونيهم، وعلى حكام المحافظات وكبار الموظفين.

وقد رسم أمير المؤمنين علي عليه السلام قواعد هذا المنهج في عهده الذي كتبه لمالك الأشرضي الله عنه عندما عينه حاكماً على مصر فقال

له بشأن الوزراء والولادة «ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ وَابْتَعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السَّرَّامُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَتَحْفَظُ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ.. ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَدْلِيِّ، وَوَسَّمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارِ الثُّهْمَةِ». - نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٣٥ - تعليق الدكتور صبحي الصالح.

فلا يزال يقتل أعداء الله، حتى يرضى الله

أخرجه الصدوق في كمال الدين ج ٢ ص ٤٧١

الطغاة شجرة خبيثة واحدة .. ممتدة من أول الأجيال .. الى يومنا هذا، والى أن يرث الله الأرض وما عليها.
من قابيل الحسود القاتل .. الى آخر قاتل لانسان بريء في ساعتنا هذه.

ومن أول قارون جمع فأوعى، وطغى على عباد الله .. الى قوارين عصرنا الغربيين والشرقيين وأزلامهم في العالم الثالث.
ومن أول ظالم تسلط على عباد الله وقهرهم .. الى ريغان وأندربوف وميتران وتاتشر، ومقلديهم في الأرض.

إنَّهم حالة واحدة متصلة، ومدرسة واحدة لإبليس تنتج في كل جيل أفواجاً بنفس القوالب، وبذات العقلية المعكوسة والنفسية المنكوسة !
«كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ، تَسَابَهْتَ قُلُوبُهُمْ» ١١٨ - البقرة.

وجرائمهم في حق الملايين من عباد الله، هي هي، واحدة في الجوهر وان تطورت أشكالها. بل هي واحدة حتى في الشكل والتفاصيل في كثير

من الأحيان! ويالها من جرائم يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، وتكدح فيها أجيال المستضعفين حتى تلاقي ربّها.

وقصة تكذيبهم لأنبياء الله وكتب الله، واضطهادهم للأنبياء والمؤمنين.. قصة واحدة متصلة الى يومنا هذا «كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَوٍ! أَنْوَاصًا بِهِ! بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ» ٥٢- ٥٣- الذاريات.

وأنّها لقصة تتنّ منها بقاع الأرض، وبيكي منها التاريخ، وتنوح بمأساتها الطيور على أغصانها، وتضجّ لها الملائكة في السماوات.. وتدمى بها قلوبنا جيلاً بعد جيل فيموت المؤمن متاً أو يقتل وفي قلبه ذلك الغيظ التاريخي من جرائمهم لا يهدأ ولا يشفى...

قتلونا زرافات ووحداناً، نشرونا بالمناشير. قطعوا متناً الألسن والأيدي والأرجل والرؤوس.. رمونا في الآبار بعد أن غرسوا فيها أسنة الرماح.. ألقوا بنا وبأطفالنا ونسائنا في خنادق مضطربة بالنار، وفي قدور الماء تفور، وفي أحواض المواد الكيماوية.. قتلونا في قعور السجون المظلمة الرطبة والحارة.. رموا بنا طعاماً للأسود والوحوش في حدائقهم. ألقونا مقيّدين في الفلوات للذئاب، وفي الثلوج للهلاك، وفي البحار والأنهار والبحيرات للغرق...

قتلونا بكلّ نوع من القتل يخطر أو لا يخطر على بال.. وعدّبونا بأنواع العذاب التي تخطر أو لا تخطر على بال!

وكان أذاهم المعنوي أشدّ علينا من كلّ ذلك.. أهانوا كراماتنا. اتهمونا بكلّ قبيح، هتكوا أعراضنا. سلطوا السفهاء علينا. أخذوا ديارنا وأموالنا. حاربونا في لقمة عوائلنا. منعوا ثدي الأمّ عن فم أطفالنا.

صادروا وجودنا وحرّيتنا، ومنعونا أن نتصل بجماهير المستضعفين من عباد الله، أن نقول لهم كلمة، خوفاً أن تعرف الجماهير الله ورُسله وتعي طغيانهم فتثور عليهم.

وكأنّ إبليس على مرّ القرون يكرّر نسخة الواحد من هؤلاء المجرمين كلّما اتسع عدد البشر على الأرض.. فيصبح الفرعون الواحد مئة، والقارون الواحد ألفاً، وعشرات السفهاء من أزلامهم مئات الألوف..! إنّ غيظ قلوب المستضعفين من هؤلاء الطغاة مزمن، وثارات المؤمنين عندهم قديمة جديدة. وإنّ الأمل بأن يهدوا و يصلحوا يشبه الأمل بأن يخضر القسم اليابس من الشجرة ولا ينشر اليبس في بقيتها، بل يشبه الأمل بأن تتحول الغدة السرطانية الى جزء مسالم نافع للجسم.

لقد خبرناهم على مرّ التاريخ فلم ينفع معهم علاج إلاّ غضب إلهي يطهر الأرض منهم بطوفان، أو بصاعقة من السماء، أو بسيف محمد (ص) يجزّ منهم الرقاب، أو بسيف ولده المهدي عليه السلام في مرحلة التطهير النهائية.

إنّ الأحاديث الشريفة عن انتقام المهدي عليه السلام من أعداء الله تعالى تدلّ على أنّ حركة صراع المؤمنين التاريخية معهم تبلغ مرحلتها الأخيرة -وهل التاريخ إلاّ قصة صراعنا معهم- وأن الوقت يكون قد حان لأنّ يسترد المؤمنون حقّهم المسلوب المغصوب، ويرثوا أرض ربّهم، وينهوا منها مسلسل الظلم والجرائم، ويملئوها بالقسط والعدل بين عباد الله.

ومثل هذه العملية الجراحية تحتاج الى امام مهدي ينظر بنور الله فيقتل كل من امتلأ روجه بالشرّ وكل من لا يؤمن شرّه على المسيرة

الجديدة، حتى لو كان من المنتمين الى المسلمين «بَسِيرُ بِالْقَتْلِ، بِذَلِكَ أَفْرَ
بِالْكِتَابِ الَّذِي مَعَهُ: أَنْ يَسِيرَ بِالْقَتْلِ وَلَا يَسْتَيْبَ أَحَدًا، وَنِلَ لِمَنْ نَاوَاهُ؟» البحار
ج ٥٢ ص ٣٥٣.

إنَّ عملية تطهير الأرض وحلَّ أزمة المستضعفين مع المستكبرين
تستحقُّ أن يكون ثمنها إبادة أعداء الله وأعداء عباده حتى لو بلغوا
الملايين... بل إنَّ عملية تطهير أمة رسوله الله (ص) التي تبلغ مليار
إنسان تستحق إبادة أعدائهم المحسوبين عليهم حتى لو كانوا مليون شخص
أو بضعة ملايين.

ولعلنا جميعاً نقبل هذه المعادلة نظرياً، ولكن لماذا يختلف موقفنا اذا
رأينا تطبيقها؟

إنَّها كالعلمية الجراحية التي يسهل على الطبيب إقناع الناس بها،
ولكن من يتحمَّل أن يجربها الطبيب على مرأى منه ومسمع وبدون دواء
مخدَّر للمريض؟؟

وإذا كان الطبيب يستطيع أن يخدِّر المريض فلا يعلو صراخه، وأن
يجري العملية في معزل عن الناس، فإنَّ عملية المهدي عليه السلام
لاستئصال أعداء الله من المجتمع لا يوجد لها مخدِّر يمنع الصراخ، ولا يمكن
أن تتم في معزل عن الناس.. ولذلك فالذين يحتملون رؤية الدماء تسفك
والأرواح تزهق والرؤوس تطيح.. هم أهل الإدراك العقلي والعقائدي،
والأعصاب القوية..

سيصف الإعلام العالمي المهدي عليه السلام بأنه متعطش للدماء!
وسيقولون فيه أضعاف ما قالوا في الإمام الخميني وفي المجاهدين المسلمين
الذي يصفونهم بالمتطرفين الإرهابيين. لأنَّ حركة المهدي عليه السلام

ستكون عليهم أكبر من كلّ مارأوه من قبلها:

«إِذَا ظَهَرَتْ رَأْيَةُ الْحَقِّ لَعَنَتَهَا أَهْلُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ. أَتَدْرِي لِمَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: لِلَّذِي يَلْقَى النَّاسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَبْلَ خُرُوجِهِ» البحار ج ٥٢ ص ٣٦٣

بل سيحركون ضده المنافقين من المسلمين وفيهم بعض المتزيين بزي علماء المسلمين فيصدرون الفتاوى بأن عمل المهدي عليه السلام مخالف للشريعة الاسلامية!! «أَعْدَاؤُهُ مُقَلَّدَةُ الْفُقَهَاءِ... وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ بِيَدِهِ لَأَفْتَوْا بِقَتْلِهِ» اسعاف الراغبين ص ١٤٣.

و يصل أمر هذه العملية الجراحية الى حدّ أنّ أحد أصحاب المهدي عليه السلام على ايمانه وشجاعته يرتجف و يدخل قلبه الريب لكثرة ما يرى من سفكه عليه السلام للدماء الفاسدة... ولكنّه سرعان ما يعود الى يقينه حين يعلم أنّ ذلك إنّما هو بعهد معهود من رسول الله (ص).

أمّا بقية أصحابه، وأمّا جماهيره الواسعة فهم يدركون بوعيهم وفطرتهم أنّ ما يأمر به هو الحقّ، وأنّه المهديّ الملمه من الله تعالى والمبشّر به من نبيّه (ص)، وأنّهم يطيعون الله ورسوله بتنفيذ أوامره ولوأمرهم أن يجروا من دماء أعدائه أنهاراً..

وَلَتَجْرَ الْأَرْضُ مِنْ دَمَاءِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَنْهَاراً.. فإذا نصنع اذا كان ذلك هو الطريق الوحيد لايقاف أنهار الظلم السوداء النتنة، واجراء أنهار العدالة الإلهية المضيئة بين عباد الله.. إن الوجه الآخر لحبّ المساكين والمستضعفين هو الانتقام من أعدائهم وظالمهم وقد أمرنا الله تعالى فقال «فَاتْلُوهُمْ بَعْدَ نَبِهِمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَبُخِزِهِمْ، وَبَنَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ».

«وَهُوَ سَمِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَكُنْيَتُهُ، وَهُوَ الَّذِي تُظَلُّو لَه الْأَرْضُ وَبِذَلِكَ لَهُ كُلُّ صَغْبٍ

وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقْاصِي الْأَرْضِ،
 وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ «أَنْتُمْ تَكُونُوا بَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ»، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ (الإخلاص خ ل) أَظْهَرَ أَمْرَهُ فَإِذَا
 كَمُلَ لَهُ الْعَقْدُ (العقد خ ل) وَهُوَ عَشْرَةُ آلَافٍ رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا بَرَأَلَ يَقْتُلُ
 أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى. قُلْتُ: وَكَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ رَضِيَ؟ قَالَ: يُلْقِي
 اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ». كمال الدين - الصفحة المتقدمة

* *

الفصل الثالث

المتمهدون للمهديّ (ع)

أحاديث المهديين

(١) حديث (حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود)

نص الحديث من مستدرک الحاكم :

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَخَرَجَ إِلَيْنَا مُسْتَبْشِرًا يُعْرِفُ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ، فَمَا سَأَلْنَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ، وَلَا سَكَنَّا إِلَّا ابْتَدَأْنَا .. حَتَّى مَرَّتْ فِئْتَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فِيهِمُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَلَمَّا رَأَاهُمُ التَّرَمَّهُمْ وَأَنهَمَلَتْ عَيْنَاهُ .. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ! فَقَالَ:

إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ سَيَلْقَى أَهْلُ بَيْتِي مِنْ بَعْدِي تَطْرِيدًا وَتَشْرِيدًا فِي الْبِلَادِ حَتَّى تَرْتَفِعَ رَايَاتُ سُودٍ فِي الْمَشْرِقِ فَيَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ ثُمَّ يُسْأَلُونَهُ فَلَا يُعْطَوْنَهُ ثُمَّ يُسْأَلُونَهُ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيَقَاتِلُونَ فَيَنْصُرُونَ .. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ وَمِنْ أَعْقَابِكُمْ فَلْيَأْتِ إِمَامَ أَهْلِ بَيْتِي وَلَوْ حَبْرًا عَلَى النَّلِجِ، فَإِنَّهَا رَايَاتُ هُدًى يَدْفَعُونَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِي إِسْمُهُ إِسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ إِسْمُ أَبِي قَيْمَلِكُ الْأَرْضِ فَيَمْلُؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلِئْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا».

أخرجه:

- الحاكم في المستدرک ج ٤ - ص ٤٦٤ و ص ٥٥٣.
- الحنفي في كز العمال ج ٧ - ص ١٨٧.
- ابن ماجه في سننه ج ٢ - ص ٥١٨ و ٢٦٩.
- ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٠٠.
- السيوطي في العرف الوردي ج ٢ - ص ٦٣ و ٦٨. وأخرجه في الحاوي ج ٢ ص ١٢٧ وقال: أخرجه ابن شيبه، ونعيم بن حماد في الفتن، وأبو نعيم عن ابن مسعود.
- القندوزي في ينابيع المودة ص ١٩٣ و ٤٣٣ نقلًا عن مسند أبي حاتم، وصحيح حبان، وكتاب ابن السري.
- الجمع بين الصحاح في آخره.
- الشافعي في عقد الدرر حديث ١٦٢ و ١٦٤ ص ١٢٤.
- ابن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٤ و ٨٥ وغيرها (من المخطوطة).
- ابن خلدون في مقدمته ص ٢٦٧.
- قال ابن الصديق الحضرمي: رواه الحاكم في المستدرک (وذكر سنده عن عبدالله بن مسعود) ورواه ابن ماجه (وذكر سنده عن عبدالله بن علقمة) وقال: رجاله كلهم ثقات.
- ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣٠ و ١١٧.
- البحراني في غاية المرام ص ٥٧٠ نقلًا عن الأربعين حديثاً لأبي نعيم.
- ابن أبي شيبه في المصنف ج ١٥ ص ٢٣٥.
- الداني في سننه ص ٩٣.

ملاحظات حول رواية هذا الحديث:

(١) روت المصادر المذكورة وغيرها هذا الحديث الشريف بصيغ متقاربة، مع بعض الفروق في الألفاظ وال فقرات. وفي أكثرها لا توجد فقرة (واسم أبيه كاسم أبي) وفي عدد منها كالحاوي للسيوطي وعقد الدرر للشافعي والفتن والملاحم لابن حماد والملاحم والفتن لابن طاووس ورد فيها «حَتَّى بَتَّعَتَ اللَّهُ رَايَةَ مِنَ الْمَشْرِقِ سَوْدَاءَ مَنْ نَصَرَهَا نَصْرَةَ اللَّهِ وَمَنْ خَذَلَهَا خَذَلَهُ اللَّهُ حَتَّى يَأْتُوا رَجُلًا إِسْمُهُ إِسْمِي فَيُؤْتُوهُ أَمْرَهُمْ فَيُؤْتِدُهُ اللَّهُ».

(٢) هذا الحديث واحد من عدة أحاديث عن الرايات السود أو رايات المشرق الممهدة للمهدي (ع) ولكنه أطولها وأوسعها انتشاراً في مصادر الحديث، ولا يبعد أن يكون هو الأصل لعدة أحاديث ذكرتها المصادر كأنها أحاديث مستقلة بينما هي أجزاء منه منقولة لفظاً أو معنى. ومن ذلك الحديث الذي يضاهيه في الشهرة والانتشار في المصادر «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّيَّاتِ السُّودَ خَرَجَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَّاسَانَ فَأَتُوها وَلَوْ حَبْوًا عَلَى النَّلْجِ فَإِنَّ فِيها خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِي» الذي رواه كنز العمال، وابن ماجه وعقد الدرر، وابن حمَّاد، والصواعق المحرقة، والحاوي وغيرهم.

ولعلَّ من ذلك أيضاً حديث «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ يُؤَطُّونَ لِلْمَهْدِي

سُلْطَانَهُ» الذي رواه عدد من أهل الصحاح كابن ماجه وأحمد وغيرهم.

ومارواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٥١ - ص ٨٣ - وج ٥٢ - ص ٢٤٣،

عن الإمام الباقر (ع) قال «كَانَ يَقُومُ قَدْ خَرَجُوا بِالْمَشْرِقِ يَظْلِمُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَ ثُمَّ يَظْلِمُونَ فَلَا يُعْطَوْنَ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ وَضَعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ.. فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ، حَتَّى يَقُومُوا، وَلَا يَدْفَعُونَهَا إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُمْ (أي المهدي عليه السلام) قَتَلَهُمْ شُهَدَاءَ، أَمَا إِنِّي لَوَ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لَأَبْقَيْتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ».

(٣) روى الحنفي في كنز العمال ج ٦ - ص ٦٨ حديثاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بمشابهة التعليق على حديث النبي (ص) عن عامر بن الطفيل أنه قال له «يا عامرُ إذا سَمِعْتَ بِالرَّيَابِ السُّودِ مُقْبِلَةً مِنْ خُرَاسَانَ فَكُنْتَ فِي صُنْدُوقِ مُقْفَلٍ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ ذَلِكَ الْقِفْلَ وَذَلِكَ الصُّنْدُوقَ حَتَّى تُقْتَلَ تَحْتَهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَتَدْخُرْ حَتَّى تُقْتَلَ تَحْتَهَا».

(٢) أنها غير رايات بني العباس

«تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ رَايَاتُ سُودٍ لِبَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَمَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَخْرُجُ رَايَاتُ سُودٍ صِغَارًا تُقَاتِلُ رَجُلًا مِنْ وُلْدِ أَبِي سَفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، وَيُؤَدُّونَ الْقَطَاعَةَ لِلْمَهْدِيِّ».

- أخرجه السيوطي في العرف الوردي ج ٢ - ص ٦٩.

- وابن حمّاد في الفتن والملاحم بألفاظ مختلفة ص ٥٢ و ٨٤ و ٨٥

(من المخطوطة).

- وابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣٣.

وسوف نذكر محاولة بني العباس تطبيق أحاديث النبي (ص) عن

رايات المشرق والمهدي (ع) على راياتهم وملوكهم.

(٣) حديث «هم أهل الرايات السود المستضعفون»

«فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِ (أي على السفياي) فَتَى مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ، هُمْ أَصْحَابُ الرَّايَاتِ السُّودِ الْمُسْتَضْعَفُونَ يُعِزُّهُمْ اللَّهُ وَنُزِّلَ عَلَيْهِمُ النَّصْرُ فَلَا يُقَاتِلُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا هَزَمُوهُ».

أخرجه الحنفي في كنز العمال ج ٧ - ص ٢٦٢.
والسيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي.
وابن طاووس في الملاحم والفتن ص ١٥٠.

(٤) حديث «فلا يرد لها شيء حتى تنصب في ايلياء»

«تَخْرُجُ مِنْ خُرَّاسَانَ رَايَاتٍ سُودًا فَلَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ فِي إِيلْيَاءَ»

أخرجه الحنفي في كنز العمال ج ٧ - ص ٢٦٢ نقلاً عن مسند أحمد
وجامع الترمذي بسنديهما عن أبي هريرة. وأخرجه الترمذي في سننه ج ٣
ص ٣٦٢.

وأخرجه السيوطي في الحاوي ج ٢ - ص ١٢٧، وفي العرف الوردي
ج ٢ - ص ٦٠.

وأخرجه ابن كثير في النهاية وقال: هذه الرايات ليست هي التي
أقبل بها أبو مسلم فاستلب بها دولة بني أمية، بل رايات سود أخرى تأتي
صحبة المهدي.

وصححه الصديق الحضرمي في رسالته في الرد على ابن خلدون وقال رواه البيهقي في الدلائل.

وروى قريباً منه ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٤٣ و ٥٨.

وروى في صفحة ٣١ عن سفيان الكلبي «يَخْرُجُ عَلِيٌّ لِوَاءِ الْمَهْدِيِّ عَلَامٌ حَدِيثُ السَّنِّ خَفِيفٌ اللَّمَّةِ أَضْفَرُ، لَوْ قَاتَلَ الْجِبَالَ لَهَدَّهَا» وفي رواية أخرى يقاتل حتى ينزل ايلياء.

وروى نعيم بن حماد في الفتن ص ٨٤ (مخطوطة) عن محمد بن الحنفية قال: «تَخْرُجُ رَايَاتُ سُودٍ لِيَتَّبِعِي الْعَبَّاسَ ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ خُرَّاسَانَ الْآخَرَى سُودٌ قَلَانِسُهُمْ سُودٌ وَيَتَابُهُمْ بِيضٌ عَلِيٌّ مُقَدَّمَتَيْهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ مِنْ تَمِيمٍ يَهْزِمُونَ أَصْحَابَ السُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ يُوقَلِيءُ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ، وَيَمُدُّ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مِائَةٍ مِنَ الشَّامِ. يَكُونُ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى الْمَهْدِيِّ إِثْنَانِ وَسَبْعُونَ شَهْرًا.

وروى قريباً منه الصبان الشافعي في اسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار ص ١٢٧.

(٥) أحاديث دخول الإيرانيين الى دمشق

وهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يتعلق بريايات بني العباس وأبي مسلم الخراساني وأصحابه، وقد رواها ابن حماد تحت عنوان (خروج بني العباس) من ص ٥٢ الى ٥٦ من مخطوطة الفتن والملاحم، منها:

«تُقْبَلُ الرَّيَّاتُ السُّودُ مِنَ الْمَشْرِقِ يَقُودُهُمْ رِجَالٌ كَالْبُخْتِ الْمُجَلَّلَةِ أَصْحَابُ

شُعُورٍ، أَنَسَابُهُمُ الْقُرَى وَأَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، يَفْتَحُونَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ تَرْفَعُ عَنْهُمْ الرَّحْمَةُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ».

ومنها: «يَدْخُلُونَ دِمَشْقَ بِرَايَاتٍ سُودٍ عِظَامَ فَيَقْتُلُونَ فِيهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً شِعَارُهُمْ يَكُشُّ بِكُشٍّ» ومعنى بكش بالفارسية: اقتل.

وفي رواية أخرى «أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى وَقَبَائِلُهُمُ الْقُرَى وَعَلَيْهِمْ نِيَابٌ كَلَوْنِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ تَعُوذُ بِهِمْ إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ».

وفي أخرى «لَا يَفُونَ بِعَهْدٍ وَلَا مِيثَاقٍ يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَيَسْأَوْنَ مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى وَتَسْبِيحُهُمُ الْقُرَى، وَشُعُورُهُمْ مُرَخَّاهُ كَشُعُورِ النِّسَاءِ».

والقسم الثاني: يتعلق بدخول الرايات السود الصغار مع المهدي عليه السلام، وقد رواها ابن حمّاد في مخطوطته ص ٩٥ الى ٩٩ تحت عنوان خروج المهدي الى بيت المقدس وفي أمكنة أخرى منها:

«يَخْرُجُ (أي المهدي عليه السلام) مِنْ مَكَّةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ قَلُوا وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ كَثُرُوا، يَسِيرُ الرُّعْبَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يُبْلَغُهُ عَدُوٌّ إِلَّا هَرَمَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، شِعَارُهُمْ أُمْتٌ أُمْتٌ، لَا يُبَالُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لِائِمِّهِمْ، فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ سَبْعَ رَايَاتٍ مِنَ الشَّامِ فَيَهْرِمُهُمْ وَيَمْلِكُ فَتَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ نِعْمَتُهُمْ وَمَحَبَّتُهُمْ».

ومنها مارواه في ص ٨٥ (عن ابن شوذب قال كنت عند الحسن (البصري) فذكرنا حمص فقال: هُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْمُسَوَّدَةِ الْأُولَى وَأَشْقَى النَّاسِ بِالْمُسَوَّدَةِ الثَّانِيَةِ، فَقُلْنَا وَمَا الْمُسَوَّدَةُ الثَّانِيَةُ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ فَقَالَ قَالَ أَبُو الْقَظْهَوِيِّ «تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا مَخْشَوْهَ قُلُوبُهُمْ إِمَانًا حَشَوَ الرِّمَانَةَ مِنَ الْحَبِّ، بَوَازُ الْمُسَوَّدَةِ الْأُولَى عَلَى أَيْدِيهِمْ».

ومنها مارواه في ص ٨٤ «تَخْرُجُ رَايَةٌ سَوْدَاءَ لِبَيْتِي الْعَبَّاسِ ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ

خُرَاسَانَ أُخْرَى سَوْدَاءَ فَلَانَسُهُمْ سُودٌ وَتَابَهُمْ بِيضٌ، عَلَى مُقَدَّمِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ أَوْ صَالِحُ بْنُ شُعَيْبٍ مِنْ تَيْمِيمٍ، يَهْزُمُونَ أَصْحَابَ الشُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ يُوقِظُ لِمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ، وَيَمُدُّ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مِائَةٍ مِنَ الشَّامِ، يَكُونُ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلَّمَ الْأَمْرَ لِلْمَهْدِيِّ إِثْنَانِ وَسَبْعُونَ شَهْرًا».

والقسم الثالث يدل على دخولهم الى دمشق قبل ظهور المهدي (ع) منها مارواه ابن حماد في الفتن والملاحم ص ٧١ (مخطوطة).

«يَدْخُلُ أَوَّلُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَيَبْنَاهُمْ يَنْظُرُونَ فِي أَعَايِبِهِ إِذْ رَحَفَتِ الْأَرْضُ فَانْقَعَرَ غَرْبِيُّ مَسْجِدِهَا، وَيُخَسَفُ بِقَرْنِيهِ يُقَالُ لَهَا حَرَشْنَا، ثُمَّ يَخْرُجُ عِنْدَ ذَلِكَ الشُّفْيَانِيُّ فَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَهُمْ مِصْرَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُقَاتِلُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ».

ومارواه في ص ٧٩: «يُبَايِعُ الشُّفْيَانِيُّ أَهْلَ الشَّامِ فَيُقَاتِلُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ فَيَهْزُمُهُمْ مِنْ فِلَسْطِينَ حَتَّى يَنْزِلُوا مَرْجَ الصُّفْرِ، ثُمَّ يَلْتَقُونَ فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَنْزِلُوا النَّيْبَةَ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَأْتُوا الْحِصَّ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ، حَتَّى يَبْلُغُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْحَرَبِيَّةِ يَعْنِي قَرْقِيسِيَا، ثُمَّ يَقْتُلُونَ فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى عَاقِرِ قَوْقَا، ثُمَّ يَقْتُلُونَ فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَيَحُورُ الشُّفْيَانِيُّ الْأَمْوَانَ.

ثُمَّ تَخْرُجُ فِي حَلْقِ الشُّفْيَانِيِّ فُرْحَةٌ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى الْكُوفَةِ عَدْوَةً وَيَخْرُجُ مِنْهَا بِالْعَشِيِّ بِجُمُوشِهِ، فَإِذَا كَانَ بِأَقْوَاهِ الشَّامِ تُوقِظُ وَتَأْرَأْهُ الشَّامُ فَيَأْبَعُوا ابْنَ الْكَلْبِيِّ إِسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْكَلْبِيِّ غَايِرُ الْعَيْنَيْنِ مُسَوِّءُ الْوَجْهِ. فَيَبْلُغُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَفَاةُ الشُّفْيَانِيِّ يَقُولُونَ ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الشَّامِ فَيُتُورُونَ وَيَبْلُغُ ابْنَ الْكَلْبِيِّ فَيُتُورُ بِجُمُوعِهِ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ بِالْأَلْوِيَةِ فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْكُوفَةَ فَيَقْتُلُ

لُمُفَاتِلَةٍ وَبَسْبِي الدَّرْتَةَ وَالتَّسَاءَ ثُمَّ يُخْرِبُ الكُوفَةَ، وَيَبْعَثُ مِنْهَا جَيْشاً إِلَى الْحِجَازِ».

(٦) في تفسير قوله تعالى «بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد»

روي في البحار ج ٦٠ - ص ٢١٦ «عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) جَالِساً إِذْ قَرَأَ هَذِهِ آيَةَ «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً» فَقُلْنَا جُعِلْنَا فِذَاكَ مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: هُمْ وَآلِهِ أَهْلُ قُمْ، هُمْ وَآلِهِ أَهْلُ قُمْ، هُمْ وَآلِهِ أَهْلُ قُمْ».

وروى العياشي في تفسيره عن حمران عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: «كَانَ يَقْرَأُ «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» ثُمَّ قَالَ: وَهُوَ الْقَائِمُ وَأَصْحَابُهُ أَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ».

وفي تفسير نورالثقلين نقلاً عن الكافي «قَوْمٌ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ فَلَا يَدْعُونَ وَتَرَأَى لَأَلٍ مُحَمَّدٍ إِلَّا قَتَلُوهُ».

(٧) حديث «رجل من أهل قم يدعوا الناس الى الحق».

روي في البحار ج ٦٠ - ص ٢١٦ و ٤٤٦ عن أبي الحسن الرضا (ع) قال:

«رَجُلٌ مِّنْ قُمَّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ قَلْبُهُمْ كَرُّبِ الْحَدِيدِ لِأَنْزِلَتْهُمْ الرِّيحُ وَالْعَوَاصِفُ، وَلَا يَمْلِئُونَ مِنَ الْحَرْبِ وَلَا يَجْبُونُ، وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

(٨) حديث «تكون قم وأهلها حجة على الخلائق»

روي في البحارج ٦٠ - ص ٢١٣ عن علي بن ميمون الصائغ عن الامام الصادق عليه السلام قال «وَسَيَأْتِي زَمَانٌ تَكُونُ بِلْدَةُ قَمٍّ وَأَهْلُهَا حُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ، وَذَلِكَ فِي زَمَانٍ غَيَّبَهُ فَايْمُنَا إِلَى ظُهُورِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَاخَتْ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا».

وروي بأسانيد أخرى أيضاً عن الامام الصادق عليه السلام أنه ذكر الكوفة وقال: «سَتَخْلُو كُوفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَأْزُرُ عَنْهَا الْعِلْمُ كَمَا تَأْزُرُ الْحَبَّةُ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبِلْدَةِ يُقَالُ لَهَا قَمٌّ وَتَصِيرُ مَعْدِنًا لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مُسْتَضْعَفٌ فِي الدِّينِ حَتَّى الْمُخَدَّرَاتُ فِي الْحِجَالِ، وَذَلِكَ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ قَائِمِنَا، فَيَجْعَلُ اللَّهُ قَمٍّ وَأَهْلَهُ فَايْمِينَ مَقَامَ الْحُجَّةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَاخَتْ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ حُجَّةٌ، فَيَفِيضُ الْعِلْمُ مِنْهُ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتَبْقَى حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهِ الدِّينَ وَالْعِلْمَ. ثُمَّ يَظْهَرُ الْقَائِمُ وَتَصِيرُ سَبَابًا لِنِقْمَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَى الْعِبَادِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا بَعْدَ إِتْكَارِهِمْ حُجَّةً».

(٩) حديث «يخرج رجل قبل المهدي»

«يَخْرُجُ رَجُلٌ قَبْلَ الْمَهْدِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى عَاتِقِهِ نَمَائِيَةً أَشْهَرُ يَفْتُلُ وَيَقْتُلُ (يُمْتَلُّ) وَتَتَوَجَّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَا يَبْلُغُهُ حَتَّى يَمُوتَ».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٧ - ص ٢٦١.

والسيوطي في العرف الوردى ج ٢ - ص ٧٠ وفي الحاوي ج ٢

- ص ١٤٢ و ١٤٦.

ابن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٦ و ٩٦ (مخطوطة).

والكاظمي في بشارة الاسلام ص ١٨٤ و ١٧٧.

«بَخْرُجُ رَجُلٍ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ حَرَائَتْ عَلَى مُقَدَّمَتَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ

مَنْصُورٌ يُوطِيءُ أَوْ يُمَكَّنُ لِأَيِّ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَّنَتْ فُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى كُلِّ

مُؤْمِنٍ نَضْرَةٌ، أَوْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٦ - ص ٩٣.

والسيوطي في العرف الوردى ج ٢ - ص ٥٢ وفي الحاوي ج ٢

- ص ١٢٦.

وأبوداود في سننه كما في التاج الجامع للأصول ج ٥ - ص ٣٦٤.

والقندوزي في ينابيع المودة ج ٣ - ص ٨٧.

«فَبِإِذَا انْقَضَى مُلْكُ بَنِي فَلَانٍ، أَتَاهُ اللَّهُ لِأَيِّ مُحَمَّدٍ بِرَجُلٍ مِّنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يَسِيرُ

بِالْقِسِيِّ وَيَتَمَلُّ بِالْهُدَى، وَلَا يَأْخُذُ فِي حُكْمِهِ الرَّشِي، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ

أَبِيهِ.. ثُمَّ يَأْتِينَا ذُو الْخَالِ وَالشَّامَتَيْنِ الْعَادِلِ، الْحَافِظِ لِمَا اسْتَوْدَعَ فَيَمْلُؤُهَا قِنِطًا

وَعَدْلًا».

رواه الكاظمي في بشارة الاسلام ص ١٤١.

(١٠) في تفسير آية «وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم».

قال صاحب تفسير الكشاف ج ٤ - ص ٣٣١ في تفسير قوله تعالى «وَأَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّةً لَكُمْ» سورة محمد آية ٣٨ قال: «وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنِ الْقَوْمِ وَكَانَ سَلْمَانُ إِلَىٰ جَنْبِهِ فَضْرَبَ عَلَيَّ فَيَخِذِهِ وَقَالَ: هَذَا وَقَوْمُهُ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثَّرَىٰ لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ».

وأخرجه الترمذي، وابن حبان والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم عن طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، وله طرق عنه وعن غيره» (أخرجه الترمذي ج ٢ ص ٦٠).
وقال صاحب تفسير الميزان ج ١٨ - ص ٢٥٠:

«في الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبري في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال «تَلَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) هَذِهِ الْآيَةَ (وَأَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّةً لَكُمْ) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبْدَلُوا بِنَا؟ فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ مِنْكَبِ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: هَذَا وَقَوْمُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثَّرَىٰ لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ».

وروي بطرق أخرى عن أبي هريرة مثله، وكذا عن ابن مردويه عن جابر مثله.

وحديث «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ فِي الثَّرَىٰ لَتَنَاوَلَهُ (لَتَنَاهُ) رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ (وَلَوْ كَانَ

العِلْمُ فِي الثَّرِيَّا لَتَتَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ) حديث مشهور بين المسلمين أخرجه البخاري في تفسير سورة ٦٢ ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣١ والترمذي في تفسير سورة ٤٧، ٦٢ وأحمد في ج ٢ - ص ٢٩٧ و ٢٩٧ و ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٤٦٩. وأخرجه عبدالرزاق في المصنف ج ١١ ص ٥٧ عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج ٢ ص ٢٠٦ وجاء في التعليق عليه: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٦٤ من رواية ابن أبي ليلى والبنزاز والطبراني مرفوعاً وقال: رجاله رجال الصحيح.

(١١) في تفسير آية «وآخرين منهم لما بلحقوا بهم»

«كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَأَنْزِلَتْ سُورَةُ الْجُمُعَةِ فَتَلَّاهَا حَتَّى بَلَغَ (وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا بَلَّحُوا بِهِمْ) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِنَا؟ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ فِينَا فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ بِالثَّرِيَّا لَتَتَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ».

قال في الجامع الصحيح ج ٢ - ص ٣٨٣: رواه الترمذي وقال هذا

حديث حسن.

ورواه أحمد في مسنده ج ٢ - ص ٤١٧ وروى قريباً منه في ج ٢

- ص ٢٩٧ و ٤٢٠ و ٤٦٩، ورواه غيره من أهل الصحاح كما تقدم ومنهم

مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٩٧٢.

(١٢) حديث «ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»

«جاء الأشعثُ إليه (الي علي (ع)) وهو على المنبرِ فجعلَ يتخطفُ رِقابَ الناسِ حتى قُربَ منه ثم قالَ له: يا أميرَ المؤمنين غلبتنا هذه الحُمراءُ على قُربِكَ - يعني العجم - فركضَ المنبرَ يركضُ حتى قالَ صغصعهُ بنُ صوحانَ: ما لنا ولاشعثُ! ليقولنَّ أميرُ المؤمنينَ اليومَ في العَرَبِ قولاً لايزالُ يُذكرُ، فقالَ (ع) «من غديري من هؤلاءِ الضيَّاطرةِ، يتمرغُ أحدُهُم على فراشه تَمَرغُ الحِمَارِ ويهجرُ قوماً للذِّكرِ! اقتامُرني أنُ أُظردَهُم؟! ما كنتُ لأظردَهُم فأكونَ مِنَ الجاهِلينَ. أما واللَّدي فلنَّ ألحَبَّهُ وبرَّأ النَّسَمَةَ ليضربُنكم على الدِّينِ عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

أخرجه بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٨٤.

وأخرج أحمد في مسنده ج ٥ - ص ١١ عن النبي (ص) أنه قال:

«بوشك أن يَملاً اللهُ تبارك وتعالى أيدِيكم مِنَ العَجَمِ ثم يَكُونُونَ أَسَدًا لا يَفِرُونَ فَيَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتِكُمْ وَلا يَأْكُلُونَ قِنَاكُمْ».

وروى قريباً منه ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ١١٠ و ١٥١.

والحُمراءُ: بضم الحاء وفتح الميم جمع أحمرة قال لمن لوهم أبيض.

ومعنى غلبتنا على قُربِكَ: أنهم أحاطوا بمنبرك فصاروا أقرب اليك منّا.

والضيَّاطرةُ: جمع ضيطر وهو الرجل الضخم الفارغ.

وعن أبي هريرة قال: «ذِكِرَتِ الأعاجِمُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ (ص) فَقالَ

النَّبِيُّ (ص): لا تَأْتِي بِهِمْ (أَوْ يَبْغِضِيهِمْ) أَوْ تَقُ مِني بِكُمْ (أَوْ يَبْغِضِيكُمْ)» أخرجه

الترمذي ج ٥ ص ٣٨٢.

(١٣) حديث كنوز الطالقان

«وَيْحاً لِلطَّلَاقَانِ فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا كُنُوزاً لَيْسَتْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، وَلَكِنْ بِهَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَهُمْ أَنْصَارُ الْمَهْدِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٧ - ص ٢٦٣.

والسيوطي في العرف الوردی ج ٢ - ص ٨٢.

والقندوزي في ينابيع المودة ص ٤٤٩ وفيه «بَيِّحُ بَيْحٍ لِلطَّلَاقَانِ».

وابن الاعتم الكوفي في كتابه الفتوح.

وابن حماد في الفتن والملاحم ص (مخطوطة).

والكنجي في البيان ص ١٠٦.

وروى المجلسي في البحار ج ٥٢ - ص ٣٠٨ «لَهُ كَنْزٌ بِالطَّلَاقَانِ مَا هُوَ

بِذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، وَرَأَيْتُهُ لَمْ تُنَشْرُ مِنْذُ طُوبَى، وَرِجَالٌ كَأَنَّ فُلُوقَهُمْ زُبُرُ الْحَدِيدِ

لَا يَشُوبُهَا شَكٌّ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَشَدُّ مِنَ الْجَمْرِ، لَوْ حَمَلُوا عَلَى الْجِبَالِ لِأَزَالُوهَا،

لَا يَفْصِدُونَ بِرَأْيَانِهِمْ بَلَدَةً إِلَّا خَرَّبُوهَا، كَأَنَّ عَلَى خِيُولِهِمُ الْعُقَابُ، يَتَمَسَّحُونَ بِسَرَجِ

الإمام يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ وَيَحِقُّونَ بِهِ يَقْوَتَهُ بِأَنْفُسِهِمْ فِي الْخُرُوبِ، وَيَكْفُونَهُ مَا يُرِيدُ

مِنْهُمْ».

(١٤) حديث الهاشمي الخراساني وشعيب

«يَخْرُجُ سَابٌّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. بِكَفِّهِ الْيَمْنَى لُحَاً، مِنْ خُرَاسَانَ بِرَأْيَانِ سُودٍ، بَيْنَ

يَدَيْهِ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ، يُقَاتِلُ أَصْحَابَ السُّفْيَانِيِّ فَيَهْزِمُهُمْ».

أخرجه:

- نعيم بن حماد في الملاحم والفتن ص ٨٤ و ٨٥ (مخطوطة).
 وقريباً منه الشافعي في عقد الدرر ج ١٧٦ و ١٢٨.
 والسيوطي في العرف الوردي ج ٢ - ص ٦٦ و ٦٧ و ٦٨.
 وابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣١.
 وابن حجر في الفتاوى ص ٢٧.
 وفي القول المختصر وفيه (في كفه اليسرى خال).
 وابن الصبان في اسعاف الراغبين (المطبوع على هامش نور الأبصار)
 ص ١٢٧.
 والكنجى في البيان ص ٣٣٠ وقال رواه الطبري وأبونعيم.
 وفي مجمع الفوائد ومنبع الزوائد ج ٧ - ص ٣١٨.
 وابن خلدون في المقدمة ص ٢٦٩.
 والحنفي في كنز العمال ج ٧ - ص ٢٦٠. وفيه (في كفه اليسرى خال
 وَعَلَى مُقَدِّمَتَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُدْعَى شَعِيبَ بْنَ صَالِحٍ).
 وقريباً منه في بشارة الاسلام ص ١٨٥ وفيه (اثنان وسبعون شهراً).

(١٥) حديث باب اصطرخر

«إِذَا خَرَجْتَ خَيْلُ الشُّقْيَانِي إِلَى الكُوفَةِ فِي ظَلَبِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ، وَتَبَخَّرُجْ أَهْلُ
 خُرَّاسَانَ فِي ظَلَبِ المَهْدِيِّ، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْهَاشِمِيُّ بِرَأْيَاتِ سُودٍ، عَلَى مُقَدِّمَتَيْهِ
 شَعِيبُ بْنُ صَالِحٍ، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالشُّقْيَانِي بِبَابِ إِصْطَخْرِ فَيَكُونُ بَيْنَهُمْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ
 فَتَظْهَرُ الرَّأْيَاتُ السُّودُ وَتَهْرُبُ خَيْلُ الشُّقْيَانِي، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى النَّاسُ المَهْدِي
 وَيَظْلِمُونَهُ».

أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٦ - مخطوطة.
والحنفي في كز العمال ج ٧ ص ٢٦٠. والسيوطي في العرف الوردي
ج ٢ ص ٦٩ وفيه (يَلْتَقِي هُوَ وَالْمَهْدِي وَالْهَاشِمِي بَبَيْضَاءٍ إِصْطَخْرِي) وكذا
في الحاوي ج ٢ ص ١٤١ - ١٥٢.

(١٦) حديث «تبعث الرايات السود بالبيعة الى المهدي»

«بَدَخَلُ السُّفْيَانِي الكُوفَةَ فَيَسْبِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَقْتُلُ مِنْ أَهْلِهَا سِتِينَ أَلْفًا ثُمَّ
يَمْكُثُ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشْرَ لَيْلَةٍ يَفْسِمُ أَمْوَالَهَا، وَدُخُولُهُ الكُوفَةَ بَعْدَمَا يَقَاتِلُ التُّرْكَ وَالرُّومَ
بِقَرْفِيسِيَا... ثُمَّ يَبْعَثُ عَلَيْهِمْ خَلْفَهُمْ فِتْنًا فَيَرْجِعُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى خُرَاسَانَ، فَيَقْبَلُ
السُّفْيَانِي وَيَهْدِمُ الحُصُونَ حَتَّى يَدْخُلَ الكُوفَةَ وَيَطْلُبُ أَهْلَ خُرَاسَانَ، وَيَظْهَرُ
بِخُرَاسَانَ قَوْمٌ يَدْعُونَ إِلَى المَهْدِيِّ، ثُمَّ يَبْعَثُ السُّفْيَانِي إِلَى المَدِينَةِ فَيَأْخُذُ قَوْمًا مِنْ
آلِ مُحَمَّدٍ حَتَّى يُوَدَّ بِهِمْ إِلَى الكُوفَةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ المَهْدِيُّ وَمَنْصُورٌ هَارِبِينَ، وَيَبْعَثُ
السُّفْيَانِي فِي طَلَبِهِمَا فَإِذَا بَلَغَ المَهْدِيُّ وَمَنْصُورٌ مَكَّةَ نَزَلَ جُنُودُ السُّفْيَانِي إِلَيْهِمَا
فَيُخَسِّفُ بِهِمْ، ثُمَّ يَخْرُجُ المَهْدِيُّ حَتَّى يَمُرَّ بِالمَدِينَةِ فَيَسْتَنْقِذُ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ، وَيَقْبَلُ الرَّاياتِ السُّودَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَى المَاءِ فَيَبْلُغُ مَنْ بِالكُوفَةِ مِنْ أَصْحَابِ
السُّفْيَانِي نُزُولَهُمْ فَيَهْرُبُونَ، ثُمَّ تَنْزِلُ الكُوفَةَ حَتَّى تَسْتَنْقِذَ مَنْ فِيهَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ
يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ سِوَادِ الكُوفَةِ يُقَالُ لَهُمُ العُصْبُ، لَيْسَ مَعَهُمْ سِلَاحٌ إِلَّا قَلِيلٌ وَفِيهِمْ
بَعْضُ أَهْلِ البَصْرَةِ قَدْ تَرَكُوا السُّفْيَانِي فَيَسْتَنْقِذُونَ مَنْ أَيْدِيهِمْ سَبَى الكُوفَةِ، وَيَبْعَثُ
الرَّاياتِ السُّودَ بِالْبَيْعَةِ إِلَى المَهْدِيِّ».

أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٥ و ٨٨ (مخطوطة).

والحنفي في كز العمال ج ٧ - ص ٢٦٠.

وروى قريباً منه السيوطي في العرف الوردى ج ١ - ص ٦٨ وبمعناه

ص ٧١ و ٧٢.

وفي عقد الدررح رقم ١٢٨ وبعناه ح ١٢٥.

والشافعي في اسعاف الراغبين طبعة هامش نور الأبصار ص ١٢٢.

والطوسي في الغيبة ص ٢٧٤.

وروى المجلسي في البحار ج ٥٢ - ص ٢٧٤ «وَتُقْبَلُ رَايَاتُ مِنْ شَرْقِي الْأَرْضِ غَيْرَ مُعَلَّمَةٍ لَيْسَتْ بِفُظْنٍ وَلَا كَيْتَانٍ وَلَا حَرِيرٍ، مَخْنُومَةٍ فِي رَأْسِ الْفَنَاءِ بِحَاثِمِ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ، يَسُوقُهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، تَظْهَرُ بِالْمَشْرِقِ وَتُوجَدُ رِيحُهَا بِالْمَغْرِبِ كَأَلْسِنِكَ الْإِذْفَرِ، يَسِيرُ الرَّعْبُ أَمَامَهَا بِشَهْرٍ حَتَّى يَنْزِلُوا الْكُوفَةَ طَالِبِينَ بِدِمَاءِ آبَائِهِمْ».

وروي في ص ٢٣٧ «فَأَوَّلُ أَرْضِ الْمَغْرِبِ (تَحْرَبُ) أَرْضُ الشَّامِ يَخْتَلِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ رَايَاتٍ: رَايَةَ الْأَضْهَبِ، وَرَايَةَ الْأَبْقَعِ، وَرَايَةَ الشُّبَّانِي. فَبَلَّتِي الشُّبَّانِي بِالْأَبْقَعِ فَيَقْتُلُونَ فَيَقْتُلُهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَيَقْتُلُ الْأَضْهَبَ، ثُمَّ لَا يَبْكُونَ لَهُ هَمَّةً إِلَّا الْإِفْبَالَ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَيَمُرُّ حَيْشُهُ بِقَرْقِسِيَا فَيَقْتُلُونَ فِيهَا فَيَقْتُلُ مِنَ الْجَبَّارِينَ مِنْهُ الْفِ. وَتَبَعَتْ الشُّبَّانِي حَيْشًا إِلَى الْكُوفَةِ وَعَدَّ نُهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا فَيُصِيبُونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَتْلًا وَصَلْبًا وَسَبْيًا.. فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ رَايَاتٌ مِنْ قِبَلِ خُرَّاسَانَ تَطْوِي الْمَنَازِلَ طَيًّا حَيْثِيًّا وَمَعَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ. ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي ضَعْفَاءَ فَيَقْتُلُهُ أَمِيرُ حَيْشِ الشُّبَّانِي بَيْنَ الْجَبَرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَتَبَعَتْ الشُّبَّانِي بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَفِرُّ الْمَهْدِيُّ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ فَيَبْلُغُ أَمِيرَ حَيْشِ الشُّبَّانِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَيَبْعَثُ حَيْشًا عَلَى أَرِيهِ فَلَا يُدْرِكُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ حَائِفًا يَتَرَقَّبُ عَلَى سُنَّةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

(١٧) الايرانيون ومعركة قرقيسيا

«إِنَّ لِلَّهِ مَا ذُبَّتْ بِقَرْقِيسِيَا يَطْلَعُ مُتَادٍ مِنَ السَّمَاءِ فَيُنَادِي يَا طَبْرَ السَّمَاءِ وَيَا سِبَاعِ الْأَرْضِ هَلُمَّيْ إِلَى السَّبْعِ مِنَ لُحُومِ الْجَبَّارِينَ».

أخرجه: الشافعي في عقد الدرر ج ٣٥ ص ٥٧ و ١٢٦ و ٣٣٥.

«يُظَهَرُ السُّفْيَانِيُّ عَلَى الشَّامِ ثُمَّ تَكُونُ بَيْنَهُمْ وَقَعَةٌ بِقَرْقِيسِيَا حَتَّى تَسْبَعَ طَيْرُ السَّمَاءِ وَسِبَاعُ الْأَرْضِ مِنْ جِيفِهِمْ، ثُمَّ يَنْفِيقُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ فَتَقْبِلُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا أَرْضَ خُرَّاسَانَ وَتَقْبِلُ خَيْلُ السُّفْيَانِيِّ فِي ظَلَبِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ فَيَقْتُلُونَ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ بِالْكُوفَةِ ثُمَّ يَخْرُجُ أَهْلُ خُرَّاسَانَ فِي ظَلَبِ التَّهْدِيِّ».

أخرجه: الحنفي في كنز العمال ج ٧ - ص ٧٠ وقريباً منه ج ٦ - ص ٦٧

والشافعي في عقد الدرر ج ١٣٤.

وروى الحنفي في كنز العمال ج ٦ - ص ٦٨ «إِذَا ظَهَرَ السُّفْيَانِيُّ عَلَى

الْأَبْقَعِ وَالْمَنْصُورِ الْيَمَانِيِّ خَرَجَ الرُّومُ وَالثَّرَكُ فَيُظَهَرُ عَلَيْهِمُ السُّفْيَانِيُّ».

وروي حديث وقعة قرقيسيا على الكزاز ابن ماجه في سننه

برقم (٤٠٨٤).

ورواه السيوطي في الحاوي ج ٢ - ١٢٧ وقال أخرجه ابن ماجه،

والحاكم وصححه، وابونعيم عن ثوبان.

وصححه الصديق الحضرمي في رده على ابن خلدون وقال: قال

الحافظ البوصيري في زوائده: حديث صحيح.

ورواه القرطبي في التذكرة وقال: رواه ابن كثير في النهاية وقال: «هذا اسناد قوي صحيح، والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون خروجه من بلاد المشرق».

وأخرج أحاديث الكنز ووقعة قرقيسيا ابن حماد في الفتن ص ٧٦ و ٨٢ و ٩٢.

وفي بشارة الاسلام ص ١٠٣ و ١٧٧ و ١٨٨ و ١٩١ و ٢٨٦. والمجلسي في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ و ٢٢٠ و ٢٤٥ و الطوسي في الغيبة ص ٢٧٩ والنعماني في الغيبة ص ١٤٨. والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٤٦٣ و ٤٦٤.

حول الحديث رقم (١)

«أتينا رسول الله (ص) فخرج الينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فمأسألناه عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا.. حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه.. فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال:

إننا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وأنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد... حتى ترتفع رايات سود في المشرق فيسألون الحق فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون. فمن أدركه منكم ومن أعقابكم فليأت امام أهل بيتي ولو حبواً على الثلج، فأنها رايات هدى يدفونها الى رجل من أهل بيتي يواطي

اسمه اسمي فيملك الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

(١)

يتضمن الحديث الشريف قراءة نبوية لمستقبل الاسلام من زاويتين هما: ظلامه أهل بيت النبي (ص)، وتوقف شمول الاسلام للعالم على ارتفاع هذه الظلامه.

وتبدو العلاقة بين الأمرين لأول نظرة علاقة اتفافية، فقد اتفق أن أهل البيت عليهم السلام تملئوا وامتزجت سطور تاريخهم بمعاناة الإضطهاد ودم الشهادة حتى أصبحت كربلاء عند المسلمين مضرب المثل. كما أنه اتفق أن المد الاسلامي في فتوحات صدر الاسلام وفي جهود دعاة الاسلام شمل مناطق واسعة ولم يشمل كل شعوب العالم.. ومضى التاريخ على هذا حتى نشأت قوى جديدة، وتسلطت على المسلمين.

ولكن الحديث النبوي يكشف عن ارتباط سببي بين الأمرين، بين رشد الأمة في ولائها لقيادتها، وبين حماية مسيرتها من التعثر وتمكنها من تحقيق هدف الاسلام الكامل في العالم. ويكشف عن أن الأمة عندما تبلغ الرشد بالتفافها العقيدي والعاطفي حول قيادة أهل بيت النبي (ع) ممثلة بالمهدي عليه السلام تكون قد بلغت الرشد لبسط الاسلام على العالم.

إن الحركتين في واقع الأمة حركة واحدة، فالأجر الوحيد المطلوب منها في قوله تعالى: «قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» هو نفس

الأجر المعطى لها في بسط رسالتها على العالم، واطهارها على الدين كله.

(٢)

في دموع النبي (ص) نقرأ كربلاء، ونحس بكل معاناة عاشها أحد من أهل بيته (ص). وهذا البعد العاطفي مقصود قصداً منه (ص).

لقد كان مستبشراً يظهر السرور على وجهه منشرحاً في حديثه مع أصحابه، فذكره منظر الفتية من أهل بيته بمستقبل أخبره به جبرئيل عليه السلام، وكثيراً ما أثار منظر أو شيء مما في نفسه الكبيرة صوراً فكتم أمرها وصرفها، ولكنّه هنا استبقاها وعاشها وبلغها المسلمين لكي يعيشوا معها!

«فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه. فلما رأهم تغير وجهه. احتضنهم إليه. انهمرت عيناه بالدموع».

في هذه الكلمات من رواية الحديث ترى النبي (ص) يحتضن مأساة أهل بيته ويضمهم إليه، أنّها مأساة القيادة الإسلامية المتمثلة فيهم. ويدهش المسلمون لمشهد النبي وهو يحتضن الحسين وبيكي، فينظرون ويصمتون، ثم يسألون عن هذا التغير وهذه الحالة التي كثيراً ما رأوها في وجهه مفاجئة كمفاجأة شهادة الحسن بالسّم، حزينة كحزن كربلاء، فيفيض النبي (ص) بقراءة المستقبل من لوح غيب الله تعالى، ويبدأ بالقدر الذي قضاه الله على أهل بيته أن يدفعوا ضريبة حركة الأمة في رشدتها وتكاملها.. الى أن تصل الى قيادة المهدي عليه السلام، والى هدف الاسلام العالمي.

«إننا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا.. وأنه سيلقي أهل بيتي من بعدي...».

تسمي بعض المصادر هذا الحديث (حديث رايات المشرق، أو رايات خراسان) ويسميه بعضها (حديث مايلقى أهل بيته من بعده) وهي تسمية من روح الحديث.

(٣)

«رايات هدى. يسألون الحق فلا يعطون»

أنَّ وصف الراية بالهدى له مدلول أوسع من وصف الشخص بالهدى، فالهدى في الشخص يتناسب مع حدود الشخص، والهدى في الراية يتناسب مع أبعاد الراية. فهو هدى في الجماهير الملتفة حول الراية، وهدى في القيادة التي ترفع الراية، في خطها الفكري والسياسي، وفي هدفها.. فذلك مقتضى وصف راية بالهدى من قبل النبي الهادي (ص). والحق الذي تطلبه جماعة تنهض تحت راية هدى ليس شيئاً غير حق الاسلام في ان يحكم ويوجه حياة جماعة من الناس، أو حياة كل الناس.

والذين يُطلب منهم هذا الحق هم غاصبوه من الطواغيت العالمين ووكلائهم الذين يحكمون الأمة بحكم الجاهلية، ويقفون في وجه راية الهدى.

ومطلب راية المشرق كله حق، قبل أن يقاتلوا فينصرهم الله أو بعد أن ينصرهم. والفرق بين مطلب المرحلتين هو:

أن مطلب المرحلة الأولى جزئي يتركز على بلدهم وشعبهم. ومطلب المرحلة الثانية كلي يشمل بلاد المسلمين وشعوب العالم. مطلب المرحلة الأولى يمكن لأعداء الاسلام أن يعطوه لأنه مجردهم فقط من التسلط على جزء من الأرض والشعوب. ومطلب المرحلة الثانية لا يمكنهم أن يعطوه لأنه مجردهم من كل سلطانهم. مطلب المرحلة الأولى حق بمنطق الاسلام وبالمنطق الظاهري للطاغوت في حرية الشعوب. ومطلب المرحلة الثانية حق بمنطق الاسلام فقط، وكفر بمنطق الطاغوت.

ويتضح الفرق بين المرحلتين من شرح الامام الباقر عليه السلام لحديث جده (ص) «فاذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يقوموا.. ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم». فقد قاموا في المرحلة الأولى وطلبوا الحق، ولكنه قيام جزئي بالنسبة إلى القيام العالمي في المرحلة الثانية، ومطلب جزئي أمام المطلب الشامل في المرحلة الثانية.

(٤)

«فليأتهم ولوحبوا على الثلج. فأتوها ولوحبوا على الثلج. فليأت امام أهل بيتي ولوحبوا على الثلج».

تضمن هذا الحديث وغيره عن رايات المشرق أمرين نبويين للمسلمين:

- الهجرة إلى أهل رايات المشرق.

- نصره أهل رايات المشرق.

فما هي حدود هذه الهجرة والنصرة الواجبين؟

هذا سؤال ينبغي أن يوجهه المسلم الى من حوله من مبلغى الاسلام، خاصة لأولئك الحريصين على تطبيق سنة رسول الله (ص) على تفاصيل وضوء المسلم وصلاته وصومه وشؤونه الشخصية.. فكيف بأمر يتعلق بمصيره؟

إن هذين الواجبين من الواجبات الكفائية على المسلمين بمعنى أن الهجرة والنصرة يتبعان الحاجة العملية لأهل رايات المشرق. وقيادة هذه الرايات هي التي تحدد حاجتها في بلدها وغيره، وفي هذا المجال أو ذاك. «ولو حبوا على الثلج».

تعبير نبوي عن ضرورة اصرار المسلمين على نصره راية المشرق والانضمام اليها مهما كانت العقبات. ويصور لنا حديث «كتر العمال» العقبات التي يأمرنا النبي (ص) بالتغلب عليها «.. فكنت في صندوق مقفل عليك فاكسر ذلك القفل وذلك الصندوق» أنها صناديق الطاغوت وأقفالهم على شعوب المسلمين، صناديق الاقليمية والقومية والتعصب المذهبي، وأقفال أنظمتهم وقيودها على المسلم أن يقول الحق ويدعو إليه، ويأخذ جواز سفر فيغادر من جزء ويدخل جزءاً من بلاده!

«حبوا على الثلج» تعبیر من جوامع الكلم التي خص الله بها نبيه (ص) ليس من بيئة الجزيرة، ولا هوشائع في كلام العرب، بل لم أجده في أحاديث رسول الله (ص) في غير موضوع رايات المشرق!

إن من عادة النبي (ص) أن يبتكر، وأن يخص فكرة بعبارة فتكون

وعاءها وشعارها .. ولكن الذي يألف عمق كلامه (ص) يشعر بربط
بين رايات المشرق وبين الثلج:
انّ بلادهم ثلجية .. وقد تشهد مسيرتهم أحداثاً كبيرة في فصل
الثلج.

(٥)

«أما في لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»

تشعر من هذه العبارة بالشوق وبنظرة الإكبار التي ينظر بها الامام
الباقر الى حفيده المهدي عليها السلام حتى كأنه يعتبر نفسه ملكاً له
ومأموماً به، ويرجو لوأنه أدرك رايات المشرق أن يلتقي بالمهدي و يعمل
تحت رايته، لأن ظهوره يكون قد أوشك واقترب.

إنّه نوع خاص من الشوق والحنين نجده لدى الأنبياء (ص)
والأئمة (ع) وكبار المؤمنين الى إخوانهم الآتين من أجيال الأمم .. نجده
عند الأنبياء السابقين تجاه نبينا محمد (ص) ونجده عند النبي (ص) تجاه
الأئمة وكبار المؤمنين من أمته يعبر عنه بقوله «آه، شوقاً إلى إخواني» ونجده
عند علي (ع) في قوله: «أَوَّلِيكَ خُلَفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَالِدُعَاةَ إِلَى دِينِهِ، آه آه،
شوقاً إلى رؤيتهم»^١ كما نجده عند الأئمة من أبناء علي عليهم السلام.

وهو شوق يتوقد تجاه المهدي عليه السلام بشكل خاص لما يمثله هذا

١. نهج البلاغة ص ٤٩٧ شرح الدكتور صبحي الصالح.

الامام من انهاء ظلامه الاسلام، وتحقيق هدف النبي (ص) والأئمة في العالم. وقد عبّر عنه الامام الصادق عليه السلام بقوله: «لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي»^١.

أمّا محاولة تفسير قول الامام الباقر عليه السلام: «لَوْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لِأَبْقَيْتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ»، بأنّه توجيه للمسلمين أن يحافظوا على أنفسهم ولا يعرضوها للشهادة قبل ظهور المهدي (ع)، فهو يخالف أحكام الاسلام في وجوب مقاومة أعدائه واقامة أحكامه، ويخالف أمر النبي (ص) للمسلمين بنصرة رايات المشرق والهجرة اليهم، ويخالف نفس حديث الباقر (ع) ومدحه لرايات المشرق وأن قتلهم شهداء.

إنّ حدود العبارة هي شخص الامام الباقر عليه السلام ومصبتها تمنّي لقاء المهدي عليه السلام والعمل معه، وليست في مقام التوجيه لعامة المسلمين وخاصتهم بأن يبقوا على أنفسهم ولا يعرضوها للشهادة مع رايات المشرق.. اللهم إلا لمن يعلم أنّه سيلاقي المهدي (ع) وأنه سيشاركه في قيادة الأمة وبمستوى مشاركة الامام الباقر (ع)!

(٦)

هل أن أهل رايات المشرق هم الايرانيون؟

يسأل هذا السؤال نوع من المسلمين سمعوا بوجود أحاديث النبي (ص) عن المهدي وعن رايات المشرق التي تظهر قبله، فاذا قرأت

عليهم قسماً من هذه الأحاديث ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون صدق الله وصدق رسوله، أنّها رايات قوم سلمان التي رفعها الخميني وأصحابه، وقد طلبوا من العالم أن يتركهم وشأنهم في إيران فلم يعطهم، وهاهم يقاتلون...

هؤلاء النوع هم غالبية جماهير المسلمين، أهل الفطرة السليمة، والايان الصافي.. سواء ملكوا الشجاعة فعلاً لأن يكسروا الأقفال ويحبوا على الشلوج، أو لم يملكوها. أنّهم جماهير النبي (ص) الذين تدمع عيونهم عندما يسمعون أنّه تغير وجهه وانهملت عيناه بالدموع، وجماهير المهدي (ع) الذين سيواجه بهم قوى الطاغوت، وينشر بهم الاسلام في العالم.

و يسأل هذا السؤال فقهاء المسلمين أمناء الرسل الذي لم يدخلوا في الدنيا ولم يتبعوا السلطان، ومثلهم المثقفون المسلمون الذي لم يتلوّثوا بفكر الغربيين ولم يقعوا في حباثلهم، وما أن يقرؤوا أحاديث النبي (ص) حتى يخشعوا لله تعالى ويقولوا: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. ان الله تعالى قد أعدّ هذا الرجل من قم، وأعدّ قوم سلمان لدور كبير. لقد بدأ الايرانيون بحركتهم في صناعة مستقبل العالم.

أمّا أتباع الغربيين وأنظمتهم، ومرضى القلوب بالدنيا والتعصب، فلا يسألون عن هذه الأحاديث لأنّهم لا يحبونها، ولا يحبون البحث فيها، بل لا يحبون أن تكون موجودة في مصادر المسلمين، ولأنّ تكون صادرة عن النبي (ص)! وأحب شيء الى أنفسهم أن لا يطلع عليها المسلمون وأن ينسوا أمرها، أو أن تحذف من مصادر السنة الشريفة!

لأحسبني مغالياً في وصف موقف هذه الشريحة المريضة المتسلطة على أمة المسلمين، فباستطاعتك أن تثير أمر هذه الأحاديث مع أحد منهم، أو تحدث بها في مجلس عام، أو تنشرها بين المسلمين في كراس، لتراهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، أو يلوون اليك رؤوسهم، أو ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت.. أو يسלטون عليك جلاوزة النظام، ثم يحاكمك قاضي المسلمين بتهمة نشر أحاديث نبي المسلمين!!

وهناك نوع من مرضى التلبيس على النفس يقولون: نعم لاشك في صحة أحاديث رايات المشرق الممهدة للمهدي عليه السلام. كما أنها صريحة في الانطباق على الإيرانيين. ولكن لا دليل على أنها رايات الخميني وأصحابه، فقد تأتي هذه الرايات بعد خمسين أو مئة سنة، فالأحاديث تذكر أن الذي يسلم الراية للمهدي هو الهاشمي والخراساني وقائد جيشه شعيب بن صالح، وأن هذين القائدين يظهران قبل المهدي بست سنوات، فهؤلاء هم أهل رايات الهدى الذين يجب علينا نصرتهم والهجرة اليهم ولوجوباً على الثلج!

وقد سمينا هذه الحالة بمرض التلبيس على النفس لأن أصحابها قد اطلعوا على الأحاديث الشريفة، ولكنهم تركوا اليقين فيها وأخذوا بالشك، وتجاوزوا البديهة وتمسكوا بالشبهة.

إن الموضوع في أحاديث المشرق هم (قوم) يخرجون من المشرق. يمهدون للمهدي. يطلبون الحق فلا يعطونه.. والهاشمي الخراساني على فضله هو أحد قادة هؤلاء (القوم) وقد ذكرت الأحاديث أنهم يولونه أمرهم عندما يرون أن الحرب قد طالت عليهم، يعني أنهم يكونون

قد خرجوا ورفعوا راياتهم وخاضوا حرباً طويلة مع أعدائهم، ثم يولون الهاشمي فيختار هو شعيباً قائداً لجيشهم. وذكرت الأحاديث أيضاً أن رايات الهاشمي وشعيب محتومة بخاتم السيد الأكبر، وذكرت نفس صفات شعيب والهاشمي لأصحاب رجل يخرج من قم ..

فهل يكون تناسي موضوع هذه الأحاديث واعتباره شخص الهاشمي وشعيب إلاً تجاوزاً من البديهة الى الشبهة؟

أما مسألة المدة الزمنية لهؤلاء القوم وهذه الرايات فلا دخل لها في أوصافها، ولا في واجب المسلمين نحوها .. لقد دلت الأحاديث على اتصال رايات هؤلاء القوم بالمهدي (ع) ولا يؤثر على موقف المسلم منها أن يظهر الهاشمي الخراساني وشعيب في هذه السنة، أو بعد خمسين سنة.

حول الحديث رقم (٢)

تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم يمكثون ماشاء الله، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه، ويؤدون الطاعة للمهدي.

(١)

قامت ثورة العباسيين ضد الأمويين على عاملين أساسيين: مظلومية أهل بيت النبي (ص) وأحقيتهم بالخلافة، وظلم بني أمية وعدم أهليتهم لحكم المسلمين. وعلى هذا الأساس تجاوزت مع حركة بني العباس

أوساط واسعة من المسلمين وأطاحت بحكم بني أمية في معارك كاسحة. وقد واجهت العباسيين أزمة في تمثيل بني هاشم وأهل البيت ولكنهم عاجلوهما في مطلع عملهم السياسي بأن تحالفوا مع الحسينيين وبايعوا إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنى وسموه الإمام والمهدي، في حين رفض الامام جعفر الصادق (ع) التحالف معهم أو التعاون.

على أي حال فبعد وفاة إبراهيم طرح العباسيون أنفسهم على أنهم يمثلون بني هاشم وعلى أنهم أهل بيت النبي (ص) لأنهم أبناء عمه العباس، وفي هذا المجال استخدموا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بأهل البيت استخداماً فعالاً، وكان من أبرز ما استخدموه الأحاديث المتعلقة بالمهدي (ع) ورايات المشرق التي تمهد له.

قال أبو العباس السفّاح أول خلفائهم في أول خطبة له بالكوفة:

«الحمد لله الذي اصطفى الاسلام... وخصنا برحم رسول الله وقرابته... فقال عزّ من قائل: «أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» وقال: «قل لأسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى»... وزعمت السبائية أن غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منّا، فشاهات وجوههم. بيم، ولم».

وعندما أرتج عليه وقطع خطبته خطب عنه عمه داود بن علي فقال:

«الآن... رجع الحقّ الى نصابه في أهل بيت نبيكم».

... يا أهل الكوفة أنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى

أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا... فأظهر الخليفة من هاشم.

... فاعلموا أنّ هذا الأمر فينا، ليس بخارج متّاً حتى نسلمه الى عيسى بن مريم صلى الله عليه»^١ يقصد أن منهم المهدي الذي ينزل في زمنه عيسى صلوات الله عليه.

وقد غالى العباسيون في استغلال أحاديث المهدي ورايات المشرق فلم يكتفوا باللون الأسود لرايات أبي مسلم الخراساني وأصحابه بل جعلوه اللون الرسمي للدولة وفرضوه على جيشهم وعلى المسلمين.

وكانوا في أول حركتهم قد سمو ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالمهدي كما تقدّم، ثمّ عاد المنصور فسّمى ابنه محمداً المهدي في محاولة لتطبيق أحاديث المهدي عليه. ومن الطريف أن المهديّ هذا كان من أبعد الناس عن صفات المهدي الموعود عليه السلام في سلوكه الشخصي والعام فضلاً عن أنّه لم يملك الأرض ولم يملأ حتى بيته قسطاً وعدلاً.

وقد رافق هذا الاستغلال وضع أحاديث على رسول الله (ص) في أنّ المهدي من ولد العباس، وأنّ رايات المشرق الممهّدة له هي رايات أبي مسلم الخراساني.

وطبيعي أنّه كما سقط ادعاء العباسيين أن المهدي منهم بشهادة الواقع فكذلك سقطت محاولة تطبيقهم لأحاديث رايات المشرق على راياتهم، ولكن بقيت بعض الآثار السيئة لذلك وهي اختلاط الأحاديث الصحيحة عن رايات المشرق بالأحاديث الموضوعية أو المحرفة، وقد تصدّى علماء الحديث عبر العصور الاسلامية الى تحقيق هذه الأحاديث وكشفوا

الموضوع والمحرف منها. من هؤلاء العلماء ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات) والذهبي في (ميزان الاعتدال) وابن عراق في (تنزيه الشريعة) ومن المعاصرين الألباني في كتابه (الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة).

(٢)

من هذا العرض الموجز لقصة استغلال العباسيين المعروفة لأحاديث البشارة بالمهدي ورايات المشرق، يتضح أن أحاديث رايات المشرق وخراسان على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أحاديث في أوصاف رايات المشرق للمهديين للمهدي الموعود عليه السلام ولاشك في صدور أصل هذه الأحاديث عن النبي (ص).

القسم الثاني: أحاديث في أصحاب رايات المشرق للمهديين لبني العباس، والظاهر صدور شيء منها عن النبي (ص) من باب الأخبار عن المستقبل أو لأجل التمييز بينها وبين رايات المهدي، ومنها الحديث الذي اخترناه.

القسم الثالث: أحاديث موضوعة أو محرفة لتطبيق رايات المشرق المهدة للمهدي على رايات العباسيين.

(٣)

كما ذكرنا فقد كان لعملية العباسيين تأثير سيء امتد الى بعض الكتاب المسلمين فجعلهم يشكون في كلّ أحاديث المشرق أن تكون موضوعة لمصلحة بني العباس. ولكن فاتهم أن أكثر مضمون هذه الأحاديث الشريفة ليس من مصلحة العباسيين ولا يقبل الانطباق على راياتهم وحركتهم.

مثلاً: حديث (تقبل الرايات السود من المشرق يقودهم رجال... قلوبهم كزبر الحديد... شعورهم مرخاة كشعور النساء، أسماؤهم الكنى، ونسبهم القرى، وثيابهم أسود من الليل المظلم) ابن حماد ص ٥٥ و٥٤ - مخطوطة.

هو في مصلحة حركة العباسيين ويمكن أن يكون من موضوعاتهم، ففي مطلع القرن الثاني للهجرة كانت النسبة الى البلدان شائعة عند الايرانيين وقد استعملها رسمياً أبو مسلم الخراساني («فأمر أبو مسلم كامل بن مظهر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم الى القرى ويجعل ذلك في دفتر» تاريخ الطبري ج ٥ - ص ٩٠ كما أخذ الايرانيون الكنية عن العرب واستعملوها اسماً، كما أنّ عادة اطالة شعر الرأس للرجال كانت منتشرة بين العرب والفرس.

ومثال آخر: حديث «يدخلون دمشق برايات سود عظام فيقتلون فيها مقتلة عظيمة شعارهم بكش بكش» ابن حماد ص ٥٤ - مخطوطة. هو أيضاً في مصلحة

العباسيين ويحتمل في أمره الوضع لأنهم اتخذوا رايات سوداء كبيرة جداً، وكان أقصى هدفهم دخول دمشق عاصمة عدوهم. قال الطبري في حديثه عن أبي مسلم «وعقد الراية التي بعث بها الامام -ابراهيم- التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً.. ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وأخوة سليمان ومواليه، وكلّ من أجاب» ج ٥ - ص ٨٣-٨٤.

ولكن ماهي مصلحة العباسيين في وصف الرايات بأنها سود صغار كما في الحديث الذي اخترناه؟؟

وماهي مصلحتهم في تحديد عدوها الذي تقاتله بأنه شخص ذو مواصفات خاصة من ولد أبي سفيان؟ مع أنّ الذي قاتلته رايات بني العباس هو من ولد مروان بن الحكم. ولم يملك أحد من ولد أبي سفيان بعد خالد بن يزيد.

ماهي مصلحة العباسيين في وصف أصحاب راياتهم بأنهم «يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلون» حيث لم تكن هذه خطتهم، ولم يطلب أبو مسلم من الأمويين مطلباً فلم يعطوه ثم أعطوه فلم يقبل، بل كان عملهم أن شرعوا بالقتال حتى قضوا على بني مروان.

وماهي مصلحتهم في تسمية عدد من قادة هذه الرايات كالسيد الأكبر، ورجل يخرج من قم، والهاشمي الخراساني الذي بكفه خال، وشعيب بن صالح الأسمر الخفيف اللحية، وتحديد المدة التي يظهران فيها بأنها قبل المهدي باثنين وسبعين شهراً؟

وفي أن يكون هدف الرايات هو القدس وليس الشام؟
 وفي الاعتراف بأنه سيحصل لهذه الرايات تراجع من قريسيا الى
 ايران بسبب وضع داخلي فيتمكن السفياي بذلك أن يحتل العراق؟
 إن أكثر ماتضمنته أحاديث رايات المشرق الممهدة للمهدي (ع) من
 مواصفات لجماعتها وقادتها وحركتها السياسية والعسكرية واتصالها
 بظهور المهدي عليه السلام هو مضر بمصلحة العباسيين، وبالتالي ينفي
 احتمال أن تكون من وضعهم.

(٤)

ثم إن أحاديث رايات المشرق الممهدة للمهدي مروية من طرق
 الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، عمن عاش منهم قبل ثورة العباسيين
 ومعها وبعدها، وكانوا هم ورواة حديثهم مخالفين لبني العباس.

(٥)

وأخيراً فهذه الأحاديث مروية عن مجموعة كبيرة من الرواة الموثقين
 عند المسلمين وفيهم الموافق لبني العباس والمخالف، ومدونة في أوثق
 مصادر السنة لدى المسلمين، وفي أصحابها الموافق لبني العباس والمخالف،
 وقد بلغ كثير منها حد التواتر اللفظي والمعنوي.. فاذا أجزنا صرف النظر
 عنها بمثل هذا التشكيك لزم أن نجيز صرف النظر عن أكثر أحاديث
 النبي (ص)، والعياذ بالله.

حول الحديث (٣) هم أهل الرايات السود المستضعفون

«فبيعت الله عليه (أي السفياي) فتى من قبل المشرق يدعوهم الى أهل بيت النبي (ص) هم المستضعفون يعزهم الله و ينزل عليهم النصر، فلا يقاتلهم أحد الا هزموه».

(١)

استعمل القرآن الكريم مصطلح المستضعفين متقابلاً مع مصطلح المستكبرين. قال تعالى «وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا»
٧٥- الأعراف.

والسين في المصطلحين تسمى سين الاستفعال وسين الطلب لأنها تدلّ على معنى الطلب فيما تدخل عليه، ولكن معنى هذا الطلب في اسم الفاعل يختلف عنه في اسم المفعول:

فالمستأجر هو الشخص الذي يطلب إجارة الشيء أو المكان.

والمستعمر هو الذي يطلب إعمار بلاد الآخرين بزعمه.

والمستكبر هو الذي يطلب التكبر على الآخرين ..

وهكذا كلّ ما شتمل على سين الطلب ودلّ على اسم الفاعل.

أما ماددّ على اسم المفعول فإنّ سينه تدلّ على وقوع الطلب عليه

مثل: المستلطف والمستطاب والمستضعف، فهي بمعنى: الشيء الذي

يطلب لطفه، أو طيبه، أو يطلب ظلمه لضعفه.

فسبب التقابل بين المصطلحين اذن ان المستكبرين يطلبون فعل ما هو أكبر من حدودهم وحقوقهم، وهذا الفعل يقع على المستضعفين ويكون على حسابهم. فلا استكبار دائماً يقابله الاستضعاف للآخرين، فلا استكبار بدون استضعاف، والعكس صحيح.

والمستضعفون في القرآن الكريم مصطلح سياسي لكل من يقع عليهم الظلم سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين. قال تعالى: «وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟» وقال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» ٣١- سبأ.

والتبادر الى الفهم من كلمة المستضعفين هو الاستضعاف السياسي -الاقتصادي والعسكري، بمعنى أنهم يقع عليهم الظلم لضعفهم المادي وعدم امتلاكهم الوسائل الاقتصادية والعسكرية التي يستأثر بها المستكبرون. ولكن الحديث الشريف التالي يعممه الى الاستضعاف الثقافي أيضاً و يسمى المستضعفين ثقافياً (المستضعفين في الدين) بمعنى أن الظلم يقع عليهم لعدم معرفتهم بالاسلام «ثُمَّ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِتَلَدَةِ يُفَاكُ لَهَا فَمُ وَتَصِيرُ مَعْدِنًا لِلْعِلْمِ وَالْفُضْلِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مُسْتَضْعَفٌ فِي الدِّينِ» البحارج ٦٠ - ص ٣١٣.

وفد أبرز القرآن مفهوم المستضعفين واستعمله في بضعة عشر موضعاً، و وعد المستضعفين المؤمنين بوراثه الأرض وقيادتها «وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» ٥ - القصص.

كما حافظ على التمييز بين مصطلح المستضعف وبين معنى الضعيف فلم يعبر عن المستضعفين بالضعفاء إلا في حالة واحدة هي حالة الرضا بالاستضعاف والتبعية للمستكبرين «وَقَالَ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» ٢١- ابراهيم.

والسبب في هذا التمييز، أن الضعف بالمفهوم القرآني أنها يوصف به الانسان بسبب حالة تكوينية أو بسبب فعل من نفسه فقط. أما بسبب فعل الآخرين وظلمهم له فيسمى مستضعفاً لضعفاً. على ذلك جرت كل الآيات القرآنية التي استعملت مادة ضعف ومشتقاتها.. أما تسمية المستضعفين بالضعفاء في الآية المتقدمة فهو بسبب قبولهم الاستضعاف الذي هو فعل منهم وليس بسبب وقوع الاستضعاف عليهم. وأما قوله تعالى «قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا» ٩١- هود، فهو وصف من وجهة نظر المستكبرين الذين لا يفقهون، وشعيب عليه السلام بالمفهوم القرآني مستضعف وليس ضعيفاً، والمظلومون من قبل المستكبرين مستضعفون وليسوا ضعفاء، ولا ينبغي لهم الضعف.. وفي هذا التمييز القرآني تكريم للمستضعفين وتوجيه فكري وأخلاقي بليغ.

(٢)

هذا الطرح القرآني لقضية الاسلام على أنه قضية مستضعفين ومستكبرين هو أحد الطروحات والصيغ المتعددة التي يطرح الله تعالى بها قضية الاسلام، والتي تمثل كل واحدة منها بعداً معيناً في وجود الانسان وحياته، وتعطي ثماراً عملية متنوعة..

والملاحظ في سيرة النبي (ص) والأئمة (ع) أنهم كانوا يطرحون قضية الاسلام بهذه الصيغ المتعددة حسب الظرف والحاجة، موازين فيما بينها، ومحتفظين بالعنصر الأساسي الثابت في القضية، وهو العنصر العبادي.

والملاحظ في هذا القرن أن أحداً لم يحسن طرح قضية الاسلام بصيغها القرآنية المتعددة كما طرحها الامام الخميني حفظه الله، في جوانبها العبادية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية.. الأمر الذي كان مفاجأة حتى للمفكرين والعاملين الاسلاميين.

ومن هذه الصيغ التي حملت عنصر المفاجأة طرحه المفهوم المستضعفين والمستكبرين الذي هو في عمقه وقوته وحيويته وشموله وبساطته أحد المفاهيم الاعجازية الخالدة في الاسلام.

ففي العمق يشكّل هذا الطرح تفسيراً عملياً بديلاً للتفسيرات المطروحة لحركة الصراع في المجتمع العالمي، فواقع الصراع ليس بين الشرق والغرب، ولا بين الرأسمالية والاشتراكية ولا بين البرجوازية والبروليتاريا.. الخ. وإنما هو بين فئة المستكبرين المتسلطين سواء كانوا في الغرب أو الشرق أو في العالم الثالث.. وبين المستضعفين المظلومين من عباد الله تعالى.

ومن ناحية أخلاقية يتضمّن هذا الطرح قوة خاصة في توعية المستضعفين وكشف القناع عن المستكبرين.

كما أنّه طرح سياسي متقدم على كل طروحات التحرر الوطنية والثورة، وشامل يوجه المسلمين الى الانفتاح على بقية مستضعفي العالم، ويحدد طبيعة العلاقة الأخلاقية والسياسية معهم.

وبسبب أصالة مصطلح المستضعفين وواقعيته تحول بسرعة الى شعار لدى جماهير المسلمين في إيران، وامتد الى المسلمين في العالم، والى غير المسلمين، مكتسحاً ما كان في موضعه من شعارات ضعيفة وعديدة.

نعم لقد استعمل هذا المصطلح القرآني من قبل علماء المسلمين ومفكرهم، وفي الأوساط الواعية، عبر التاريخ وفي عصرنا الحاضر، ولكنه لم يكن استعمالاً وافياً، ولم يأخذ صيغة الطرح السياسي والأخلاقي لقضية الاسلام مع أعدائه، ولم يتحول الى شعار جماهيري يعبر عن وجه من قضية الاسلام إلا على يد الثورة الاسلامية الايرانية «ثورة المستضعفين» فكانوا بذلك أهل هذه التسمية في الحديث الشريف: «هُمُ الْمُسْتَضْعَفُونَ، يُعْرِزُهُمُ اللَّهُ وَيُنزِلُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ فَلَا يُفَاتِلُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا هَزَمُوهُ».

*

حول الحديث رقم (٤)

«تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء.. حتى تنصب

بايلياء»

(١)

معنى خراسان والمشرق:

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٢ - ص ٣٥٠.

«خراسان بلاد واسعة أول حدودها ممالي العراق أزاوار قصبه

جوين وبيق، وآخر حدودها ممالي الهند طخارستان وغزنه وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها أنما هو أطراف حدودها... ثم قال:

وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول إيران شهر، وهي نيسابور، وقهستان، والطبسان، وهرات، وبوشنج، وباذغيس، وطوس، واسمها طبران.

والربع الثاني: مرو الشاهجان، وسرخس، ونسا، وأبيورد، ومرو الروذ، والطالقان، وخوارزم، وآمل، وهما على نهر جيحون.

والربع الثالث: وهو غربي النهر بينه وبين النهر ثمانية فراسخ: الفارياب، والجوزجان، وطخارستان العليا، وخست، وأندرابه، والباميان، وبغلان، و والج وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبذخشان، وهو مدخل الناس الى تبت ومن أندرابه مدخل الناس الى كابل والترمذ، وهو شرقي بلخ والصغانيان وطخارستان السفلى وخلم وسمفجان.

والربع الرابع: ما وراء النهر: بخارى، والشاش، والطارابند، والصغد، وهو كس، ونسق، والروبستان، وأشروسه، وسنام قلعة المقنع، وفرغانه، وسمرقند.

ثم قال الحموي: قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا اليه أولاً، وأنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموماً الى والي خراسان، وكان اسم خراسان يجمعها. فأمّا ما وراء النهر فهي بلاد الهياطة ولاية برأسها، وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لاعمل بينها وبين خراسان.

ثمَّ قال ياقوت بعد مدحه لخراسان: «وقد طعن قوم في أهل خراسان وزعموا أنَّهم بخلاء وهو بُهت لهم .. الى أن قال: ومن أين لغيرهم مثل محمد بن اسماعيل البخاري ومثل مسلم بن الحجاج القشيري، وأبي عيسى الترمذي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وأبي حامد الغزالي، والجويني امام الحرمين، والحاكم أبي عبد الله النيسابوري، وغيرهم من أهل الحديث والفقه، ومثل الأزهرري، والجوهري، وعبد الله بن المبارك، وكان يعد من أجود الزهاد والأدباء، والفارابي صاحب ديوان الأدب، والمهروي، وعبد القادر الجرجاني وأبي القاسم الزمخشري، هؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عدِّهم ..».

يدلّ كلام الحموي على أن ولاية خراسان كانت تشمل في زمن البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ. أكثر من النصف الجنوبي الشرقي لايران الحالية ابتداء من مدينة ايران شهر القريية من بحر عمان الى أمل وحوارزم القريية من بحر قزوين ومابينها الى الشرق، وقسماً من أفغانستان، والقسم الاسلامي الذي تحتله روسيا وهو جمهوريات القزق والقرغيز والأوزبك والتاجيك والتركمان.

وأنه قد طرأ عليها تقسيم اداري جديد فأصبحت مساحتها أصغر حيث استثنيت منها بلاد ماوراء النهر وغيرها، وكانت على ذلك في عصر الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

وكلا التقسيمين الاداريين الذين ذكرهما البلاذري والحموي تقع فيها محافظة خراسان الحالية في ايران بعاصمتها القديمة طوس والجديدة مشهد.

ولكن الذي ينفعنا في تعيين المقصود بخراسان في الحديث الشريف ليس هو التحديد الإداري ولا الجغرافي لخراسان في القرن الرابع أو السابع الهجري، ولا حتى في القرن الأول زمن صدور النص من النبي (ص) وإنما هو ما يعنيه اسم خراسان في عرف العرب في زمن النبي (ص).

الذي أطمئن إليه أن اسم خراسان كان مرادفاً عند العرب لاسم بلاد المشرق أو بلاد الشرق ويطلق على منطقة واسعة تشمل إيران الحالية والمناطق الشرقية والشرق جنوبية التي تليها إلى حدود الهند وبر الصين.

فنحن نلاحظ أنّ الحموي الذي لم يوافق على السعة التي ذكرها البلاذري لخراسان واستثنى منها بلاد ما وراء النهر وغيرها.. عاد وسمى البخاري والترمذي وغيرهم من أهل خراسان، مع أن بخاري من بلاد ما وراء النهر. قال في ج ١ - ص ٣٥٣ «بخاري من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها» وما ذلك إلا لشياع هذه التسمية العرفية التي لا يلغها التقسيم الإداري.

كما نلاحظ آثار المرادفة بين اسم خراسان وبلاد الشرق في استعمال عرب الحجاز والعراق والشام إلى اليوم. وقد غلب اسم (خريسان) عند عرب الحجاز وأرياف العراق بينما غلب اسم بلاد الشرق عند عرب الشام. ولا زال هذان الاسمان يستعملان عند المتقدمين في السن إلى اليوم بالرغم من اشتهار التسمية الجديدة للمنطقة بإيران. قال في مرصد الاطلاع ص ٣٤٣ «حدود خراسان تبدأ ممّا يلي العراق وآخر حدودها مايلي الهند» ونقل في صبح الأعشى عن اللباب

ج ٤ - ص ٣٨٩ أن أهل العراق يقولون أنها من الري الى مطلع الشمس، وبعضهم يقول من حلوان الى مطلع الشمس».

أمّا الغربيون فقد اشتهر تسمية المنطقة عندهم بفارس ولم يشتهر عندهم اسم خراسان أو بلاد الشرق. والسبب في ذلك بعدهم عن خراسان أولاً، وأن الشرق والمشرق في الأصل اسم لجهة شروق الشمس وهو اسم نسبي ومجمل يتحدد بموجب قرائن متعددة لعلّ أهمّها مكان المتكلم، فإذا كان المتكلم في أقصى المغرب اتسع معنى المشرق بالنسبة اليه، ولذلك يطلق الغربيون اسم الشرق الأدنى على البلاد الأوربية التي تليهم، واسم الشرق الأوسط على بلادنا، واسم الشرق الأقصى على البلاد الشرقية بالنسبة إلينا.

أمّا بالنسبة لمكة المكرمة والجزيرة فان إيران وماوراءها من المناطق الشرقية هي الشرق وبلاد المشرق. وقد شاع هذا الاستعمال بين المسلمين في المنطقة عبر أجيالهم في الاستعمال الرسمي والشعبي وفي تعبير المؤرخين.

بل يفهم من استعمال المسلمين في صدر الاسلام أن الأصل في كلمة المشرق أن يقصد بها إيران خاصة وأنها عندما تطلق على غيرها معها تحتاج الى قرينة، ولذلك يكثر في كتب التاريخ تعبير (بلاد المشرق وماوراء النهر).

بناء على هذا يصبح من المعقول أن يعبر النبي (ص) برايات المشرق تارة ورايات خراسان أخرى لأن معناهما العرفي واحد أو متقارب.. وتسقط المناقشة القائلة بأن اسم خراسان لم يكن شائعاً في زمن

النبي (ص) وأن رواة الحديث هم الذين أبدلوا كلمة المشرق في الأحاديث بكلمة خراسان بسبب اشتهاها من بين المناطق في مطلع القرن الثاني الهجري.

وحتى لو أخذنا بهذه المناقشة وسلّمنا جدلاً بأن رواة الحديث قد أبدلوا كلمة المشرق بخراسان فهو من باب الرواية بالمعنى، ويكون دليلاً على أن الرواة الذين هم أقرب الى المعنى العرفي لكلمة المشرق في زمن النبي (ص) فهموا أنه يقصد منها خراسان لا غيرها.

ومضافاً الى كلّ ما ذكرنا فان الأحاديث الواردة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام والتي هي صادرة في القرن الأول والثاني والثالث تستعمل تارة تعبير (رايات المشرق ومن شرقي الأرض) وتارة (رايات خراسان) مما يدلّ على أن المعنى المقصود بها واحد.

(٢)

تخرج رايات من خراسان سود فلا يردّها شيء.. حتى تنصب بايلياء.. يتحدّث النصّ عن حدث سياسي، وعن حالة سياسية.. ما أدري لأيهما نعجب أكثر!

إنّ الحالة السياسية التي تستدعي هذه الحركة (من خراسان الى ايلياء) لم تكن موجودة على طول التاريخ الاسلامي، ولم توجد إلاّ في هذا العصر! وهذا من معجزات النبي المصطفى (ص).

فحركة الفتح الاسلامي كانت قواتها من جزيرة العرب وليس من خراسان التي كانت تحت وطأة الكسروية والمجوسية. كما أنّ القدس

كانت جزءاً من هدف هذه الحركة ولم تكن كل هدفها أو ثقله كما يفهم من النص.

وحركة العباسيين كانت قواتها من خراسان ولكن هدفها كان عاصمة الأمويين دمشق ومراكز قوتهم الأخرى ولم تكن القدس من بينها ولعله لم تجر حولها معركة ولم تنصب فيها راية.

وحركة الأئمة في صراعها مع الصليبيين لتحرير ساحل البحر المتوسط والقدس لم تكن قواتها من خراسان.

فالحالة السياسية التي يفترضها النص تشبه أن تقول: سيأتي يوم يتوجه جيش اسلامي من اليونان لتحرير مكة المكرمة!

وتمضي السنوات .. فتهاجر الكسروية في ايران، ويدخل أهلها في الاسلام. وتمضي القرون .. ويضعف العالم الاسلامي، ويسيطر عليه الغربيون، ويأتون بأشد الناس عداوة للمسلمين الى فلسطين، ويجعلون القدس عاصمة لهم .. فتصبح نقطة الهدف في الصراع الحضاري والمصيري بين المسلمين وأعدائهم .. ويزغ فجر الاسلام مجدداً من ايران، وتنبض قلوب ملايينها وتحفز الى القدس .. فتتحقق الحالة السياسية التي يتحدث عنها النص!

وعناصر الحدث:

قوات من خراسان: شعارها رايات سود بلون الشار والحزن والغضب، وفي حديث أنها سود صغار (ابن حماد ص ٨٥ - مخطوطة) لأنها تكون في عصر تنتهي فيه حاجة المعركة الى الراية المركزية الكبيرة،

وتكون الراية رمزاً لهوية المقاتلين وشعاراً لهم، تحملها مجموعاتهم الصغيرة والكبيرة.

والهدف: القدس الشريف. بيت المقدس. ايلياء المقدسة.. التي جعلوها عاصمة للمفسدين في الأرض.

الهدف هو تحرير هذه المدينة الربانية وفك أسرها وتطهيرها من مركز الفساد الذي فيها وقلع شجرته الملعونة من أرضها، وجعل العلم الإلهي ورايات الثأر تخفق فوق ربواتها.

والمسافة الى الهدف: حوالي ألف كيلومتر من آخر نقطة من حدود ايران.. وفي هذه الطريق توجد عقبات سياسية وعقبات عسكرية كالجبال.

« فلا يردها شيء »

لأنها تملك العزم القاطع والإصرار الذي لا يلين، فالهدف عندها نهائي، والوصول اليه حتمي، والمحاولات السياسية لردّها عن عزمها فاشلة.

ولأنها تملك قدرة قتالية من نوع خاص تجعلها تتغلب على العقبات الصعبة التي تعترض طريقها وتريد منعها من الوصول اليه ولو كانت كالجبال «لواعترضتهم الجبال لهذوها واتخذوا فيها طرقاً»^١.

أمّا العقبات السياسية من مراكز الطغيان وعواصم الدول الكبرى

١. جاء هذا الوصف تفاندهم الخراساني في مصادر السنة والشيعة مثل الفتن والملاحم لابن حماد وبشارة الاسلام ص ٥ والملاحم والفتن لابن طاووس ص ٦٨ وغيرها.

فلا تحتاج الى مكان محدد لتعمل على منع هذا الزحف الاسلامي . وأما العقبات العسكرية فساحتها محددة على الأرض في هذه الطريق الى ايلياء أو في أجوائها، عبر العراق أو تركيا، وعبر الأردن أو سوريا . فهذه هي منطقة جبال العقبات التي سيتم التغلب عليها قبل الوصول الى ملاقاته العدو والتغلب عليه !

(٣)

متى تخرج رايات خراسان؟

ومتى تنصب بايلياء وتنفض فوق ربوعها؟

أسئلة تطرحها جماهير المسلمين المتحمسة للانتصار على اليهود وتحرير القدس الحزينة . و يبلغ الحماس بالبعض أن يتصور أن البشارة النبوية بالرايات السود تتلخص بحملة عسكرية تتم في شهر أو شهرين !
ولكنها في الحقيقة بشارة بحركة في الأمة .. حركة من شأنها أن تنجب مثل هؤلاء المقاتلين المتميزين .. ومن شأنها أن تضع عينهم على الهدف الاستراتيجي للأمة فلا يتراجعون عنه .. ومثل هذه الحركة المتجذرة في العمق الزاحفة نحو الهدف، تحتاج الى جهود كبيرة، ونفس طويل .

تخرج رايات سود من خراسان . ولكنها لا تولد فجأة على غير سنة الله تعالى في حركة المجتمع وظهور القوة العسكرية، فيه، بل توجد على أثر تغير يحدث في الأمة فينتج خروجها . ولا بد أن يستغرق هذا التغير والإعداد وقتاً وجهداً .

بل يشير قوله (ص) «فلايردها شيء» الى أن التغلب على العقبات في الطريق يحتاج الى جهد أكبر من جهد الخروج.. نعم، سوف لن تمنعها العقبات من الوصول الى القدس مهما كبرت وكثرت، ولكن كم هي العقبات، وكم يستغرق التغلب عليها وعلى الواحدة منها؟

إذا التفتنا الى ما يقتضيه قوله (ص) «تخرج» من حدوث حركة في الأمة، وما يقتضيه قوله (ص) «فلايردها شيء»: من مقاومة ومثابرة.. ونظرنا الى حالة الأمة الاسلامية، والى ما حدث في ايران.. نعرف أن الرايات السود قد خرجت بالفعل وأنها تعالج الآن أول عقبة في طريقها الى القدس.

نعم، رايات المشرق قد خرجت، والعقبة الأولى قد تقتضي منها سنوات.. وقد تكون أمامها ثانية وثالثة، ولكنها.. لايردها شيء حتى تنصب في ايلياء وتخفق فوق ربوعها وتخفق معها قلوب المسلمين في العالم. وصدق رسول الله (ص) وان كره الكارهون.

ومن طريف مقادير الله تعالى أن الرايات السود الصغيرة انتشرت بشكل طبيعي في جماهير المسلمين في ايران أثناء قيامهم بالثورة، ثم في صفوف المقاتلين، لأنها تقليد حسيني بينهم يرمز الى الثأر والحزن، مضافاً الى الرايات الخضراء، وبنسبة أقل الرايات الحمراء.. وأن الجيش المتشكّل من محافظة خراسان بالذات (لشكر هفتاد وهفت) شعاره منذ زمن الراية السوداء، بينما شعار جيش قزوین مثلاً الراية الحمراء! وأن الرايات السود الصغار تعم ايران في عاشوراء ويرفعها حتى الأطفال في الشوارع!

حول الأحاديث رقم (٥) عن دخول الإيرانيين الى دمشق

يلاحظ المتتبع أن بين رايات العباسيين ورايات أنصار المهدي عليه السلام فرقاً أساسياً في نقطة الهدف. فقد كانت دمشق أقصى هدف العباسيين لأنها عاصمة عدوهم التي يريدون احتلالها. بينما نقطة الهدف عند أنصار المهدي عليه السلام هي القدس الشريفة، لأن تحريرها سيكون مدخلاً أساسياً لتحرير العالم، خاصة وأنهم على موعد فيها مع المسيح عليه السلام.

هذا الفارق نلمسه بوضوح في أحاديث المهدي وأنصاره، وفي الأحاديث الموجودة عن رايات العباسيين، الى حد أنه يشكل طابعاً مميزاً في استراتيجية الحركتين، وهو ينفع كقرينة جيدة من جملة قرائن للتأكد من عدم اختلاط أحاديث رايات العباسيين بأحاديث رايات أنصار المهدي عليه السلام.. فعندما يوجد حديث يفهم منه أن هدف رايات المشرق أو خراسان هو دمشق، يمكننا أن نصنّفه في مجموعة أحاديث العباسيين، وعلى هذا الأساس استبعدنا عدداً من الأحاديث التي يفهم منها دخول الإيرانيين أنصار المهدي عليه السلام الى دمشق قبل ظهوره.

ولكن بعض هذه الأحاديث ومنها الحديثان المذكوران لا تقبل التصنيف في أحاديث رايات العباسيين.

وهناك عدة قرائن في مصلحة قبول هذا النوع من الأحاديث، كما أن

هناك عدة أخرى توجب رفضها أو التوقف بشأنها.

فن القرائن الايجابية: أنه مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الاستراتيجي في الهدف لكلا النوعين من الرايات، إلا أن دمشق والقدس قريبتان جغرافياً لا يفصلهما أكثر من مئة كيلومتر بخط مستقيم، وأن دمشق وان لم تكن هدفاً لأنصار المهدي عليه السلام لكنّها في طريقهم الى القدس.

ومنها، أنه وردت أحاديث في أنّ المهدي عليه السلام وأنصاره يدخلون القدس عن طريق دمشق ويعسكرون في مرج عذراء الواقع على بعد ثلاثين كيلومتراً شرقي دمشق ممّا يشير الى امكانية أن يدخلوها أو يدخلوا منطقتها قبل ظهوره. روى المجلسي في البحار ج ٥٢ - ص ٢٢٤ وشبهاً به السيوطي في الحاوي ج ٢ - ص ١٤٦ «ثمّ يسير حتى يأتي العذراء هو ومن معه وقد ألحق به ناس كثير، والسفياني يومئذ بوادي الرملة»

ومنها، أن الأحاديث المذكورة لا يفهم منها أن هدف أنصار المهدي عليه السلام هو دمشق، وأنّها تدلّ على وجودهم فيها قبل ظهور السفياني، ولا مانع أن يكونوا في طريقهم الى القدس بانتظار معركة التحرير، خاصة وأن قوات من دول المغرب تكون متواجدة معهم، ثمّ يظهر السفياني العميل فيردّهم الى العراق.. أو يكونوا موجودين في فلسطين وقد حرّروا أجزاء منها كما يدلّ الحديث الثاني، ويتمكّن السفياني من ردّهم الى العراق وايران.

ومن القرائن السلبية: أنه يفهم من هذه الأحاديث أنها تفترض أن

الأصل وجود أهل المشرق بشكل طبيعي في دمشق وفلسطين، وأن السفلياني يهزمهم ويخرجهم منها. وهذا الأمر ينسجم مع تطلعات بقايا الاتجاه الأموي بعد انتصار الثورة العباسية الذين حاولوا استغلال أحاديث السفلياني ووضعوا الأحاديث في أنه يستعيد السلطة من العباسيين وأنصارهم أهل المشرق ويردّهم من حيث أتوا. خاصة وأن أكثر هذه الأحاديث تفترض سفليانياً أول وتحاول أن تبرهه من الإنحراف والجرائم وتحملها لسفلياني أخيراً من بعده. وسنبحث مسألة تعدد السفلياني ان شاء الله.

ومنها، أن رايات أنصار المهدي عليه السلام «لا يردها شيء حتى تنصب بايلياء» بينما تذكر هذه الأحاديث هزائمهم المتتالية. صحيح أن قضية تحرير القدس قضية كبرى تتحمل أن يكون فيها مدٌّ وجزر سياسي وعسكري، ولكن الصورة في هذه الأحاديث أكثر من ذلك.

هاتان القرينتان السلبيتان وغيرهما تجعلنا نرفع اليد عن القرائن الايجابية ونتوقف عن الأخذ بالأحاديث في هذا الموضوع والتي لم أجد في حدود اطلاعي شيئاً منها يصلح لاثبات أن رايات المشرق الممهدة للمهدي عليه السلام تدخل دمشق أو القدس قبل ظهوره، كما أنه لا يوجد ما ينفي ذلك أيضاً.

حول الحديث رقم (٦)

في تفسير قوله تعالى «بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد»

لا زالت الآيات الكريمة المتعلقة باليهود في مطلع سورة الاسراء تثير السؤال عن افساد بني اسرائيل مرتين، وعن القوم الذين يبعثهم الله عليهم؟

فقد كان الرأي السائد عند المفسرين القدامى كالطبري، والطوسي والرازي وغيرهم، وعند المعاصرين أيضاً كالطباطبائي في تفسير الميزان، وسيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، ومغنية في تفسير الكاشف، وغيرهم.. أن الافسادين قدمضيا والعقوبتين عليهما قد تحققتا قبل الاسلام، وأن العقوبة الأولى وقعت على يد نبوخذ نصر البابلي حوالي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد حيث احتل القدس، ودمر هيكل النبي سليمان عليه السلام، ونهب محتوياته وأحرقه، وأخضع اليهود لسيطرة البابليين. والعقوبة الثانية وقعت على يد القائد الروماني تيطس حوالي سنة ٧٠ ميلادية حيث احتل القدس وخرب الهيكل ونهبه وأزاله كلياً، وأخضع اليهود لسيطرة الرومان.

ولكن السؤال عن تفسير الآيات الكريمة طرح نفسه مجدداً وأصبح على ألسنة الناس فضلاً عن المهتمين بتفسير القرآن الكريم، وذلك لعدة اعتبارات:

أولها: العلو الاسرائيلي المعاصر الذي لم يكن في السابق، والذي

قد يكون له علاقة بتفسير الآيات .

وثانيها: أن تفسير الآيات بالماضي هو رأي مفسرين يعتمد على نظرتهم الى تاريخ اليهود، وليس على حديث عن النبي (ص).

وثالثها: وجود بعض الأحاديث النادرة والملفتة، بعضها يتعلّق بشكل غير مباشر بالموضوع كأحاديث قتال المسلمين لليهود وأحاديث الرايات التي تخرج من المشرق فتنصب بإيلياء.. ومنها مايتعلّق بالموضوع بشكل مباشر وهو الحديث المتقدّم المروي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام والذي يفسر القوم الذين يبعثهم الله على اليهود بأهل قم و يقتصر على قوله عند تلاوته للآيات: «هُمُ وَاللّٰهُ أَهْلُ قُمَّ. هُمْ وَاللّٰهُ أَهْلُ قُمَّ. هُمْ وَاللّٰهُ أَهْلُ قُمَّ.» والحديث الآخر عن الامام الباقر عليه السلام والذي يقتصر على قوله: «وَهُوَ الْفَائِزُ وَأَصْحَابُهُ أَوْلُو بَائِسٍ سَدِيدٍ.»

وفي السنوات الأخيرة بدأ بعض الكتاب المسلمين من مصر والأردن والعراق ولبنان يطرحون آراء جديدة تخالف رأي المفسرين في الافسادين والعقوبتين، أهمّها رأي يقول بأن أحد الافسادين قدمضى مع عقوبته فقط، وأن اليهود اليوم في مرحلة الافساد الثاني وآخر يقول إنهم اليوم في مرحلة الافساد الأول وستأتي عقوبته، كما سيأتي الافساد الثاني وعقوبته.

إنّ الوصول الى رأي واضح في تطبيق الافسادين والعقوبتين على بني اسرائيل يتوقّف على ثلاثة أمور غفل عن بعضها المفسرون:

الأمر الأول: الاستقراء الدقيق للأقوام التي سلّطها الله تعالى على بني اسرائيل عبر تاريخهم لملاحظة مدى انطباق وعد العقوبتين عليها.

والأمر الثاني: هل في القرآن الكريم وعد بعقوبات أخرى لبني إسرائيل لكي نضمّتها الى الوعد بالعقوبتين بحيث يصبح المجموع مستوعباً لتاريخ اليهود وحاضرهم ومستقبلهم؟
والأمر الثالث: تحديد خصائص الوعد الإلهي في الآيات الكريمة وذلك بتحديد معاني الألفاظ والجمل المستعملة فيه على ضوء استعمالها في القرآن الكريم.

١- خلاصة تاريخ اليهود

تتناول هذه الخلاصة الحالة السياسية العامة لليهود من زمن موسى عليه السلام الى زمن نبينا محمد (ص) وقد اعتمدنا فيها على كتاب «معجم الكتاب المقدس» الصادر عن مجمع الكنائس للشرق الأدنى، وكتاب «تاريخ اليهود من أسفارهم» لمؤلفه محمد عزت دروزة، وكتاب «العرب واليهود في التاريخ» للدكتور أحمد سوسة.
وينقسم تاريخ اليهود في هذه المدة الى عشرة عهود:

١- عهد موسى و يوشع عليهما السلام	١٢٧٠ ق.م	١١٣٠ ق.م
٢- عهد القضاة	١١٣٠ ق.م	١٠٢٥ ق.م
٣- عهد داود وسليمان عليهما السلام	١٠٢٥ ق.م	٩٣١ ق.م
٤- عهد الانقسام والصراع الداخلي	٩٣١ ق.م	٨٥٩ ق.م
٥- عهد السيطرة الآشورية	٨٥٩ ق.م	٦١٢ ق.م
٦- عهد السيطرة البابلية	٥٩٧ ق.م	٥٣٩ ق.م

٣٣١ ق.م	٥٣٩ ق.م	٧- عهد السيطرة الفارسية
٠٦٤ ق.م	٣٣١ ق.م	٨- عهد السيطرة اليونانية
٦٣٨ م	٦٤ ق.م	٩- عهد السيطرة الرومانية
١٩٢٥ م	٦٣٨ م	١٠- عهد السيطرة الاسلامية

عهد موسى ويوشع عليها السلام

عاش النبي موسى عليه السلام مئة وعشرين سنة منها نحو ثلاثين سنة أول عمره الشريف في قصر فرعون مصر، ونحو عشر سنوات عند النبي شعيب عليه السلام في مَدِين الواقعة شرقي خليج العقبة. ثم أربعين سنة في مصر في تبليغ فرعون وبني اسرائيل. ثم خرج بقومه من مصر كما قصه الله تعالى في القرآن، وبقي معهم نحو أربعين سنة في سيناء قضوا منها سنة في مقابل جبل سيناء الذي نزلت فيه التوراة، ثم ارتحلوا الى «فَادِش بَرْنِيع» الواقعة في آخر سيناء من جهة فلسطين قرب وادي العربة.

وتذكر التوراة الموجودة أن عدد بني اسرائيل الذي خرجوا معه عليه السلام (ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد) سفر الخروج اصحاح ١٢: ٣٧، وسفر العدد اصحاح ٣٣: ٣٦. ويقدرهم بعض الباحثين الغربيين بستة آلاف نسمة. ويرجع المؤرخون أن الخروج من مصر حدث في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد حدود ١٢٣٠ ق.م على عهد الفرعون منفتاح.

وفي الجبل عند قادش توفي موسى عليه السلام فدفنه وصيه يوشع بن نون عليه السلام وأخفى قبره.. وقد تحمّل من بني اسرائيل أنواع الأذى في

حياته وبعد وفاته .. تقول توراتهم عنه وعن هارون عليها السلام: (كَلَّمَ
 الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: مُتَّ فِي الْجَبَلِ كَمَا مَاتَ أَخُوكَ هَارُونَ فِي جَبَلِ
 هُورٍ.. لِأَنَّكَ خِنْتَمَانِي.. عِنْدَ مَاءِ بَرِيَّةِ مَرِيْبَةَ قَادِشَ فِي بَرِيَّةِ سَيْنَ إِذْ
 لَمْ تَقْدَسَانِي.. فَانْكَ تَنْظُرُ الْأَرْضَ مِنْ قِبَالِهَا وَلَكِنَّكَ لَا تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى
 الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطَيْتُهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)- سفر التثنية، اصحاح ٣٢: ٥٠
 -٥٣ وتقول: (يوشع بن نون هو يدخل الى هناك) سفر التثنية، اصحاح
 ١: ٣٨..

وتولى قيادة بني اسرائيل بعد موسى وصيه النبي يوشع عليها السلام،
 فسار بهم الى الضفة الغربية لنهر الأردن وبدأ بمدينة أريحا وفتح معها ٣١
 مملكة صغيرة الواحدة منها عبارة عن مدينة أو بلدة قديتبعها قرى زراعية.
 وكان السكان من الوثنيين الكنعانيين. ثم قسم المنطقة على أسباط
 بني اسرائيل المتحاسدين، وقد ذكرت الاصحاحات ١٥ الى ١٩ من سفر
 يوشع أسماء مدن وقرى المنطقة وبلغ عددها مئتين وستة عشر مدينة
 حسب تعبيرهم.

وتوفي يوشع عليه السلام عن عمر قارب مئة وعشر سنوات حوالي
 ١١٣٠ ق.م.

عهد القضاة

عهد الاضطراب وسيطرة الممالك الغلية عليهم

انتقلت قيادة بني اسرائيل بعد يوشع عليه السلام الى القضاة،
 وقد حكم منهم خمسة عشر قاضياً، وتميز عهدهم بأمرين سنراهما مرافقين

لبنى اسرائيل هما: انحرافهم عن خط الأنبياء عليهم السلام، وتسليط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب.

يتحدّث سفر القضاة في الأصحاح الثالث والخامس عن انحراف بني اسرائيل بعد يوشع عليه السلام فيقول: «سكنوا في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحيويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنينهم، وعبدوا آلهتهم».

ويذكر في الأصحاح ٨:٣ أن أول من تسلط عليهم وأخضعهم كوشان رشتعايم ملك آرام النهرين، مدة ثمان سنين.

ثم هاجمهم بنو عمون والعمالقة واستولوا على مدينة أريحا - قضاة، اصحاح ١٣:٣.

ثم تسلط عليهم يابين ملك كنعان في حاصور عشر سنين - قضاة، اصحاح ٣:٤.

ثم استعبدتهم بنو عمون والفلسطينيون ثمان عشرة سنة - قضاة، اصحاح ٨:١.

ثم نكل بهم الفلسطينيون وتسلطوا عليهم مدة أربعين سنة - قضاة ١:١٣.

وقد امتدّ حكم القضاة من بعد يوشع عليه السلام الى زمن النبي صموئيل عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله: «الْم تَرَىٰ اِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا لَئِمَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِكَ نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْفِتْنَةُ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا أَنْ تَقَاتِلُوا، قَالُوا وَمَا لَنَا أَنْ نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا؟.. فَلَمَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا

مِنْهُمْ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» البقرة-٢٤٦.

و يقدر المؤرخون هذه المدة بحوالي قرن، من سنة ١١٣٠ ق.م الى عهد طالوت وداود عليه السلام ١٠٢٥ ق.م. بينما يفهم من سفر القضاة في التوراة أنها أكثر من ذلك.

عهد داود وسليمان عليها السلام

أدخلنا عهد طالوت (شاول) في عهد داود وسليمان عليها السلام لأنه كان ملكاً على خط الأنبياء عليهم السلام ولم يكن نبياً. ويذكر المؤرخون أنه حكم خمس عشرة سنة من سنة ١٠٢٥ الى ١٠١٠ قبل الميلاد، وحكم بعده داود وسليمان عليها السلام من ١٠١٠ ق.م الى ٩٣١ ق.م سنة وفاة سليمان.

ويلاحظ أن مؤلفي التوراة الموجودة قد أكثروا من ظلمهم وافتراءهم على موسى وداود وسليمان عليهم السلام ورموهم بعظائم التهم الأخلاقية والسياسية والعقائدية - كما حكى عنهم تعالى في القرآن- وقد تبعهم في ذلك وزاد عليهم أكثر المؤرخين النصارى الغربيين ثم تبعهم على ذلك أصحاب عصبية أبي جهل ممن يسمون بالمسلمين.

صلوات الله على جميع أنبيائه، ونبراً الى الله ممن يكفريهم أو يرميهم

بسوء.

لقد أنقذ داود عليه السلام بني اسرائيل من الوثنية التي تورطوا فيها ومن تسلط الوثنيين، ومد نفوذ دولته الإلهية الى المناطق المجاورة، وعامل الشعوب التي دخلت تحت حكمه بالحسنى كما وصف الله تعالى ذلك في

كتابه وعلى لسان نبيّه محمد (ص)، وأراد أن يبني مسجداً في مكان عبادة أبيه ابراهيم عليه السلام في القدس على جبل (المرّيّا) وكان المكان بيدراً للحبوب لأحد سكّان القدس من اليبوسيين اسمه أرونا فاشتراه منه بخمسين شاقلاً فضة كما تذكر التوراة الموجودة (سفر صموئيل الثاني، أصحاح ٢٤: ٢٤-٢٥ وسفر الأخبار الأول، اصحاح ٢١: ٢٢، ٢٨) وبنى فيه مسجداً أقام فيه الصلاة وفي جانب منه كانت تذبح الأضاحي لله تعالى.

وتولى من بعد داود ابنه ووصيه نبي الله سليمان عليها السلام، وبلغ ملكه ما ذكره الله تعالى في قرآنه وسنة رسوله (ص) وبنى مسجد أبيه داود وابراهيم بناء جديداً فخماً عرف باسم هيكل سليمان.

إنّ فترة حكم سليمان هي فترة استثنائية في تاريخ الأنبياء عليهم السلام جسّد الله تعالى فيها للعالم نموذجاً للمكانات الهائلة والمتنوعة التي يمكن أن يسخرها لحياتهم إذا هم أقاموا كيانهم السياسي بقيادة الأنبياء وأوصيائهم حتى لا يستغلوها في البغي على بعضهم «وَلَوْ تَسَطَّ اللَّهُ الرَّزْقَ لِلنَّاسِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْبَادُهُ خَيْرٌ بَصِيرٌ» ٢٧-الشورى.

وقد توفي سليمان عليه السلام وهو جالس على كرسيه كما وصف القرآن، ويحدد المؤرخون ذلك بسنة ٩٣١ ق.م، وبمجرد وفاته وقع الانحراف في بني اسرائيل ووقع الانقسام في الدولة، وسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب. تقول التوراة الموجودة في سفر الملوك الأول اصحاح ١١: ١٣-١١ بعد أن تفتري على سليمان عليه السلام أنّه ترك عبادة الله

تعالى وعبد الأصنام «وقال لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فاني أمزق المملكة عنك تمزيقاً».

عهد الانقسام والصراع الداخلي

وقد وصل بهم ذلك الى أن يستعينوا على بعضهم بالقوى الوثنية المتبقية حولهم وبفراعنة مصر وآشور وبابل.

فقد اجتمع اليهود بعد موت سليمان عليه السلام في شكيم (نابلس) وبايعت أكثريتهم يربعام بن نباط الذي كان عدواً لسليمان في حياته. فأقام في الضفة الغربية كياناً باسم دولة اسرائيل وجعل عاصمته شكيم أو السامرة، وبايعت قلة منهم رجبعام بن سليمان وجعل عاصمته القدس وعرفت دولته باسم يهوذا. أمّا وصي سليمان آصف بن برخيا الذي يصفه الله تعالى بأنه «عنده علم من الكتاب» فلم يكن نصيبه من بني اسرائيل إلاّ التكذيب!

وتذكر التوراة أن الكفر وعبادة الأصنام كان علنياً في أتباع يربعام وأنه «صنع عجولين من ذهب وضع أحدهما في بيت ايل والثاني في دان وجعل عندهما مذابح وقال لهم: هذه آلهتكم التي أصعدتكم من مصر فاذبحوا عندها ولا تصعدوا الى اورشليم، فاستجاب له الشعب!» سفر الملوك اصحاح ١٢: ٢٦-٣٣.

والى جانب العجلين أمر يربعام بعبادة آلهة أخرى منها عشتاروت إلهة الصيدونيين وكموش إله الموائين، ومكلوم إله العمونيين (سفر أخبار الملوك الأول، اصحاح ١٢: ٣١ وأخبار الملوك الثاني، اصحاح ١١:

١٣-١٥ واصحاح ١٣:٩).

وبعد ثلاث سنوات سارت مملكة يهوذا في ذات الطريق فعبدت الأصنام (سفر أخبار الملوك الأول، اصحاح ١٤: ٢١-٢٤ والملوك الثاني، اصحاح ١١: ١٣-١٧ واصحاح ١٢: .).

وقد اغتنم شيشق فرعون مصر هذه الفرصة وقام في سنة ٩٢٦ ق.م. بحملة لمساعدة يربعام، والقضاء على دولة ابن سليمان وجماعته، فاحتل القدس «وأخذ خزائن بيت الرب وبيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان» سفر أخبار الملوك، اصحاح ١٤: ٢٥-٢٦.

ويبدو أن ظروف فرعون مصر لم تساعد لفرض سيطرته المستمرة أو سيطرة حليفه يربعام الذي كان هرب من سليمان الى مصر وعاش فيها الى أن توفي سليمان.. فبعد انسحاب شيشق استعادت المملكة الصغيرة شيئاً من كيائها، ولكن الحروب استمرت مع يربعام.

كما استغل الآراميون ضعف الدولتين فهاجموا مملكة يهوذا وساقوا رؤساءهم سبايا الى عاصمتهم دمشق، وفرضوا عليهم الجزية وذلك في عصر الملك الآرامي بنهدد-٨٧٩ ق.م-٨٤٣ ق.م-سفر الملوك الثاني اصحاح ١٣: ٣-١٣.

ثم فرضوا الجزية والحماية على مملكة يربعام في زمن ملكها آخاب بن عومري ٨٧٤ ق.م-٨٥٣ ق.م.

وتذكر التوراة أيضاً غزو الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين لمملكة يهوذا في زمن الملك يهورام فاحتلوا القدس واستولوا على

الأموال الموجودة في بيت الملك وسبوا أبناءه ونساءه (سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢١: ١٦-١٧).

وكذلك تذكر أن الجيش الآرامي غزا بيت المقدس وأهلك كل الرؤساء وأخذ جميع الخزائن وقدمها الى حزائيل ملك الآراميين (سفر الملوك الثاني، اصحاح ٣: ٢٤ واصحاح ١٢-١٧-١٨).

وكذلك هجم يواش ملك اسرائيل على يهوذا حيث هدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك (سفر الملوك الثاني اصحاح ١٤: ١١-١٤ واصحاح ٢٤: ٢١-٢٥).

وقد استمرت هذه الحالة من الصراع فيما بينهم وتسلط الممالك المجاورة عليهم الى الاحتلال الآشوري.

عهد السيطرة الآشورية

بدأت السيطرة الآشورية على اليهود بحملة شلمنصر الثالث ملك الآشوريين ٨٥٩ ق.م - ٨٢٤ ق.م على مملكة الآراميين ومملكة اسرائيل حيث أخضع المنطقة لحكمه وحكم من بعده من الآشوريين، و يبدو أن مملكة يهوذا كانت محافظة على طاعة الآشوريين بعكس مملكة اسرائيل والآراميين لأن التوراة تذكر طلب ملكها آحاز بن يوثام من تغلث فلاسر ملك آشور القيام بحملة على مملكة اسرائيل والآراميين فاستجاب له الأخير وقام بحملة في سنة ٧٣٢ ق.م، وتابع مهمته خلفه شلمنصر الخامس ولكنه توفي أثناء حصاره لعاصمتها شكيم (السامرة) فأكمل خلفه

سرجون الثاني احتلال السامرة وقضى على هذه المملكة نهائياً.

وقد ساعد الآشوريين في القضاء على مملكة اسرائيل خطة الأجلاء التي طبقوها مع اليهود فقد سباهم تغلث فلاسر الى بلاده وأسكن مكاينم آشوريين كما ورد في سفر أخبار الملوك الثاني اصحاح ١٥: ٢٩ وقام بعده الملك فقح باكمال الخطة فسي نصف سبط منسي وغيره كما في سفر أخبار الأيام، اصحاح ٥: ٢٩ وسرجون الثاني الذي أجلى منهم حوالي ثلاثين ألفاً الى حران وضفة الخابور وميديا وأسكن مكاينم الآراميين - سفر الملوك الثاني اصحاح ١٧: ٥١ و١٨.

وقد خرجت مملكة يهوذا على طاعة الآشوريين في عهد ملكها حزقيا الذي قام على ما يبدو بالاتصال بالمصريين فغضب عليه سنحاريب ملك آشور وقام بأخر حملة آشورية لاختضاع مملكة يهوذا حوالي سنة ٧٠١ ق.م وأخضع المنطقة واحتل القدس ودفع له حزقيا «جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك» سفر أخبار الملوك الثاني، اصحاح ١٨: ١٣-١٥.

وتذكر التوراة الموجودة غير من تقدم من ملوك آشور أسرحدون وآشور بانيبال آخر ملوكهم وأنها نقلوا أقواماً من آشور وأسكنوهم في السامرة - سفر عزرا، اصحاح ٤: ١٠.

عهد السيطرة البابلية

سقطت عاصمة الآشوريين نينوى على يد الماذين والبابليين (الكلدانيين) سنة ٦١٢ ق.م فتقاسموا ممتلكاتها وكان العراق وبلاد

الشام وفلسطين من حصّة البابليين. وأشهر ملوكهم نبوخذنصر الذي قام بمحلتين لاختضاع بلاد الشام وفلسطين الأولى سنة ٥٩٧ ق.م والثانية سنة ٥٨٦ ق.م.

في الحملة الأولى حاصر القدس وفتحها وأخذ خزائن بيت الملك وسبي عدداً كبيراً من اليهود من جملتهم الملك يهوياكين ورجاله، وعين صدقيا عمّ يهوياكين على من بقي من اليهود وأسكن المسييين في منطقة نيبور عند نهر الخابور ببابل (أخبار الملوك الثاني، اصحاح ٢٤: ١-٦).

وجاءت الحملة الثانية بسبب صراع النفوذ بين نبوخذنصر وفرعون مصر حوفرا حيث قام الأخير بتحريض ملوك بلاد الشام وفلسطين ومنهم صدقيا ملك القدس على التحالف معه ضد البابليين فاستجابوا له فوجه حملته الى المنطقة، ولكن نبوخذنصر سارع بإرسال حملة تمكن بها من هزيمة المصريين واحتلال كافة المنطقة ودخل الجيش البابلي القدس ودمر الهيكل وأحرقه ونهب خزائنه، وكذلك فعل ببيوت كبار اليهود، وسبي منهم حوالي خمسين ألف شخص وذبح أولاد صدقيا أمامه ثم فقأ عينيه وحمله مقيداً مع الأسرى، وقضى بذلك على مملكة يهوذا (سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢٤: ١٧-٢٠ و٢٥ وسفر الأخبار الثاني اصحاح ٣٦: ١١-٢١ وسفر أرميا، اصحاح ٣٩: ١-٤).

عهد السيطرة الفارسية

احتلّ كورش ملك فارس بلاد بابل وقضى على دولتها سنة ٥٣٩ ق.م ومضى في حملته ففتح بلاد الشام وفلسطين، وسمح لمن أراد

من أسرى نبوخذنصر واليهود الموجودين في بابل بالرجوع الى القدس وأعاد اليهم كنوز الهيكل وسمح لهم باعادة بنائه وعين زربابل حاكماً عليهم. سفر عزرا اصحاح ٦: ٣-٧ واصحاح ١: ٧-١١.

وبدأ الحاكم اليهودي التابع لكورش ببناء الهيكل ولكن الأقوام المجاورة توجست من ذلك واشتكت الى قبيل خليفة كورش فأمر بايقاف البناء، ثمّ سمح لهم دارا الأول فأتّموا بناءه سنة ٥١٥ ق.م - سفر عزرا، اصحاح ٦: ١-١٥.

واستمرّت السيطرة الفارسية على اليهود من سنة ٥٣٩ ق.م - ٣٣١ ق.م حكم فيها كورش، وقبيل، وداريوس الأول (دارا)، واحشوريوش، وأرتخشستا المعاصر لعزير عليه السلام، وحكم بعده عدة ملوك منهم داريوس الثاني وأرتخشستا الثاني، والثالث، وكان آخر ملوكهم داريوس الثالث الذي قضى عليه الإسكندر اليوناني. وأكثر هؤلاء الملوك ورد ذكرهم في التوراة الموجودة.

عهد السيطرة اليونانية

زحف الاسكندر المقدوني على مصر وبلاد الشام وفلسطين ففتحها وهزم الحاميات الفارسية والقوى المحلية التي وقفت في وجهه ودخل القدس وأخضعها فيما أخضع، ثمّ قضى على داريوس الثالث وجيشه في معركة أربيل الحاسمة بشمال العراق، وتابع زحفه فاحتلّ ايران وغيرها.. ودخل اليهود بذلك تحت السيطرة اليونانية سنة ٣٣١ ق.م. وقد تنازع قادة جيش الاسكندر بعد وفاته على امبراطوريته الكبيرة،

وبعد صراع دام عشرين سنة سيطر البطالسة في مصر (نسبة الى بطليموس) على أكثر أجزاء الدولة، والسلوقيون في سوريا (نسبة الى سلوقس) على أجزاء أخرى، ودخلت القدس تحت سيطرة البطالسة في سنة ٣١٢ ق.م حتى انتزعها منهم انطيوخوس الثالث السلوقي سنة ١٩٨ ق.م ثم غلب عليها البطالسة مرة أخرى حتى الفتح الروماني سنة ٦٤ ق.م.

وقد ذكرت التوراة الموجودة ستة من البطالسة باسم بطليموس الأول والثاني.. الخ. وأن الأول منهم دخل أورشليم يوم السبت وسبى عدداً من اليهود الى مصر- سفر دانيال، اصحاح ١١: ٥.

كما ذكرت خمسة من السلوقيين باسم انطيوخوس الأول والثاني.. الخ. وأن الرابع منهم -١٧٥ ق.م -١٦٣ ق.م زحف على القدس ونهب جميع النفائس من المعبد، وبعد سنتين ضربها ضربة عظيمة ونهبها وهدم بيوتها وأسوارها وسبى نساءها وأطفالها ونصب تمثالاً لألهة زفس في الهيكل وأمر اليهود بعبادته فاستجاب له كثير منهم ولجأ بعضهم الى المخابىء والمغاور فكان ذلك سبب ثورة اليهود المكابيين سنة ١٦٨ ق.م- سفر المكابيين، اصحاح ١: ٤١ -٥٣.

وهذه الثورة التي يفتخر بها اليهود كثيراً أشبه بحرب عصابات ضد اليونانيين حققت انتصارات محدودة في فترات مختلفة، واستمرت حتى السيطرة الرومانية.

عهد السيطرة الرومانية

في سنة ٦٤ ق.م احتلّ القائد الروماني بومبي سورية وضّمها الى امبراطورية روما، وفي السنة الثانية احتلّ القدس وجعلها تابعة لحاكم سوريا الروماني.

وفي سنة ٣٩ ق.م عين القيصر أغسطس هيرودس الأدومي ملكاً على اليهود وقد بدأ ببناء الهيكل بناءً جديداً واسعاً مزيناً وتوفي سنة ٤ ق.م وقد ذكره انجيل متي ص ٢.

كما ذكرت الأناجيل ابنه هيرودس الثاني الذي حكم من سنة ٤ ق.م الى سنة ٣٩ م. والذي ولد في زمانه المسيح عليه السلام، والذي قتل يحيى بن زكريا عليها السلام وأهدى رأسه على طبق من ذهب الى سالومه احدى بغايا بني اسرائيل (انجيل مرقس ٦: ١٦-٢٨).

وتذكر الأناجيل والمؤرخون الاضطرابات التي وقعت في القدس وفلسطين على عهد نيرون ٥٤م-٦٨م والتي كانت بين اليهود والرومان وبين اليهود أنفسهم فقام القيصر فسبسيان بتعيين ابنه تيطس سنة ٧٠م ملكاً على المنطقة، وقام تيطس بحملة على القدس فتحصن فيها اليهود حتى نفدت مؤنهم وضعفوا واطرق تيطس السور واحتلّ المدينة وقتل الألوف من اليهود ودمر بيوتهم ودمر الهيكل وأحرقه وأزاله من الوجود تماماً بحيث لم يعد يهتد الناس الى موضعه، وساق الأحياء الباقين الى روما.

ويذكر المسعودي في التنبيه والاشراف ص ١١٠ على ما نقل عنه الدكتور سوسه أن عدد القتلى في هذه الحملة بلغ من اليهود والمسيحيين ثلاثة آلاف ألف - ثلاثة ملايين -.

وقد اشتدت قبضة الرومان على اليهود بعد هذه الحوادث، ثم بلغت ذروتها عندما تبنى قسطنطين ومن بعده من القياصرة الديانة المسيحية فنكّلوا باليهود، ولهذا استبشر اليهود بغزو كسرى ابرويز لبلاد الشام وفلسطين وانتصاره على الروم سنة ٦٢٠م وفرح بذلك اخوانهم يهود الحجاز واستفتحووا على المسلمين فنزل قوله تعالى «أ.ل.م. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم». ١ - ٥ - الروم ويذكر المؤرخون أن اليهود اشتروا من الفرس عند انتصارهم عدداً كبيراً من الأسرى النصراني بلغ تسعين ألفاً وذبحوهم.

وعندما انتصر هرقل بعد بضع سنين نكّل باليهود وطرد من بقي في القدس منهم وأصبحت القدس عند النصراني محرمة على اليهود، ولذلك اشترطوا على الخليفة عمر بن الخطاب أن لا يسكن اليهود فيها فأجابهم الى طلبهم وكتب ذلك في عهد الصلح لهم كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٠٥ وكان ذلك في سنة ٦٣٨م، سنة ١٧ هجرية حيث أصبحت القدس وفلسطين جزءاً من الدولة الاسلامية الى سنة ١٩٢٥م عندما سقطت الخلافة العثمانية بأيدي الغربيين.

٢- العقوبات الموعودة لبني اسرائيل

مضافاً الى الوعد الإلهي لبني اسرائيل بالافساد مرتين والعقوبة عليها يوجد في القرآن الكريم وعدان آخران لهم بالعقوبة. أحدهما في سورة الأعراف وهو وعد بالتسليط عليهم. والثاني في سورة المائدة وهو وعد بإحباط فتنهم ومخبطاتهم العسكرية. ولكل من هذه الوعود الثلاثة مقوماته الخاصة، وهي تكمل بعضها بعضاً، وتشكل مجموعها تفسيراً يستوعب حياة اليهود في تاريخهم ومستقبلهم. و يناسب بحثنا أن نقدم الوعدين الثاني والثالث.

الوعد الثاني

وهو في قوله تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ. إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا، مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» ١٦٧-١٦٨- الأعراف..

ممّا نلاحظ في هذا الوعد:

١- أنه أستعمل له كلمة «تأذن» التي هي بمعنى نادى معلناً. ولم تستعمل تأذن في القرآن إلا في هذا الموضع وفي موضع آخر عن بني اسرائيل أيضاً يتقابل فيه التهديد والترغيب: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبَحُونَ
 أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
 لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ. وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ
 وَقَمِنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» ٦- ٨ ابراهيم. وسوف ترى أن
 العديد من ألفاظ وتراكيب الوعود الثلاثة لا يستعملها القرآن إلا في
 اليهود خاصة أو في حالات خاصة جداً تشبه (الحالة اليهودية) مما يلفت
 النظر الى مجال جديد في منهج التعبير القرآني.

٢- استعمل في الوعد مصطلح «يسومهم سوء العذاب» الذي
 لم يستعمل إلا وصفاً لمعاملة فرعون لبني اسرائيل، مما يفهم من نوع
 العقوبة الضرورية لبني اسرائيل «سوء العذاب» وكذلك كانت سيطرة
 العموريين والآراميين والآشوريين والمصريين والبابليين واليونان
 والرومان وغيرهم. وكان أخفها عقوبة الفرس المجوس والمسلمين.

٣- الظاهر أن هذا الوعد يشمل مرحلة انخراطهم بعد موسى عليه
 السلام، بقرينة مجيئه في سياق عقوبة أهل القرية الذين اعتدوا في
 السبت، وتعقيبها بقوله تعالى «وقطعناهم في الأرض أُمماً» وبقرينة
 التأذن المشابه له على لسان موسى عليه السلام «وإذ تأذن ربكم
 لئن شكرتم...» فيكون تسلط الأقوام المتقدمة تصديقاً لهذا الوعد.

٤- من الواضح أن تصديق الوعد الإلهي بتسليط أقوام على اليهود
 مدى حياتهم الى يوم القيامة.. أمر عرني بحيث يصدق عليهم أن مجموع
 تاريخهم عرفاً تحت سيطرة الآخرين. وإذا استعرضنا تاريخ اليهود من زمن
 موسى عليه السلام الى يومنا هذا واستثنينا منه فترات حكم الأنبياء

موسى و يوشع وداود وسليمان عليهم السلام الخارجة بطبيعتها نجد أن تسلط الأقباط المذكورين يستغرق كل تاريخ اليهود الى زمن النبي (ص) حيث انتصر عليهم المسلمون وانتقلت اليهم السيطرة عليهم من الرومان. لكن يرد اشكال على فترة السيطرة الاسلامية عليهم خلال الثلاثة عشر قرناً حيث لا ينطبق على المسلمين أنهم كانوا يسومونهم سوء العذاب فالجاليات اليهودية في بلاد المسلمين لم تلاق سوء العذاب الموعود به الى يوم القيامة إلا في صدر الاسلام حيث قتلوا منهم وسبوا وصادروا أموالهم.

والجواب أن «يسومهم سوء العذاب» لا تعني استمرارية عملية القتل والسبي والسجن بل تعني اخضاعهم عسكرياً وسياسياً لسيطرة من يبعث عليهم، وهذا لا يتنافى مع اعطائهم حريات وحقوقاً ضمن اطار الخضوع لمن يحكمهم.. وقد عاشوا القرون الطويلة تحت حكم الأقباط المتقدمين وكانوا لا يتعرضون للقتل إلا في فترة السيطرة الأولى أو عندما يبدر منهم عمل عسكري أو سياسي مضاد.. وكما يصح وصف هؤلاء الأقباط بأن بُعثوا على اليهود وساموهم سوء العذاب فكذلك يصح وصف المسلمين وان كانوا أقل منهم سوءاً للعذاب. وقد ورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام تطبيق آية من يسومهم سوء العذاب على أمة محمد (ص) ونقل صاحب مجمع البيان أن عليه اجماع المفسرين.

ولكن يبقى الإشكال بالنسبة الى الأوربيين والأمريكيين والروس، فان الجاليات اليهودية الموجودة في بلادهم أو في بلاد المسلمين بعد تسلطهم علينا من مطلع هذا القرن لم تلاق منهم سوء العذاب باستثناء

ما فعله هتلر بيهود ألمانيا.

لقد مضى على اليهود قرن تقريباً أو نصف قرن على الأقل ولا يوجد تطبيق لهذا الوعد الإلهي وهذا ما لا نظير له في كل تاريخهم باستثناء حكم الأنبياء عليهم السلام.

والجواب: أن هذه الفترة من حياة اليهود خارجة عن الوعد الإلهي المذكور لأن هذا الوعد مخصص بالوعد الأول بالافساد مرتين والعلو لأن ذلك يقتضي أن يوجد لهم امكانيات ومدة زمنية كافية لتحقيق العلو..

لهذا لا بد أن نستثني من وعد «ليبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة» الفترة التي يقتضيها الوعد الإلهي الآخر تخلو حياتهم فيها من السيطرة الخارجية و يكونون في مرحلة العلو، كما هو حالهم اليوم.

الوعد الثالث

في قوله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا لَمَآ قَالُوا، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ. وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَتَوْا بِكَ مِنْ رَّبِّكَ ظُفْيَانًا وَكَفْرًا.. وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ. وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» ٦٤ - المائدة.

ومما نلاحظ في هذا الوعد:

١- أنه يركز على احباط مخططاتهم العسكرية سواء كانوا فيها طرفاً مباشراً أو غير مباشر، فكلمة أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله تعالى وهو وعد شامل بإطفاء نارهم سواء كانوا طرفها المباشر أو قدوها بتحريك الآخرين أو بالأسلوبين جميعاً.

٢- لم يستعمل القرآن الكريم تعبير «أوقدوا ناراً للحرب» إلا في هذا الموضوع! وهذا التشبيه لاثارة الحرب بايقاد النار، الذي يتضمّن تشبيه الحرب بالنار، والذي يعالج بالإطفاء باستمرار يدلّ على أن عملية اشعال الحرب أصبحت طبيعة في اليهود وأن الحدود التي يمكن أن يصلوا إليها هي اعداد مقدمات الحرب والبدء باضرارها، فاذا أصبحت ناراً متقدة حصل التدخل الإلهي لاطفائها.

٣- زمن هذا الوعد قد يشمل تاريخ اليهود قبل الاسلام، ولكن المؤكد شموله لمرحلة ما بعد الاسلام بقريظة أنّه وعد نزل على رسول الله (ص) وأن مضمون الآية وسياقها وما بعدها تنديد بموقفهم المعادي للاسلام وأنهم سيزدادون له عداً «وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً».

جاء الوعد الأول بصيغة التحديد «لتفسدن في الأرض مرتين» والوعد الثاني بصيغة الاطلاق القابل للتقييد المتصل والمنفصل «ليبعثن عليهم من يسومهم» أمّا الوعد الثالث فقد إستعملت فيه أداة التعميم (كلها) لأنه وعد شامل لكل حالات إيقاد الحرب ولا تخصيص فيه.

كما أن الوعد الأول، جاء بصيغة القضاء والحكم «وقضينا الى بني اسرائيل» وجاء الثاني بصيغة الإعلان الإلهي «وإذ تأذن ربك» أمّا الوعد الثالث فجاء بصيغة الفعل الإلهي المباشر متناسباً مع موضوعه اطفاء نار الحرب والأخذ على يد موقديها.

٥- نجد تطبيق هذا الوعد الإلهي في عدد من الحروب في تاريخ المسلمين البعيد والقريب التي عمل اليهود لاشعالها ضد المسلمين.

وقد شرعوا في بعضها بمقدمات الخطب والكبريت، ووصلوا في بعضها الى مرحلة الايقاد.. وأطفأها الله تعالى.. وما يدخل في غرضنا هو ايقادهم الفعلي لنار الحرب التي هم طرف مباشر فيها في فلسطين وطرف غير مباشر في العديد من بلاد المسلمين، وقد وصلوا في كثير منها الى درجة الايقاد، ولم يبق إلا أن يتحقق الوعد الإلهي باطفائها.



الوعد الأول

آيات الوعد

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفَسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُتُّوا مَا عَمِلُوا تَنْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُرَحِّمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ مِنْهُ نَحْنُ عُذْبَةٌ لِّكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *»

مناقشة رأي المفسرين

يرد على رأي المفسرين القائل بأن الافسادين قدمضيا والعقوبتين عليها قد وقعتا عدة اشكالات أساسية، منها:

١- أنه يلزم على هذا القول أن يكون الافساد والعلو الاسرائيلي قد مضيا. أما الافساد فليء به تاريخهم، وأما العلو فمأدري أين وجده المفسرون في تاريخ اليهود؟

إنَّ العلو يختلف في استعماله في العربية عن الافساد، والتكبر. فالافساد كما يكون على نطاق واسع يكون على نطاق ضيق. قال تعالى عن فرعون «إنَّه كان من المفسدين» ٤- القصص. وقال عن يسيء إدارة اليتامى «ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير، وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين، والله يعلم المفسد من المصلح» ٢٢٠- البقرة.

وقال عن نقص المكيال والميزان: «ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين» ٨٥- هود.

وقال عن السحرة: «فلمَّا ألقوا قال موسى إنَّ ما جئتم به السحرا ن الله سيبطله إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين» ٨١- يونس.

وعلى هذا فان وصف اليهود بالمفسدين في الأرض يتحقق بافسادهم فيما بينهم، كما يتحقق بافسادهم لغيرهم بأي شكل من أشكال التأثير الثقافي والسياسي، ولا يتوقف على سيطرتهم على غيرهم. ولذلك قال تعالى

عنهم «ويسعون في الأرض فساداً» ٦٤ - المائدة.

وأما التكبر فيستعمل صفة لحالة في النفس قال تعالى «إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه» ٥٦ - غافر.

كما يستعمل صفة للتكبر عن شيء قال تعالى «والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها» ٣٦ - الأعراف. وقال «فاهبط منها فأيكون لك أن تتكبر فيها» ١٣ - الأعراف. وقال «وإذا تنلى عليه آياتنا ولئى مستكبراً كأن لم يسمعها» ٧ - لقمان.

كما يستعمل في الاستكبار على الناس، قال تعالى «وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا» ٣٦ - الأعراف.

وعلى هذا فان وصف اليهود بالاستكبار يتحقق بوجود حالة الكبر في صدورهم، وباستكبارهم على آيات الله تعالى، وباستكبار بعضهم على بعض، ويتحقق بمجرد طلب التكبر على الآخرين ولا يتوقف على سيطرتهم على الآخرين.

أما العلو فلا يستعمل صفة لحالة في النفس فلا يقال: علا فلان في نفسه، كما يقال تكبر في نفسه.

ولا يستعمل صفة للتكبر عن شيء فلا يقال: علا أو استعلى عن أمر ربه كما يقال استكبر عن أمر ربه، بل يقال علا على ربه. ولذلك جاء متقابلين في قوله تعالى «أستكبرت، أم كنت من العالين» ٧٥ - ص.

بل يستعمل العلو في مجالين لم أجد لهما ثالثاً. أحدهما العلو المكاني مثل: علا ظهر فرسه، وعلا السطح والجبل.. الخ. والأصل فيه أن يكون متعدياً ولا يحتاج الى حرف جرّ.

وثانيهما: العلو المعنوي الشبيه بالتكبر، ولا يجيء إلا في العلو على العاقل، والأصل فيه أن يتعدى بعلى. وقد استعمل في القرآن الكريم هو ومشتقاته (علا، علواً، استعلى، تعلوا، عال، عالياً، عالين، الأعلى، الأعلون) بهذا المعنى ولم يستعمل في غيره.

ومنشأ هذا الفرق أن التكبر صفة لحالة نفسية تستلزم فعلاً، ويكون طرفها المتكبر عليه شيئاً أو عاقلاً. بينما العلو صفة لعمل يستلزم صفة نفسية ولا يكون طرفه إلا عاقلاً، فهو لا يتحقق إلا بعمل العلو على الآخرين كما لا يتحقق البغي إلا بعمل الظلم للآخرين.

وعلى هذا فوصف اليهود بالعلو الكبير يتوقف على سيطرتهم على غيرهم من الأمم وممارسة العلو عليهم، وهذا لم يتحقق في تاريخهم. إن فرعون علا في الأرض، وقومه كانوا عالين أيضاً كما وصفهم الله تعالى لأنهم مارسوا العلو على الآخرين. أمّا اليهود فلم يعلوا علواً كبيراً إلا في عصرنا الحاضر. وإذا لم يتحقق منهم العلو في الماضي فكيف تقع عقوبته! قد يقال: نعم كان اليهود في تاريخهم تحت سيطرة من يسومهم سوء العذاب ولكن مرت عليهم فترات في غير عهود الأنبياء عليهم السلام سيطروا فيها على بعض الأقوام القريبين منهم وعلوا عليهم.

ولكن لو سلمنا ذلك، فهو علو صغير، وليس العلو الكبير الذي أخبرت به الآيات. وأمّا فترات حكم الأنبياء عليهم السلام فلا يمكن من وجهة نظر اسلامية أو تاريخية أن نعتبرها علواً واستكباراً حيث لم يصدر ذلك منهم عليهم السلام ولا سمحوا به لليهود في حياتهم.

وقد يقال: اذالم يعل اليهود في تاريخهم على غيرهم، فقد علوا على

بعضهم علواً كبيراً، فيكون العلو تحقق منهم.

والجواب: أن المقصود بالعلو الكبير في الآيات الشريفة هو العلو على غيرهم من الأمم وليس على بعضهم، يدلّ عليه سياق الآيات، وما يأتي في معنى رددنا لكم الكرة عليهم.

٢- في الآيات الكريمة صفتان لحالة الافساد الثاني لم تتحققا في كل تاريخ بني اسرائيل إلا في عصرنا وهما «ثمّ رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً» فلا تجدد في تاريخهم أنهم ردت لهم الكرة على أحد ممّن سيطر عليهم إلا على المسلمين في عصرنا الحاضر، فلم تردّ لهم الكرة لاعلى الفراعنة ولا على الآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان ولا على الأقوام الصغيرة الأخرى التي أخذت بسهمها في سؤمهم سوء العذاب.

وكذلك لم يكونوا في يوم من الأيام أكثر نفيراً من أعدائهم أي أكثر أنصاراً، لأن النفير في اللغة كما يذكر الزبيدي في شرح القاموس جمع نفر وهم الذين تستطيع أن تحركهم اذا أهك أمر فينفرون بالأمر معك.

وما لم تتحقق صفة ردّ الكرة وزيادة النفير لا تحقق العقوبة الموعودة على أثرها.

كما تدلّ الآيات على وجود فرق بين شكل العقوبة الأولى والثانية، فهي تشعر بسهولة التغلب عليهم في المرة الأولى «فجاسوا خلال الديار» وبعنف المقاومة اليهودية في الثانية «ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد» ولا ينطبق ذلك على عقوبتي نبوخذ نصر وتيطس اللتين تتشابهان في حصار القدس والدخول بعد معركة عنيفة.

٣- أنّ الذين سيطروا على اليهود ودخلوا المسجد ونهبوه أقوام عديدون قد يبلغون من شيشق المصري الى تيطس الروماني أكثر من عشرة أقوام وقد ذكرنا في الخلاصة المتقدمة احتلال المسجد سبع مرات من قبل شيشق والفلسطينيين و يوأش، وسنحاريب، ونبوخذنصر مرتين، وبظليموس، وانظيوخوس، وتيطس، وهرقل.

وقد جاس العديد منهم خلال الديار، وساؤوا وجوه اليهود، ودخلوا المسجد ونهبوا خزائنه، وخرّبوه.. فاهو الوجه في تخصيص نبوخذنصر البابلي وتيطس الروماني؟ أنّ زيادة هذين القائدين على غيرهم بحرق المسجد وازالته لا يصحح تطبيق الآيات عليها دون غيرهما.

تفسير الآيات

ممّا يلفت النظر أن القرآن الكريم استعمل في هذه الآيات عدة ألفاظ وتراكيب لم يستعملها في غيرها أبداً، أو استعملها في شأن اليهود فقط، أو في حالات قليلة خاصة تشبه (الحالة اليهودية) وقد أشرنا الى احتمال أن يكون وراء ذلك أمر جديد في «منهج التعبير القرآني» وهو اختصاص الموضوع القرآني بعدد من الألفاظ والتراكيب لا تستعمل في غيره، فيكون هذا جانباً جديداً من اعجاز القرآن من جهة، ومن جهة أخرى دليلاً يكشف الوحدة الموضوعية بين أمور لم تكن تبدو موحدة لولا العناصر المشتركة التي تدلّ عليها الألفاظ والتراكيب المشتركة بينها.

على أي حال فإن القرآن الكريم يعتبر بني اسرائيل حالة خاصة من التعقيد في شخصية الأمم و يتحدث عن (الحالة الاسرائيلية) بألفاظ

وتعابير خاصة لا يستعملها في حالة أخرى.

«وقضينا» بمعنى حكمنا بما سيكون لهم، من نوع القضاء على قوم لوط في قوله تعالى «وقضينا اليه ذلك الأمر، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» ٦٦ - الحجر، وقد وردت صيغة قضينا في القرآن في موردين آخرين هما قضاء النبوة لموسى عليه السلام «إذ قضينا الى موسى الأمر» ٤٤ - القصص، وقضاء الموت على سليمان عليه السلام «فلما قضينا عليه الموت» ١٤ - سبأ.

والتعبير بالقضاء الإلهي عن هذا الوعد يدلّ فيما يدلّ على حتميته، وإذا قضى أمراً فإنّنا يقول له كن فيكون، ويشعر بشموله لمجموع مستقبل اليهود بعد هذا القضاء.

«الى بني اسرائيل» اسرائيل بمعنى عبدالله وهي لقب ليعقوب عليه السلام، وهي مركبة من (اسرا) بمعنى عبد و(ايل) بمعنى الله تعالى - البحار ج ١٢ ص ٢٦٥.

(ويهود) فعل مضارع من (هاد) بمعنى تاب، ولا يبعد أن تكون من أصل بابلي وأنّها لفظة مشتركة بين العربية والعبرية. وقد قالها موسى عليه السلام في استغفاره لنفسه وأخيه عندما عبد قومه العجل، وتسمّى بها اليهود عندما تابوا عن العجل. «قال: رب اغفر لي ولأخي.. الى قوله: إنا هُذنا إليك» ١٥٦ - الأعراف.

ومن دقة القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنّه لم يُعْطِ هذا الاسم صفة الشرعية ولم يستعمل كلمة اليهود التي تعني التائبين إلاّ حكاية عن لسانهم وفي مقام ذمهم، فقد وردت كلمة (يهود) في القرآن ثماني مرات، و(هوداً) ثلاث مرات، و(يهودياً) مرة، وكلها في

مقام الذم وكلها مقترنة مع النصرارى! إلا في آية الوعد بإطفاء نارهم
«كلماً أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله»!!

وقد استعمل تعبير «الذين هادوا» عشر مرات في حالات مختلفة،
فأعطى توبتهم عن العجل صفة الشرعية، ولكنه لم يعط اسم التائبين لهم
الشرعية لأنهم عادوا الى انحرافهم وكفرهم.

فاليهود ومشتقاتها في القرآن إذن اسم يستعمل لأغراض خاصة، أمّا
الاسم الرسمي لهم فهو (بنو اسرائيل) الذي ورد في القرآن الكريم
احدى وأربعين مرة حيث لا يكون موجب لاستعمال كلمة اليهود أو
الذين هادوا، والذين أوتوا الكتاب، وأهل الكتاب.

وفي ظنّي أن هذا الأسلوب في تسميتهم ملتزم به أيضاً في أحاديث
النبي (ص) والأئمة عليهم السلام. مع أنه لا مانع من تسميتهم به من قبل
النبي (ص) والمسلمين باعتباره اسماً مشهوراً بعد أن سجّل الله تعالى عليه
التحفظ في القرآن الكريم.

«في الكتاب» أي في التوراة، فقد استعمل القرآن الكريم كلمة
الكتاب بمعنى التوراة والأنجيل مرات عديدة «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب»
١٦٩- الأعراف، وجعل (أهل الكتاب) مصطلحاً لليهود والنصارى
ومعهم المجوس. فاطلاق كلمة الكتاب في الآية بقريئة الحديث عن
بني اسرائيل تدلّ على التوراة فكيف اذا جاء قبلها قوله تعالى: «وآتينا موسى
الكتاب» وهذا يتبيّن ضعف تفسير الكتاب باللوح المحفوظ. وهذا يكون
ابتداء الوعد من عهد موسى عليه السلام. ونلاحظ في التوراة الموجودة
أثراً لهذا الوعد، ولكن نلاحظ أكثر منه عقدة العقوبة الإلهية، فبدل أن

يستفيدوا من التهديد الإلهي بالعقوبة حولوه الى عقدة في شخصيتهم وثقافتهم سواء في تفسيرهم لسبب العقوبة أو في التصرف تجاه العقوبة. وهذا هو السبب في أن ذعرهم وخوفهم الذي نشاهده يختلف عن خوف الغربيين لأنه ممزوج بهذه العقدة التاريخية «عقدة انتظار العقاب الإلهي».

«لتفسدن في الأرض مرتين» «والافساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة» -المفردات للراغب الإصفهاني، ولكن القرآن الكريم لم يستعمل الفساد والافساد إلا بالمعنى الاجتماعي السياسي، وجعل منه مصطلح (الافساد في الأرض) فاستعمله ثماني وعشرين مرة في أنواع متعددة من الفساد والافساد، منها ماهو على نطاق واسع كافساد الملوك والحكام، ومنها ماهو على نطاق ضيق كنقص المكيال والميزان، واساءة ادارة اليتامى، والسرقة، والسحر.

ومنها ماهو عمل من نوع التعدي على الناس وظلمهم وصدّهم عن سبيل الله ٨٦- الأعراف ٨٨ والنحل.

ومنها التكذيب بآيات الله تعالى ٤٠- يونس و١٠٣- الأعراف. ومنها تنازل المسلمين عن الموقف السياسي الواحد تجاه الكفار «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، الأتفلوه نكن فتنة في الأرض وفساد كبير» ٧٣- الأنفال .. فكلّ هذه الأنواع من الفساد والافساد توجب خروج المجتمع عن الاعتدال والاستقامة بمفهوم القرآن لها.

وعلى هذا فان العديد من مواد (الافساد في الأرض) الواردة في القرآن تنطبق على اليهود في زمن موسى عليه السلام وبعده، ولكن المهم هنا تحديد المرتين الموعودتين، فلا بدّ من شيء يصلح لتقسيم تاريخ اليهود الى مرحلتين، مرحلة الافساد الأول ومرحلة الافساد الثاني، ولا بدّ أن يكون هذا الشيء حدثاً قام به اليهود أو أثر على حياتهم؟

وقد حاول بعض المفسرين أن يجدوا هذا الحدث من فعل اليهود أنفسهم ولكنهم عجزوا عن تقسيم جرائمهم الى مرحلتين متميزتين لكثرتها واستمرارها! سواء منها قتل الأنبياء أو الرجوع الى عبادة الأصنام أو ظلم بعضهم لبعض.. الخ. ولذلك اتجه أكثر المفسرين الى البحث عن هذا الحدث من فعل غيرهم واعتمد الرأي السائد عندهم على تحديد الافسادين بتحديد العقوبتين الموعودتين عليهما.. وهو اتجاه صحيح بقطع النظر عن النتيجة التي وصلوا اليها، فان تقسيم حياة اليهود المعقدة المليئة بالافساد الى مرحلتين أمر غير ممكن.

«وَلْتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا» تقدّم أن العلو هو الاستكبار والسيطرة على الآخرين، وقد تحدّث القرآن الكريم عن العديد من الطغاة ووصفهم بصفات عديدة ولكنه لم يصف أحداً بالعلو سوى فرعون وملئه و.. بني اسرائيل في هذا الوعد! قال تعالى «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ» ٤٦ - المؤمنون، «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً» ١٤ - النمل. ووصف فرعون في عدة آيات أخرى بالعلو ولكن لم يصف علوه وعلو قومه بأنّه كبير بينما وصف علو بني اسرائيل الموعود بأنّه كبير! وهذا الوصف لا ينطبق على شيء من تاريخ بني اسرائيل إلاّ في عصرنا

الحاضر حيث بلغ فراغته المال والسياسة اليهود من السيطرة والعلو على المسلمين وشعوب العالم ما لم يبلغه فرعون مصر وملوؤه.

وممّا يلاحظ على المفسرين أنّهم عمّموا الوعد بالافساد مرتين الى الوعد بالعلو تأثراً بعطفه على الافساد، مع أنّه لا مبرر له، لأنّه مثل قولك لشخص: سوف تسافر مرتين، وتربح ثروة كبيرة، أو قولك: سوف تشعل الفتنة في هذا البلد مرتين، ثم تسيطر عليه سيطرة قوية. فكما أن وصف المرتين مخصوص باشعال الفتنة ولا يشمل التسلط، فكذلك هو مخصوص بالافساد في الأرض ولا يشمل العلو الكبير، بل يبقى العلو على ظهوره في عدم التعدد.

وتدلّ الآيات الشريفة على أن هذا العلو الموعود يكون مقارناً للافساد الثاني أو على أثره، بدليل أن تبيّره ورد في وصف العقوبة الثانية ولم يرد في وصف العقوبة الأولى، كما سوف يتّضح.

«فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد»

يذكر المفسرون أنّه لا توجد في الآيات دلالة تحدد هؤلاء القوم الذين وعد الله بتسليطهم على اليهود، وأن الصفات المذكورة في الآيات لا تدلّ على تعيينهم ولا حتى على أنّهم أمة واحدة في العقوبة الأولى والثانية.

وبما أن هذه الصفات التسع المنصوص عليها في الآيات متداخلة مع صفات الافسادين وصفات العقوبتين، فسننظر فيها حسب تسلسل الآيات.

«بعثنا عليكم» تستعمل مادة بعث في القرآن الكريم في بعث الله

للمؤمنين وغيرهم، قال تعالى: «هو الذي بعث في الأميين رسولاً» ٢ - الجمعة

وقال: «ليبعثنَّ عليهم من يسومهم سوء العذاب» ١٦٧ - الأعراف، وقد بعث عليهم فيمن بعث الوثنيين، وقال تعالى: «فبعث الله غرباً يبحث في الأرض» ٦٥ - الأنعام. وهذه النظرة حكم المفسرون بأن قوله تعالى: «بعثنا عليكم» لا يدلُّ على أنَّ المبعوثين مؤمنون ليكونوا المسلمين. ولكن بنظرة أعمق في استعمال القرآن المادة «بعث» ومشتقاتها نلاحظ أولاً أنَّ المادة لا تستعمل في القرآن إلا في بعث الآخرة وما يشابهه وبعث الأنبياء وما يشابهه، ولا نطيل في ذلك. ونلاحظ ثانياً أن فعل الماضي المجرد (بعث) استعمل سبع مرات، خمس منها للأنبياء عليهم السلام وواحدة لبعث طالوت وواحدة لبعث الغراب. وأن الماضي المتصل بضمير المتكلم (بعثنا) استعمل أيضاً سبع مرات خمسة منها للأنبياء عليه السلام وواحدة لنسبائه بني إسرائيل «وبعثنا فيهم اثني عشر نقيباً». ١٣ - المائدة، وواحدة لمعاوية بني إسرائيل «بعثنا عليهم».

انه لا يصح أن نكتفي بملاحظة عامة لاستعمال جميع مشتقات المادة في القرآن الكريم فنحكم بعموم استعمالها، فكثيراً ما يكون استعمال المادة عاماً واستعمال صيغة أو صيغ منها خاصاً، كما هو الحال في (بعثنا)، مما يشكّل على الأقل قرينة ضعيفة على إيمان المبعوثين تضمُّ إلى غيرها.

«عباداً لنا» وما تقدّم في (بعثنا) يردّها أيضاً، إذ لا يكفي أن يكون استعمال كلمة (عبد) في القرآن عاماً للمسلمين وغيرهم، بل لابد من ملاحظة عبد وعباد المضافة إلى ضمير المتكلم حيث نجد أن كلمة (عبدنا) استعملت في القرآن خمس مرات للأنبياء عليهم السلام فقط.

وكلمة (عبده) استعملت سبع مرات للأنبياء عليهم السلام فقط. وكلمة (عبادنا) استعملت اثني عشر مرة للأنبياء عليهم السلام والمؤمنين فقط! وأن صيغة (عباداً لنا) لم تستعمل إلا في هذا الوعد! فاختصاص الصيغ المشابهة بالأنبياء والمؤمنين، وزيادة هذه الصيغة بلام الاضافة والنسبة الى الله تعالى (لنا) يجعل الصيغة دليلاً أو قرينة قوية على أن المبعوثين من المؤمنين ومن نوعية خاصة منهم.

ومما يقوي هذه القرينة - ويعطي القرينة المتقدمة شيئاً من القوة أيضاً - أن الله تعالى استعمل مادة البعث في الوعدين لبني اسرائيل ولكن جعل الصيغة في وعد التسليط عليهم «ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب» وعبر عن المبعوثين بـ«من» وقد عرفنا أن هؤلاء المبعوثين هم الوثنيون والمجوس والنصارى والمسلمون. بينما جعل الصيغة هنا «بعثنا» وهي صيغة استعملها للأنبياء والأوصياء فقط. وعبر عن المبعوثين بـ«عباداً لنا» وهو تعبير فريد لم يستعمل ما يشبهه في الاضافة اليه تعالى إلا في الأنبياء والمؤمنين. نعم ورد استعمال (عبادي) لغير المؤمنين أيضاً ولكنّه استعمال يجيء دائماً في مقابل دعوى العبودية لغيره تعالى.

«أولي بأس شديد» أي أولي مكروه شديد ينزلونه بالعدو، فالبأس والبأساء بمعنى المكروه والشدة، ويستعملان في النكاية بالعدو كما في مفردات الراغب الإصفهاني. بينما (أولو قوة) تعني أولي وسائل حربية وجنود. فالقوة في مجال الحرب تعني المعاونة من خارج نفسك كما ذكر الإصفهاني أيضاً. ولذلك وردا في القرآن معطوفين في قوله تعالى «قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد» ٣٣- النمل أي: نحن أولو سلاح وجنود وأولو مكروه

ننزله بالأعداء.

إن وصف الله تعالى لهؤلاء المبعوثين على اليهود بأولي بأس شديد دون أولي قوة له بعدان، الأول: أن الغرض الأساسي في وعد اليهود بالعقوبة هو بيان أن هؤلاء المبعوثين سينزلون المكروه الشديد بهم، وهو يتناسب مع ذكر البأس. والثاني: أن عدم ذكر (قوة) هؤلاء المبعوثين التي نعني وسائل حرهم وكثرة جنودهم أمر مقصود لأنهم قد لا يملكون هذه الكثرة ولا يكونون أولي قوة كثيرة ومع ذلك فهم أولو بأس شديد. وهذا هو حال المسلمين عندما قضاوا على إفساد اليهود الأول في صدر الاسلام، وهو حالهم عندما سيقضون عليهم ويتبرون علوهم الكبير باذن الله.

«فجاسوا خلال الديار» استعمل القرآن وللمرة الوحيدة هذا التعبير الذي هو في اللغة العربية كالمصطلح العسكري لدخول المقاتلين وهم يتتبعون بقايا مقاتلي العدو. أي سيترددون بين بيوتكم لتتبع بقايا مقاتليكم. وهو أدق تعبير عن القضاء على القوة القتالية لليهود. وهو بالضبط ما فعله المسلمون عندما بعثهم الله على اليهود في صدر الاسلام، فلم تقم لليهود بعدها أي قوة عسكرية خلال ثلاثة عشر قرناً حتى بدؤوا بعلوهم الكبير.

«وكان وعداً مفعولاً» لم يستعمل القرآن الكريم هذا التعبير إلا في هذا الموضع! واستعمل تعبيرين قريبين منه أولهما: في نفس سورة الاسراء وبعد قوله لبني اسرائيل «فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقاً» قال تعالى «قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخزون للأذقان سجداً. ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً» ١٠٧- ١٠٨ الاسراء.

وثانيهما في خطابه تعالى لمشركي قريش بعد تشبيههم بفرعون وذكر ما حلّ به «فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً. الساء منظره به كان وعده مفعولاً» ١٧- ١٨- المزمّل.

أمّا قوله تعالى «سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً» فهو حكاية لقول العلماء في حق القرآن. فيسبق استعمالان من قبل الله تعالى لـ «الوعد المفعول» أحدهما انذار لفراعنة قريش بوعد اليوم الآخر الذي لا يطاق! والثاني انذار لفراعنة اليهود بيوم المسلمين الذي لا يطاق! وتفصيل الكلام في ذلك يخرجنا عن غرضنا.

«ثمّ رددنا لكم الكرة عليهم» أي: أعدنا لكم الغلبة عليهم. وهو تعبير كاف للحكم بوحدة القوم الذين يتحدّث الله تعالى عنهم في المرتين فلمولم يكونوا هم نفس «عباداً لنا» المذكورين في الآية السابقة لقال: ثمّ رددنا لكم الكرة وأمددناكم بأموال وبنين، بدون كلمة عليهم. ويدلّ عليه أيضاً ضمائر فاعل العقوبة الثانية في «ليسوا، وليدخلوا، وليتبروا» التي تعود الى «عباداً لنا». ويدلّ عليه قوله تعالى «كما دخلوه أول مرة» الذي ينصّ على وحدة الداخلين الى المسجد في المرتين. ويدلّ عليه دليل آخر غير لفظي هو أن الغلبة لم ترد لليهود على أحد ممّن سيطر عليهم طوال تاريخهم ماعدا المسلمين، فاذا لم نقل بوحدة القوم المبعوثين لم يصح القول بوقوع العقوبة الأولى فضلاً عن الثانية.

قد يقال: أن المتعارف في ردّ الغلبة لقوم على قوم أن يكون بينهم قتال. فمتى حدثت بين المسلمين واليهود معركة تحقّق بها ردّ الغلبة لليهود؟ الجواب: أن قوله تعالى: «ثمّ رددنا لكم الكرة عليهم» يدلّ على عودة

الغلبة لليهود على المسلمين ولا يحرص طريق ذلك بالمعركة، وهذا من اعجاز القرآن الكريم، فقد تحققت الغلبة لهم على المسلمين في مطلع هذا القرن بتحالفهم مع أعداء المسلمين المستعمرين، ثم تأكدت من بعد في معاركهم مع المسلمين في فلسطين والمنطقة.

«وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً» وقد فسر عز وجلّ هذا الإمداد في نفس السورة بأنه سنة الهية تشمل المؤمنين والكفار «كلاً نمدة هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً» ٢٠- الاسراء. وقال تعالى عن هذا الإمداد لأعدائه «أيحسبون أنّا نغدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» ٥٥-٥٦- المؤمنون.

وتبين الآية مقومات افساد اليهود وعلوهم وهي:

أولاً: الأموال، بصيغة الجمع التي يصبح معناها العرفي أوسع من (مال) ودلالاتها على الممتلكات غير النقدية أوضح.

ثانياً: البنين، أي العدد الذي يكفي لإدارة هذا المال والسعي للافساد به والعلو في الأرض. وهذه هي حالة الجاليات والشبكات اليهودية المنتشرة في العالم الغربي والعالم.

وثالثاً: النفير، وهم الانصارالذين يحركهم لوبي بني اسرائيل كلما لزم الأمر لمساعدتهم ونصرتهم. وأكثر ما يحركون نفيرهم بواسطة أصدقائهم مجموعة الفراعنة المتحكمين في ثروات الغرب وحكوماته، ثم بواسطة شبكاتهم الاعلامية وشبكاتهم الافسادية.

وقد ذكرنا في مناقشة رأي المفسرين أن قوله تعالى «وجعلناكم أكثر نفيراً» يدلّ على أن المبعوثين عليهم في المرتين هم المسلمون لأن اليهود لم يمر

عليهم وقت طول تاريخهم تحققت لهم الغلبة وصاروا أكثر أنصاراً على أي قوم ممتن سيطر عليهم من الآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان، وحتى على الأقوام المحيطة بهم كالآراميين والفلسطينيين والعموريين.. إلأ المسلمين في عصرنا.

«إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها» هذه الفقرة الاعتراضية التي لم ترد في موضع آخر من القرآن عدة دلالات: فهي من جهة تعبر عن العدل الإلهي والرحمة في إبقاء الباب مفتوحاً للتوبة أمام اليهود بعد إمدادهم بالأموال والبنين والانتصار وأنهم سوف لا يستفيدون من هذه الفرصة الأخيرة وسيواصلون افسادهم في الأرض. ومن جهة أخرى تدلّ على وجود فترة إمهال في الفساد والعلو قبل مجيء العقوبة الثانية حيث جاءت فاصلاً مقصوداً قصداً بعد ذكر عودة غلبتهم على المسلمين وامدادهم بأموال وبنين وقبل الدخول في حديث العقوبة الثانية حتى ليشعر القارئ أول الأمر بالرغبة في طي هذه الجملة الاعتراضية، ولكنّها من عجائب التعبير القرآني، وكله عجيب!

«فاذا جاء وعد الآخرة» مقتضى المقابلة بين قوله تعالى «فاذا جاء وعد أولاهما» أن يقول: فاذا جاء وعد أخراهما، أو وعد الثانية، ولكنّه اختار لفظ الآخرة مع أنّها مصطلح قرآني عزيز استعمل بمعنى الحياة الآخرة في مئة واثنى عشر موضعاً ولم يرد بمعنى آخر إلا في عقوبة بني اسرائيل، وفي الملة الآخرة حكاية عن قول الكفار «ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق» ٧-ص.

ويبدو أن سبب اختيار كلمة الآخرة هو أولاً: الإيحاء بأن العقوبة

الثانية تشبه آخرة بني اسرائيل وقيامتهم بمايقع عليهم فيها من بأس وعذاب بما كسبت أيديهم. وثانياً: الايحاء بأن هذه المرة من الافساد هي الأخيرة التي لا يكون من بعدها افساد من بني اسرائيل، وسيتضح ذلك في معنى قوله تعالى «عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا».

«ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ماعلوا تتبيراً» عندما نقارن وصف العقوبة الثانية بوصف العقوبة الأولى في قوله تعالى «فاذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم... فجاسوا خلال الديار» نلاحظ بينها عدة فروق منها:

أن جواب الشرط في الأولى مقرون بالفاء: فجاسوا. وفي الثانية مربوط بلام التعليل: ليسوءوا، وليدخلوا، وليتبروا. وهذه الصيغة وان كانت صحيحة نحويًا لأن فعلي الشرط يمكن أن يكونا ماضيين أو مضارعين أو مختلفين، والجواب منها يمكن أن يكون مربوطاً بالفاء أو باللام.. الخ. ولكنها صيغة قليلة الاستعمال في اللغة العربية فهي مختارة بعناية لوصف هذه العقوبة، وهي تشبه قولك لعدو «اذا جاءت سنة كذا سلط الله عليك شخصاً فحطم قوتك، ثم تعود لك الغلبة عليه، فاذا جاءت سنة كذا لكي ترى منه ماتكره، ولكي يدخل منزلك كما فعل أول مرة، ولكي يهدم ما بنيت».

ومنها: أن جواب الشرط في الأولى فعل ماض. وفي الثانية مضارع. ومنها: أن جواب الشرط في الأولى فعل واحد هو آخر مرحلة في القضاء على افساد اليهود. وجواب الشرط في الثانية ثلاثة أفعال تبدأ بسوء وجوه اليهود وتنتهي بالقضاء على علوهم و يتوسطها الدخول الى المسجد.

ومنها: أنه لم يذكر دخولهم الى المسجد في المرة الأولى ولكنه أشار اليه في دخولهم في الثانية.

ومنها: أنه تعالى عقّب على وصف العقوبة الأولى بقوله «وكان وعداً مفعولاً» وعلى الثانية بقوله: «عسى ربكم أن يرحمكم...»
فما هو الفرق بين الفاء واللام؟ والماضي والمضارع؟ والفعل الواحد والأفعال الثلاثة؟..

في المرة الأولى لم يطل زمن الصراع الاسلامي اليهودي وأنجز المسلمون بسرعة نسبية هدفهم في القضاء على القوة القتالية لليهود فجاسوا خلال ديارهم.. وهذه العملية يناسبها الفاء التي تدلّ على الاتصال الزمني. ويناسبها الفعل الواحد.

كما أن من غير المناسب ذكر السببية بين مجيء وعد العقوبة الأولى والجيوس خلال الديار، بأن يقول مثلاً: بعثنا عليكم عباداً لنا ليجوسوا خلال الديار، أو لنبعث عليكم عباداً لنا فيجوسوا خلال الديار.. لأنها علاقة غير بارزة كما هو الحال في المرة الثانية، فوعد الأولى مقترن بفجر الاسلام وبعثة النبي (ص) وذكر العلاقة السببية يكاد يحصر هدف الاسلام بالقضاء على فساد بني اسرائيل مع أنه كان هدفاً ضمنياً على قدر تأثيرهم السلبي غير الكليّ على مسيرة الاسلام.

أمّا مجيء وعد العقوبة الآخرة فهو يقترن مع نهضة المسلمين مجدداً لاعادة الاسلام وبسطه على العالم، وهدف القضاء على بني اسرائيل وعلوهم هو الهدف الأهم للمسلمين لأن اليهود يشكّلون عائقاً شبه كليّ أمامهم.. وهذا يناسبه ذكر العلاقة السببية ومجيء الجواب منصوباً بعد

لام التعليل: ليسوعوا، وليدخلوا، وليتبروا. كما أن العقوبة الأولى تتلخص بفعل واحد جاسوا خلال الديار وبإشارة آتية الى دخول المسجد الذي حصل لاحقاً بعد الانتصار على الروم ولم تكن له علاقة مباشرة بالقضاء على اليهود. أما العقوبة الثانية فتحتاج الى ثلاثة أضعاف الأولى من الأفعال، ودخول المسجد يكون فعلاً من أفعالها وهدفاً بجد ذاته.

والفرق الأهم هو بين نوعية فعل الأولى «فجاسوا خلال الديار» الذي يوحي بسرعة هزيمة اليهود وسهولة القضاء عليهم. وبين أفعال الثانية «ليسوعوا، وليدخلوا، وليتبروا» التي توحي بضراوة المقاومة وترسم للمواجهة صورة عنيفة لا يهدؤها دخول المسجد في وسطها بل يأخذ منها عنف التحدي وفرحة الانتصار.

«ليسوعوا وجوهكم» أي: لينزلوا السوء في وجوهكم. تقول: ساء فلان فلاناً، أي أنزل به مكرهاً يسؤوه. وأشد منه قولك: وقعت لفلان حادثة فسأت صباحه. قال تعالى «أفبعذابنا يستعجلون. فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين» ١٧٦-١٧٧-الصفات. وأشد منها قولك: المسلمون ساؤوا وجوه اليهود. أي أوقعوا فيهم مكرهاً شديداً بحيث ظهر على وجوههم.. ولم يستعمل هذا التعبير في القرآن في غير هذا الموضع إلا مرة واحدة في رؤية الكفار ليوم المحشر «فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا» ٢٧-الملك، مما يدل على الشبه بين سوء وجوه الكفار في يوم الحشر وسوء وجوه اليهود في يوم حشرهم. ومما يكمل الصورة أن اليهود في القرآن يختلفون عن غيرهم من الناس بأن لهم حشراً في الدنيا وقد سمي الله

تعالى به سورة من القرآن «سورة الحشر» التي لم يرد فيها ذكر حشر الآخرة أبداً بل تركزت على حشر اليهود الذي بدأه تعالى بقوله «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر.. ما ظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار» ٢ - الحشر.

وإذا كان القضاء على قوتهم القتالية في صدر الإسلام هو أول حشرهم في الدنيا.. فإن وعد العقوبة الآخرة هو كل حشرهم. وقد رسم تعالى صورة حشرهم إلى معركة فلسطين بقوله في نفس سورة الاسراء «وقلنا من بعده -أي من بعد فرعون- لبني اسرائيل اسكنوا الأرض.. فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيماً» ١٠٤ - الاسراء، فبقريته وعد الآخرة في مطلع السورة يتضح أن وعد الآخرة في هذه الآية هو وعد العقوبة الآخرة وليس وعد القيامة كما تصور بعض المفسرين.

ومعنى «جئنا بكم لفيماً» أي زرافات ووحداً يلتف بعضكم إلى بعض وتجمعون في مكان واحد. وأما تفسير بعضهم لقوله تعالى (لفيماً) بلفيف النسب في مقابل صريح النسب والإستدلال به على أن اليهود أصبحوا من عروق مختلفة فهو تفسير مقبول على أن يكون ذلك المعنى الثاني الذي توحى به اللفظة ولا ترفع اليد عن معناها الأول الظاهر، وهو الجماعة أو الشيء الذي يلتف بفضه إلى بعض. ويكون ذلك من قبيل قوله تعالى «فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً» ٩٠ - يونس، فان عدواً توحى بالركض ولكن يبقى معناها الأصلي العدوان.

«وليدخلوا المسجد» تكرار اللام في الأفعال الثلاثة تأكيد للعلاقة

السببية بين وعد الآخرة وهذه الأفعال حتى كأن كل فعل منها مسبب ونتاج بجد ذاته وكأن معركتنا مع بني اسرائيل ستكون على ثلاث مراحل: مرحلة انزال الهزيمة العسكرية بهم (ليسوا وجوهكم) ومرحلة تحرير المقدسات والأرض (وليدخلوا المسجد) ومرحلة القضاء على العدو الاسرائيلي (وليتبروا ماعلو).

وهذا الشبه الذي تنصّ عليه الآية في تحرير المسجد الأقصى الشريف في المرتين (كما دخلوه أول مرة) هل هو شبه فقط في الغلبة والنتيجة، أم يمتد أكثر من ذلك الى خطوط المعركة الأساسية فيكون حشر اليهود خارج فلسطين كما كان أول حشرهم خارج حصونهم؟ و يكون لانتصار المسلمين عليهم وقع مخيف على الغربيين فيطلبون عقد هدنة ويجيبهم قائد المسلمين الى ذلك ويعقد معهم الهدنة التي وردت فيها أحاديث عن النبي (ص) وأنها تكون آخر هدنة بين المسلمين والنصارى -الروم- وأنها تدوم سبع سنين؟.

علم ذلك عند الله تعالى ولكن وصف العقوبة الثانية وآيات الحشر غنية بالابعاد وقد لانعرف الكثير منها حتى يأتي تأويلها.

«وليتبروا ماعلوا تتبيراً» يستفاد من شرح القاموس للزبيدي وغيره أن معنى تبر الشيء: كسره وأهلكه فهو متبر، ولذلك سمي الشيء المكسر جيداً تبراً، ومنه تبر الذهب وتبر الفضة وتبر الحديد، أي جزياته الدقيقة أو المسحوقة.

والفرق بين التدمير والتتبير أن التدمير ادخال الهلاك على الشيء ولو بسائط غير مباشرة تؤدى الى هلاكه. أما التتبير فهو فعل الهلاك

بأسلوب التكسير، فيكون المعنى أنهم سوف يكسرون علو اليهود تكسيراً.. فهذه الضربة اذن موجهة الى علو اليهود بالذات لتسحقه وتنهى أنواع سيطرتهم وافسادهم في العالم.

وقد يتصور البعض أن معنى (ماعلوا) ما بنوه عالياً مثل مباني دو يلتهم في فلسطين ومؤسساتهم وبنياتهم العالية في أنحاء العالم.. ولكن انهاء علوهم من هذه المباني وان كان مشمولاً لقوله تعالى (وليتبروا ماعلوا) غير أن التبرير موجه في الآية الى العلو وليس الى المباني التي يقال فيها ماعلوا، ولا يقال فيها ماعلوا.. تقول تبرت ما على فلان أي الشيء الذي رفعه، فاذا قلت تبرت ما على فلان، فالمعنى كسرت علوه واستكباره.

«عسى ربكم أن يرحمكم» يمكن القول أن الآية تدلّ على سعة رحمته تعالى فهي تفتح الباب مجدداً لليهود بعد القضاء على علوهم وسيطرة المسلمين عليهم مجدداً لأن يتوبوا من افسادهم وكفرهم و يصبحوا أهلاً للرحمة الإلهية.. ولكن الآية تدلّ زيادة على ذلك على أن هذه الرحمة سوف ينالها قسم من اليهود، فكلمة (عسى) وان كانت تعني مجرد الرجاء ولكن الرجاء في استعمال القرآن عندما يكون صادراً من الله تعالى وفعل الأمر المرجو مرتبطاً به عزّوجلّ فهو بحكم المتحقق، ولذلك يذكر النحويون ان الترجي من الله تعالى بحكم المؤكد الوقوع. قال عزّوجلّ «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» ٧٩- الاسراء وهو أمر مؤكد. وقال تعالى «عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا» وقد فعل. وقال عزّوجلّ لبني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام «عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون» ١٢٩- الاعراف، وقد فعل.

ويؤيد ذلك الأحاديث الواردة في أن المهدي عليه السلام «يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية وأسفار التوراة من جبل بالشام - وفي رواية بفلسطين - فيحاج به اليهود فيسلم كثير منهم» منتخب الأثر ص ٣٠٩ نقلاً عن اسعاف الراغبين ص ١٣٨، وفي رواية ابن حمّاد في كتابه الفتن والملاحم ص ١٠٠ - مخطوطة أن اليهود اذا نظروا الى تابوت السكينة أسلموا إلا قليلاً منهم.

«وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً» أي ان عدتم الى الافساد عدتنا الى العقوبة، ولكن هل يدلك ذلك على أن اليهود سوف يعودون مرة أخرى الى الافساد والعلو في الأرض بعد تحطيم قوتهم وتبشير علوهم؟ أم ان مثل هذا التعبير الشرطي يشعر بأنهم سوف لايعودون؟.

ان مجرد صيغة الشرط في اللغة العربية لا تدلّ على أن فعلها سوف يقع أو لا يقع. ولكن صدور صيغة الشرط عن الله تعالى في مثل هذا الأمر السياسي والاجتماعي يدلّ على الأقل على وجود أرضية لوقوع الفعل وإلاّ لما حذّر منه عزّ وجلّ. وهذا فلا يصح استفادة عدم وقوع الشرط أو استبعاد وقوعه كما تصوّر البعض، فقد قال تعالى لمشركي قريش على أثر معركة بدر «وإن تعودوا نعد، ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت، وأن الله مع المؤمنين» ١٩ - الأنفال، وقد عادوا الى مواجهة المسلمين.

نعم توجد في الآيات قرينة تدلّ على أن عودة اليهود الى الافساد ان وقعت فلن تكون بمستوى الافسادين في المرتين بل تكون افساداً محدوداً. والقريينة هي أن ظاهر الوعد الإلهي «وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدنّ

في الأرض مرتين» أنه يستوعب كل مستقبلهم الافسادي أو معظمه على الأقل. ولو كان لهم افساد آخر بمستوى الافسادين في المرتين لجاء الوعد من أول الأمر بأكثر من مرتين. كما أن هذا الافساد المحتمل سوف لا يرافقه علو كما رافق المرة الثانية لأن العلو يتوقف على مستوى من الافساد لا يقل عن الافسادين الماضيين.

و يقوي هذه القرينة افتتاح الآية بقوله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم).

و يقوي عودتهم الى الافساد المحدود ماورد من أن أكثر أتباع الدجال الذي يقاتله المهدي وعيسى عليها السلام يكونون من اليهود. بل ان مقتضى شمول الوعد الأول (ليبعثنّ عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة) أن يستمرّ اليهود في الافساد حسب قدرتهم واستطاعتهم الى يوم القيامة ولوخرج من صفوفهم كثيرون وأصبحوا مسلمين.

أما نوع العقوبة التي وعدهم الله بها بقوله (وإن عدتم عدنا) فيفهم أنها من نوع العقوبتين وعلى يد (عباداً لنا).

كما يفهم من قوله تعالى (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي حبساً ومنعاً من الحركة، أن هذا العذاب في جهنم استكمال للعقوبة الموعودة اذا هم عادوا الى الافساد ممّا يوحى بأن جزاءهم في الدنيا سيكون القتل وفي الآخرة الحبس والحصار في جهنم. ولم توصف جهنم بأنها حصار لأحد غير اليهود في هذا الموضع فقط. وكأن اليهود الذين يعودون الى الافساد بعد هذه العقوبات يكونون قد أشربوا حبّ الافساد في الأرض الى حدّ أن قدرتهم على الحركة تعني قدرتهم على الافساد فيجيء العقاب منسجماً

مع نوع الجريمة قتلاً في الدنيا لإنهاء تحركهم وحبساً حصيراً في الآخرة
جزاء لتحركهم المفسد.

*

وفي الختام ينبغي أن نشير إلى أن هذا الوعد الإلهي لبني إسرائيل
قد نزل في القرآن الكريم وأبلغه الله تعالى إلى المسلمين والعالم بعد حادثة
الاسراء وفي سورة الاسراء التي ربط عزوجل فيها ربطاً محكماً بين المسجد
الحرام والمسجد الأقصى، وبين نبيّه محمد (ص) وأنبيائه ابراهيم واسحاق
ويعقوب وداود وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام، وألفت
المسلمين إلى مهمتهم في القضاء على افساد بني اسرائيل.. كل ذلك
بسياق موحد مترابط وأسلوب معجز يتلوه الذين يعرفون قدره من اسرار
اللغة العربية فيخرون للأذقان سجداً ويزيدهم خشوعاً. وحتى هذه
النقطة المفاجئة من حديث الاسراء المنساب إلى الحديث عن التوراة
وموسى وبني اسرائيل... هي نقلة مقصودة، فحدث الاسراء في الوقت
الذي يؤكد أولوية النبي (ص) والمؤمنين بالأنبياء عليه السلام يصطدم
باليهود. ومسيرة عباد الله المسلمين يعترضها اليهود بافسادهم ثم بعلوهم،
ولكن القرآن يهديهم للتي هي أقوم ويبشّرهم.

ومن طريف ما ترى لدى بعض المفسرين أنهم يعتبرون آيات الوعد
استطراداً غريباً عن السياق و يبحثون عن مناسبة لربط هذه الآيات
(الغريبة) بموضوع الاسراء كعادتهم عندما لا يصلون إلى الربط البليغ
العميق بين الآيات الموحدة السياق فيعتبرونها استطراداً ويربطونها
بشيء ما، وكأنهم يغفلون عن أن المتكلم في القرآن هو الله تعالى، وأن

حروف هذا القرآن وكلماته وآياته وسوره مبنية بدقة كبناء النجوم في مواقعها من السماء (فلا أقسم بمواقع النجوم. وأنه لقسم لو تعلمون عظيم. أنه لقرآن كريم).

وأن نشير الى تفسيري الامامين الباقر والصادق عليها السلام للمبعوثين على اليهود بأنهم أهل قم وأنصار المهدي عليه السلام هو تفسير واحد بملاحظة ما يأتي من وصف أهل قم بذلك.. وأن ما وصلنا اليه يتفق كلياً مع هذا التفسير. وأما محاولة الاستدلال بهذا التفسير على أن العقوبتين لم تقعا لأنه جاء تفسيراً لـ (بعثنا عليكم عباداً لنا) الذي هو وصف لأهل العقوبة الأولى، فجوابه مضافاً الى ماتقدم أن الظاهر من الحديثين أن كلامهما عليها السلام كان تعليقاً على مجموع الآيات وأن الراوي ذكر أولها ولم يكملها اعتماداً على أنها معلومة. فان لم يكن ذلك ظاهراً فهو على الأقل محتمل و يوجب عدم صحة الاستدلال المذكور.

حول الأحاديث رقم (٩٧ و ٩٨) في أهل قم

«رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ قَمٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ قُلُوبُهُمْ كَزُبُرِ الْحَدِيدِ، لَا تَزِلُّهُمْ الرِّبَاخُ الْعَوَاصِفُ، وَلَا يَمْلُؤُونَ مِنَ الْحَرْبِ وَلَا يَجْبُونُ، وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ.. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

«وَسَيَأْتِي زَمَانٌ تَكُونُ بِلْدَةُ قَمٍ وَأَهْلُهَا حُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ وَذَلِكَ فِي زَمَانِ عَيْبَةِ فَايِمْنَا.. الخ».

«سَتَخْلُو كُوفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَأْرُرُ عَنْهَا الْعِلْمُ كَمَا تَأْرُرُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، ثُمَّ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبِلْدَةِ يُقَالُ لَهَا قَمٌ، وَتَصِيرُ مَعْدِنًا لِلْعِلْمِ وَالْفُضْلِ حَتَّى لَا يَبْقَى مُسْتَضْعَفٌ

في الدين حتى المُخَدَّرَاتُ فِي الْجِبَالِ، وَذَلِكَ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ قَائِمِنَا.. الخ».

(١)

في وسط ايران وفي منتصف الطريق التاريخي الذي يربط العراق والجزيرة العربية ببلاد المشرق، طريق البصرة - خراسان، توجد فسحة مبسوطة من الأرض متكئة بجنوبها الشرقي الى مجموعة من الروابي والجبال، ومنفتحة في شمالها الغربي على أرض ممتدة من الصحراء والربوات، تلتقي في وسطها مجاري سيول تكون غزيرة في الشتاء والربيع، جافة في الصيف..

في أواخر شتاء سنة ٧٣ هجرية شهدت هذه الفسحة حدثاً.. فقد حطت فيها قافلة لجماعة من قبيلة يمانية واختاروها موطناً لاقامتهم بعد أن قطعوا أكثر من ألف وخمس مئة كيلومتر من الكوفة عبر البصرة وشيراز وأصفهان، وتركوا وراءهم مدناً هامة وأنهاراً كبرى وأراضي خصبة.. كأنما كانوا بعملهم هذا ينفذون أمراً!.

حطت قافلة الأشعرين في هذا المكان وكان يقودهم فقيه يتميز بالحكمة وكثرة الصمت هو عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري، وقائد عسكري يتميز بالإقدام والبأس هو أخوه الأخص، ومعهما مجموعة من رجالها ومعهم نساؤهم وأطفالهم، ونصبوا خيامهم وجعلوا واحدة منها مسجداً، وباشروا بتهيئة الأرض للزراعة، وبالتعرف على أهل القرى القريبة منهم وكانت بضعة قرى صغيرة لازال أهلها يدينون بالمجوسية ويعملون في رعي الأغنام والزراعة.

لم يعترض أهل المنطقة على استيطان جيرانهم الجدد لأسباب عديدة.. فهم مجموعة فرسان من المسلمين العرب الحاكمين، ومن رؤساء قبيلة كبيرة، وجدهم مالك بن عامر الأشعري مشهور يتداول اسمه الفرس فقد كان أول فارس من المسلمين عبر بفرسه نهر دجلة العريض في معركة فتح المدائن وهو يرتجز:

إمضوا على البحر فان البحر مأمور والأول القاطع منكم مأجور
قد خاب كسرى وأبوه سابور ماتصنعون والحديث مأثور

وفي نفس الوقت لم يقيم أهل المنطقة بالترحيب بهؤلاء القادمين ولم يقدموا لهم مساعدة، بل تركوهم وشأنهم حتى كان يوم النوروز اذ رأى الأشعريون أن أهالي القرى أخذوا يتحصنون مع مواشيهم في قلاع خاصة ويجتهدون في سد منافذها فسألوهم عن سبب ذلك فأخبروهم أن قبائل الديلم يغيرون عليهم في مثل هذا الوقت من كل عام وأنهم سمعوا بقرب وصولهم، وما هو إلا أن وصلت قوة الغزاة فبادرهم الأشعريون وخاضوا معهم معركة بطولية قتلوا فيها عدداً كبيراً منهم وأسروا بعضهم، وانهمز الباقون شر هزيمة.. فكانت فرحة كبرى احتفل بها أهل المنطقة وقدموا الشكر والهدايا لجيرانهم الجدد وطلبوا منهم أن يبقوا بقرهم، وساعدوهم في زراعة الأرض.

وفي فترة قصيرة تحولت مجموعة خيام الأشعريين الى قرية مبنية بالأحجار والآجر، ولم يمض نصف قرن حتى أصبحت مدينة عامرة أكثر سكانها من الأشعريين وبقيةهم من الإيرانيين والعرب غير الأشعريين،

وعرفت باسم (قم) واشتهرت بالعلم ورواية الحديث، والتشيع لأهل بيت النبي (ص).

يقول الحموي في معجم البلدان: (قَم، بالضم والتشديد، وهي كلمة فارسية... وكان هناك سبع قرى اسم احداها كمندان فنزل هؤلاء الأخوة-الأشعريون- على هذه القرى... فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قُمًا).

ويبدو ان هذا الوجه الذي ذكره الحموي هو نفس ما ذكره حسن بن محمد الأشعري في كتابه (تاريخ قم) الذي ألفه في سنة ٣٧٨ هـ وأهداه الى الوزير صاحب بن عباد، وقد نقل الأشعري هذا الرأي عن حمزة بن حسن صاحب تاريخ أصفهان ولكنه ذكر أن اسم القرية كان كميذان.

والظاهر أن كميذان أو كمندان كان اسماً للمحلّة أو لمجتمع مجرى الأنهار الشتائية، لأنه لم يكن في موضع قم قرية قبل الأشعريين وإنما كانت بعض القرى على مقربة منها كما يذكر من أرخ لقم من القدماء.

(٢)

يمكن أن نفسر قصة نشوء قم تفسيراً عادياً، فالهجرات العربية بعد الفتح الاسلامي كانت كثيرة، وقد وصلت الى أماكن بعيدة من الدولة الاسلامية.. ولكن هناك عدة مرجحات لافتراض آخر هو أن يكون الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد اختاروا موقع قم المتميز وأمروا الأشعريين بالاقامة فيه، وأول أهداف هذا العمل نلمسها في دور

الأشعريين في نشر الاسلام في أهل المنطقة المحيطين بهم وفي نشر حديث رسول الله (ص) في أنحاء ايران ومشرق الدولة الاسلامية!

نعم كان الأشعريون فرساناً مقاتلين، وكانوا مزارعين وتجاراً في قم وماحولها، ولكنهم قبل ذلك كانوا فقهاء علماء رواة حديث.. وقد بلغ عدد رواة الحديث منهم عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أكثر من مئة راوٍ.

وقد كانت قم قرية ومدينة للأشعريين في منطقة استراتيجية في وسط ايران وفي طريق القوافل ما بين العراق والجزيرة وخراسان، ثم أصبحت مع توابعها (ولاية قم) وكثيرمنا يحفظ كتاب الخليفة أو وزيره الى قاضيا: أيها القاضي بقم قد عزلناك بقم! وقول ذلك القاضي عندما قرأ الكتاب: والله ما عزلني إلا السجع.

ولكن قم القرية والمدينة والولاية هي مدرسة اسلامية وحاضرة علمية ذات دور فعال، منذ نشأتها، في الحياة الثقافية لايران وغيرها!
لقد سمع أكثرنا بقم أثناء الثورة الاسلامية لأنها مركز المرجعية الدينية التي قادت الثورة، وأصبح لإسمها في نفوسنا وقع خاص كأنه يأمر المسلم بالثورة ويقول له (قم) ولكننا عندما نرجع الى مصادرنا الاسلامية ونقرأ عن قم نعجب لتاريخ هذه المدينة التي نبتت دفعة واحدة في مطلع تاريخنا وباشرت دورها الفعال فيه، معتمدة في ذلك على موقعها الاستراتيجي وسكانها العلماء، مكافحة مناخها اللاهب في الصيف، القارس في الشتاء، وموفرة مياهها من آبار ذات ماء صالح لا تكاد تروى انساناً ولا نباتاً!

والأعجب من هذا أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أعطوا قم مكانة خاصة وأكدوا على ارتباط اسمها وأهلها بالمهدي الموعود وبيت المقدس وسموها «قطعة من بيت المقدس»!

وهذه نماذج من نصوص أهل البيت في شأن قم وأهلها من كتاب بحار الأنوار للمجلسي ج ٦٠:

عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، وَعَنْ حَمَّادِ النَّابِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (يقصد الامام جعفر الصادق) وَتَخُنُ جَمَاعَةٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُمِّيِّ (الأشعري) فَسَأَلَهُ وَبَرَّهُ وَبَشَّهْ، فَلَمَّا أَنْ قَامَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَنْ هَذَا الَّذِي بَرَزَتْ بِهِ هَذَا الْبَيْرُ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الثَّجَابِيَّ، يَعْنِي أَهْلَ قَمٍّ، مَا أَرَادَهُمْ جَبَّارِينَ الْجَبَابِرَةَ إِلَّا قَصَمَهُ اللَّهُ» ص ٢١١.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقُضَيْلِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّ الْإِمَامَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَارَ إِلَى عَيْسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: «سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ قَمٍّ يَسْقِي اللَّهُ بِلَادَهُمْ الْغَيْثَ، وَيُنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَاتُ، وَيُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ .. هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ. هُمْ الْفُقَهَاءُ الْعُلَمَاءُ الْفُهَمَاءُ. هُمْ أَهْلُ الدَّرِيَّةِ وَحُسْنِ الْعِبَادَةِ» ص ٢١٧.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «تُرْبَةُ قَمٍّ مُقَدَّسَةٌ وَأَهْلُهَا مِنَّا وَتَخُنُ مِنْهُمْ ... أَمَا إِنَّهُمْ أَنْصَارُ قَائِمِنَا» ص ٢١٩.

وَعَنْ عَمَّانِ الْبَصْرِيِّ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِي: أَتَدْرِي لِمَ سُمِّيَ قَمٌّ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ قَمٌّ لِأَنَّ أَهْلَهُ يَجْتَمِعُونَ مَعَ فَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبِقَوْمُونِ مَعَهُ وَيَسْتَقِيمُونَ عَلَيْهِ وَيَنْصُرُونَهُ» ص ٢١٦.

وَعَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «إِنَّمَا سُمِّيَ قُمَّ بِهِ لِأَنَّهُ لَمَّا وَصَلَتْ
السَّفِينَةُ إِلَيْهِ فِي ظُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَتْ، وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»
ص ٢١٣.

وَعَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ لِلجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ،
وَلَأَهْلِ قُمَّ وَاحِدَةٌ مِنْهَا، فَظُوبَى لَهُمْ ثُمَّ ظُوبَى لَهُمْ ثُمَّ ظُوبَى لَهُمْ» ص ٢١٦.

أضف الى ذلك الأحاديث الثلاثة التي اخترناها، وماتقدم من تفسير
الامام الصادق عليه السلام لقوله تعالى «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس
شديد» بأنهم أهل قم وقسمه على ذلك ثلاثاً.. ثم انظر كيف
استطاعت هذه المدينة ذات النصف مليون نسمة أن تقود ايران وتجعل
منها قمّاً، وتلهب الشوق في قلوب ملايين الأربعين الى تحرير بيت
المقدس ولقاء المهدي الموعود عليه السلام.

(٣)

ليس ماتقدم أكثر من تقريب أولي لفكرة أن قمّاً مشروع خططه
ورعاه الأئمة من أهل بيت النبي (ص) لكي يثمر في مستقبل الأمة أكثر
مما أثمر في تاريخها الماضي. وهو دعوة الى العلماء الفضلاء للقيام بهذا
البحث التاريخي الروائي الحيوي.. وفي سيرة النبي وتلامذته الأئمة
مشاريع مشابهة لمستقبل الأمة.. وينبغي أن يمهّد لهذه الدراسة:

باستطلاع حالة الأشعرين في اليمن واسلامهم طواعية ووفودهم على
النبي (ص) ثم هجرتهم الى الحجاز والعراق، ودورهم في الفتوحات
الاسلامية..

وعلاقة الأشعرين بالامام علي عليه السلام عندما بعثه النبي (ص) والياً على اليمن، وتطور هذه العلاقة به وبالائمة من أبنائه عليهم السلام، ودور الأشعرين في أحداث صدر الاسلام خاصة في مواجهة زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد والحجاج الثقفي.

إن هذا التمهيد يليق أضواء على قم التي هي بالآخرة مشروع الأشعرين في وسط ايران، ويسر متابعة عناصر التخطيط للمدينة وأهلها من قبل الأئمة عليهم السلام، وهي فيما أرى عناصر متعددة:

منها، حرص الأئمة على إنشاء قم واستمرارها فقد واجهت المدينة مصاعب سياسية وطبيعية هددت وجودها فوقف الأئمة الى جانبها باصرار، كما يفهم من محاولة شيخ القميين زكريا بن آدم أن يترك قم في مطلع القرن الثالث ونهي الامام الرضا عليه السلام إياه عن ذلك، ومن أحداث أخرى.

ومنها: اختيار قم مرقداً لواحدة من حفيدات الزهراء عليها السلام، كانت شخصيتها ظاهرة أشبه ماتكون بجديتها، وهي فاطمة بنت الامام موسى الكاظم، والتي بشر بها وبدفنها في قم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قبل ولادتها!

ومنها، ظاهرة هجرة الهاشميين من أبناء أهل البيت عليهم السلام منذ صدر الاسلام الى قم، وسكن المسلمين الايرانيين فيها، متقارناً مع تناقص دور الأشعرين القيادي حتى تحولوا الى عائلة عادية من عوائل قم.

ومنها، استقصاء دور القميين الواسع في حفظ علوم الاسلام

وتدوينها ونشرها، وبشكل خاص في إيران. ومنها، تهيئة الأئمة للقميين لنصرة المهدي عليه وعلى آباءه السلام وتحرير بيت المقدس، وهي ظاهرة تحتاج الى التتبع في نصوص أهل البيت عليهم السلام وفي مؤلفات القميين وفي سلوكهم وعاداتهم الاجتماعية.. والتي نلمس بعضها في أهل هذه المدينة الى يومنا هذا مثل كثرة تسمياتهم لأبنائهم ومساجدهم ومحلاتهم ومؤسساتهم باسم المهدي عليه السلام، حتى لا يكاد يخلو منه بيت، وبذلك تحقق قم أكثر نسبة في العالم لهذا الاسم الشريف.

(٤)

من عجائب قم في تاريخها الحديث أنها استطاعت أن تجعل إيران استثناءً نسبياً من الخضوع العام لموجة الغزو الحضاري الغربي التي أصابت بلاد المسلمين. فلوضعنا درجة نسبة للاستعمار الثقافي الذي استطاع الغربيون فرضه على بلاد المسلمين ومراكزهم ومقوماتهم الثقافية وقارنا إيران بمصر وبلاد الشام وبلاد المغرب وتركيا.. لوجدناها أقل الجميع خسارة. لقد كانت الخطة لتركيا مركز الخلافة، ولما كثر الثقل الاسلامية الأخرى الخارجة عن حكم الخلافة كمصر والمغرب وإيران.. خطة واحدة، واختار الغربيون لكل بلد عميلاً شرساً للقيام بعملية محو الشخصية الثقافية وتغريب المسلمين، وأبرز عميلين في هذا المجال أتاتورك ورضا بهلوي، ولكن لماذا نجح أتاتورك في تحطيم أكثر مقومات الثقافة الاسلامية وفرض المسخ الثقافي على تركيا المسلمة العريقة ففضى

على العلماء والمعاهد العلمية الاسلامية في أنحاء تركيا، وقضى على الحرف التركي -العربي الذي كتب فيه تاريخ تركيا والاسلام، وعلى أكثر الشعائر الاسلامية.. الخ. بينما لم يستطع زميله رضا بهلوي من تحقيق هذا النجاح مع أن لم يكن أقل دهاءً وبطشاً واخلصاً لدوره الكافر..؟ كيف تمكن مسلمو ايران من الاحتفاظ بكثير من مقومات الثقافة الاسلامية، وإن تراجع العديد منها من الظهور الى الكون.. كيف احتفظوا بمقام المرجعية والحوزات العلمية وبمكانة العالم في جماهير الناس؟ كيف انتصروا في مقاومة استبدال الحرف الفارسي -العربي بالحرف اللاتيني، وفي معركة استبدال الحجاب الاسلامي بالسفور الغربي؟ وكيف حافظوا على الشعائر الاسلامية..؟

قد يجاب بأن طبيعة الفرس في مواجهة الموجات تختلف عن طبيعة الشعوب الأخرى، فالفرس من أوائل الشعوب التي تجيد التعامل مع الموجة والصبر عليها..

وقد يجاب بأن المسلمين الايرانيين قاوموا ببسالة ودفَعوا ثمن ذلك دمء الألوفا من أبنائهم والمئات من علمائهم.. حتى لقد فاضت أرض أحد مساجدهم بالدماء وجرت الى خارجه كالساقية.. وحتى أن ألوفاً من المسلمات لم يخرجن من بيوتهن سنين طويلة لتلايتعرضن للاجبار على السفور.. الخ.

ولكن الجواب الأصح أن السبب هو: قم، وثقافتها، واستقلالها، ونمط مرجعيتها وطلبتها والعلماء المتخرجين منها.

(٥)

الملاحظ أن التفاعل والتأثير بين الجامعات والمعاهد الكنسية في الغرب وبين مجتمعات المدن التي تقوم فيها يكون بدرجة قليلة أولاً يكون، بينما يوجد التفاعل والتأثير بين مجتمع المدينة المسلمة وبين الجامعات الدينية التي تقوم فيها بدرجات عالية.. نقرأ عن ذلك في تاريخنا ونلمس بقاياها في جامعة الزيتونة والقرويين والأزهر والأموي والنجف. ولكن التفاعل بين جامعة قم ومجتمعها يفوق الجميع. فقد درجت جامعته على الانفتاح على مجتمعها بفئاته المختلفة حتى أصبح مجتمعاً موحداً متجانس التفكير، فلا عزلة بين الطالب والعالم في قم وبين الناس العامل منهم والفلاح والكاسب والتاجر والموظف، فالعلاقات بين الجميع قائمة، والروح الأخوية عامة وقد نشأت عن ذلك حالة اجتماعية من الأعراف والمفاهيم والتقاليد الإسلامية أصبحت من معالم شخصية مجتمع قم. وزاد ذلك من احترام المجتمع القومي للطلبة والعلماء وتأثرهم بهم بشكل لا نظير له في حاضرة علمية من بلاد المسلمين.

ومن مدرسة قم الاجتماعية هذه يتخرج العلماء والمبلغون وينتشر منهم الى أنحاء ايران حوالي عشرة آلاف عالم وخطيب كل سنة بمناسبة شهر رمضان ومحرم والعطلة الصيفية، عدا الذين يسكنون في مدنها وقراها بشكل دائم.

وعلى نمط حوزة قم الرائدة سلكت حوزات إيران المتعددة.

(٦)

كان بعض الطلبة في حوزة النجف يشكو من الجفافات الخمسة وبعضهم من الجفافات الثلاثة:

جفاف مناخ النجف، وجفاف المجتمع، وجفاف المناهج الدراسية في الحوزة من النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبدیع، ثم مناهج الفقه والأصول التي يصرف الطالب فيها أكثر وقته.

ولكن مناخ قم لا يقلّ عن مناخ النجف جفافاً في الصيف وقسوة في الشتاء.. والمناهج الدراسية لا تختلف جوهرياً عن مناهج النجف، والذهنية القانونية الهندسية أو طريقة التفكير التي تنتجها حوزة النجف تنتجها حوزة قم أيضاً وبقدر أكبر من عادة التدقيق والمحاكمة واستنباط الإشكال من تحت الكلمة أو الفكرة ومن فوقها، وعن جوانبها الأربع، ومن عند جيرانها، وأقاربها.

ولكن إن عجبت فاعجب للطراوة الندية والعاطفة الملتبّة وأشواق الروح المشبوبة في حوزة قم ومجتمعها على رغم عوامل الجفاف!

إن العاطفة العميقة توجد في قم وتتعايش مع العقلية الأصولية الحسابية الكمبيوترية جنباً إلى جنب! وإذا كان من الصعب على عالم الرياضيات أن يكون فتاناً، فمن الطبيعي للعالم والطالب في قم أن يكون عقلاً نياً إلى العظم وعاطفياً إلى الذوبان. إن المجتهد في قم الذي لا يعرف له جفن لسفك دم بحق.. يبكي ويتأرق ليله لحالة عزل بعض القرى في

غرب ايران بسبب الشلوج وتقصير حكومة الشاه في إيصال المساعدة اليهم.

ماهي العوامل التي أنتجت مثل هذه العاطفة الجياشة في مدينة العقل والقانون والجفاف ..؟ لسنا بصدد التحليل .. بل بصدد وصف حالة تركيب نادرة تجمع بين العقلانية والعشق كما يسميها الايرانيون وتصالح بينها بأن من حق العقل أن يتدخل في مجال العشق ولكن ليس من حقه أن يتدخل في مداه ..

إن هذه الحالة من التصوف والحبّ بلا حدود والرومانسية اذا صحّ التعبير ليست ضرورية للحياة الاجتماعية العادية فحسب، بل هي ضرورية للتدين «وَقَلِي الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ» على حدّ قول الامام الصادق عليه السلام. وهي ضرورية للثورة، وهل الثورة إلاّ حب الله تعالى والنهوض بأمره، وحبّ عباده المظلومين والقيام من أجلهم؟ وهل ثار أهل قم إلاّ لأنّ قلوبهم امتلأت حباً من أجل الله تعالى وبغضاً من أجله .. وهل يكونون أنصار المهدي عليه السلام إلا لأنهم عاشقون؟

(٧)

ماتقدّم عن قم يعطي صورة عن أرضية الحدث الذي أخبر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أنه يبدأ من قم، وعن حالة الشهادة على العالم التي تصل اليها قم.

فالرجل الذي يخرج من قم بأصحاب ذوي مواصفات خاصة لا يخرج من عدم ولا يعمل في حقل مجذب، بل ينطلق من أرضية ذات

مقومات.

والوعد بأن تصبح قم حجة على الخلائق ليس بسبب أن فيها مدارس ومكتبات وحلقات درس ومجتهدين ومحققين في العلوم الاسلامية .. بل بسبب أنها تقوم بأمر الله تعالى وتدعو المسلمين والعالم الى القيام. بسبب أنه يوجد فيها العمق الفكري النافذ وجذوة العشق المتقدمة، والصدق والشجاعة للعيش بها.

بسبب أن قمّاً سوف تتمكن أن تلهب ايران وتحركها، وأن ايران ستوصل صوت الاسلام وحجته الى أسماع العالم، حتى لا يبقى مستضعف في الدين، حتى النساء المخدرات في حجال بيوتهنّ.

(٨)

الحديثان اللذان اخترناهما تحت رقم (٨) عن مستقبل قم هما حديث واحد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام .. عن رسول الله (ص) روي بصيغتين موجزة ومطولة وبأسانيد متعددة.

ويرتكز الحديث على معتقد اسلامي هو «عدم خلوّ الأرض من حجة» وأصل هذا المعتقد على اجماع بين المسلمين، يدلّ عليه عدد من الآيات الكريمة من قبيل «وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً» ١٥ - الاسراء «وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون» ١١٥ - التوبة، وعدد من الأحاديث الشريفة .. ويجمع المسلمون على أن هذه الحجة أمّا أن تكون أنبياء أو مؤمنين يقومون مقامهم، ويضيف الشيعة أن الحجة أمّا أن تكون أنبياء أو أوصياء فان غاب الوصي تكون مؤمنين يقومون

مقامهم.

على أي فان احتجاج الله تعالى بالمؤمنين على غيره ممّالاً اشكال فيه بين المسلمين وقد ورد أنه تعالى يحتج بالجار المؤمن على جاره ومحلته، وبالعالم المؤمن على من بلغه علمه، وبالفئة المؤمنة على من بلغته دعوتهم، وهو المفهوم من أمثال قوله تعالى «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون» ١٠٥ - المؤمنون، بل هو معنى شهادة النبي (ص) ومن يقوم مقامه على الأمة وشهادة الأمة على الناس، وهو معنى شهادة الشهيد على من قتله ولم يقبل دعوته.

ويتركز الحديث على حركة نمو في هذه الحجة تبلغ ذروتها قبيل نزول العقاب الإلهي بأعداء الاسلام على يد المهدي عليه السلام. وأن هذا النمو ينطلق من واحدة من الحواضر العلمية الاسلامية هي مدينة قم «ويفيض العلم منها الى سائر البلاد في المشرق والمغرب فتتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ اليه الدين والعلم» وهذا النمو الكمي لا بدّ أن يكون ناتجاً عن نمو كمي وعن حالة وعي تمكن أهل قم من ايصال الحجة الى المسلمين وشعوب العالم.

ولا يخفى أن عملية اقامة الحجة على مثل هذا النطاق الواسع ليست عملية فكرية محضة وان كانت المادة الفكرية أساساً فيها، فغالبية الناس في العالم لا يقرؤون ولا يستمعون حتى لو قرنا المادة الاعلامية بين أيديهم ما لم يكن وراء المادة حدث يدفع اليها. فلا بدّ أن تكون الحجة اذن حركة سياسية وأحداثاً تصل الى أسماع العالم وتدفع الناس الى القراءة والاستماع والسؤال عن الاسلام، وقد تم الحجة على بعض الناس بمجرد

أن يصل اليهم خبر الأحداث و يدفعهم الى التفكير بالاسلام وأحقيته ولكنهم لا يفعلون.

هذا المنطق الاسلامي يشكل نقطة قوة للأخذ بهذا الحديث الشريف حيث يؤيده ما ثبت بالأحاديث المتواترة من حدوث حركة تمهيد للمهدي ذات وقع عالمي وأنه عليه السلام يظهر بعد أن يكون صوت الاسلام قد وصل الى أسمعاع العالم فيبدأ الحسم بالآيات المعجزة وبالعمل السياسي والعسكري وأنه قد أمر من رسول الله (ص) بأن يقتل من يقف في وجهه ولا يستتبع أحداً لأن الحجة تكون قد تمت على الناس.

وتوجد قرينتان أخريان في مصلحة الأخذ بالحديث الشريف، أولاهما: أنه ثبت من أحاديث أهل البيت عليهم السلام أن لقم دوراً مميزاً مرتبطاً بالمهدي عليه السلام.

وثانيتهما: أن ما أخبر به الحديث الشريف قد وقع بالفعل، وأن حاضرة الكوفة وامتدادها النجف قد دخلت من المؤمنين العاملين الذين أصبحوا مابين شهيد ومشرّد ومهاجر، وأن علوم الاسلام والثورة قد ظهرت من قم في حركة وأفكار وأحداث أخذت تهز شعوب العالم وتقيم الحجة عليها..

ومع نقاط القوة هذه في متن الحديث وموضوعه ووقوعه، لا يؤثر في الاعتماد عليه ما قد يكون من مناقشة في سنده، أو في ضعف سبكه ممّا لانعهده في تعبير الامام الصادق عليه السلام وفي حديث رسول الله (ص).. فإن النبي والأئمة قد أجازوا الرواية بالمعنى، ويبدو أن بعض الرواة رحمهم الله قد روى هذا الحديث بمعناه، مضافاً الى

ماقد يكون طراً على كلماته من تداول النساخ رحمهم الله.

(٩)

الأحاديث الأربعة الباقية تدور حول حركة تمهيدية لظهور المهدي عليه السلام، ونذكر حولها بعض الملاحظات:

(أ) - حديث رجل من قم ... روي في مصادر الشيعة عن الامام الرضا عليه السلام.

- حديث رجل من أهل بيتي يقصد بيت المقدس فلا يبلغه ... وحديث رجل من وراء النهر يمكّن لآل محمد ... مرويان في مصادر الشيعة والسنة عن الامام علي عليه السلام، وفي بعض المصادر عن الامام جعفر الصادق عليه السلام.

- حديث أتاح الله لآل محمد برجل متاً أهل البيت ... روي في مصادر الشيعة عن علي عليه السلام.

وتوجد أحاديث أخرى تذكر قادة آخرين في حركة التمهيد كما تقدّم في فصل العلامات.

(ب) - الحديث الثاني والرابع يصفان قائد الحركة بأنه هاشمي من أهل بيت النبي (ص) بينما لا يذكر ذلك الحديثان الأول والثالث. أمّا المكان الذي يخرج منه فهو قم في الحديث الأول، والمشرق في الثاني، وما وراء النهر في الثالث، بينما لا يحدد الحديث الرابع مكاناً. كما يلاحظ أن الحديثين الثاني والثالث عبّرا بـ «يخرج» ولم يعبّر بذلك الحديث الأول والرابع.

(ج) ماوراء النهر كما تقدم في معنى خراسان مصطلح لمنطقة ماوراء نهر جيحون، والتي هي جزء من بلاد المشرق أو بلاد خراسان. والأقرب أن يكون اسم (الحارث أو حرّاث أو الحارث الحراث) على اختلاف النسخ اسماً رمزياً بمعنى أن هذا القائد خبير بعمله فهو كالحارث الخبير بالحراثة..

أمّا وزيره منصور فقد ورد اسمه في بعض الروايات وأنه يصاحب المهدي عليه السلام في سفره من المدينة الى مكة، وفي بعضها وزير للهاشمي الخراساني الذي يسلم راية أهل المشرق الى المهدي. ويحتمل أن يكون اسماً رمزياً لشعيب بن صالح.

(د) يمكن أن يشكل على هذه الأحاديث باحتمال أن تكون من موضوعات الحركة العباسية أو الأموية. فحديث «يخرج رجل من وراء النهر... يمكن لأن محمد» يحتمل في حقه أن يكون من موضوعات العباسيين لأنّه من مصلحتهم.

وحديث «يخرج رجل من أهل بيته... يقصد بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت» يحتمل أن يكون من تحريفات الاتجاه الأموي لأحاديث الهاشمي الخراساني الذي يقضي على السفيفاني مع المهدي عليه السلام، وأنّ المحرّف وصفه بأنه يقتل ويقتل ويمثل ثم يموت ولا يبلغ هدفه! ويؤيد ذلك وجود بعض الأحاديث التي تذكر هزيمة الهاشمي الخراساني وقائد قواته شعيب بن صالح، ويذكر بعضها أنها بعد هزيمتها يختفيان في الشام أو فلسطين ثم يلتحقان بالمهدي عليه السلام في مكة، وقد روى هذه الأحاديث ابن حماد في كتابه الفتن والملاحم.

ولكن هذا الاشكال لا يرد على حديث «رجل من قم» لأن قمّاً لم تكن يوماً مؤيدة للعباسيين لاني مطلع الحركة العباسية ولا بعدها.. والواقع أن هذا الحديث أقوى الأحاديث المذكورة سواء من حيث السند أو من حيث عدم احتمال الوضع، أو من حيث القرائن الأخرى التي تقوى الاعتماد عليه، والتي منها:

أن الصفات التي وردت فيه لأصحاب هذا الرجل وردت بشكل عام في صفات أهل المشرق وأصحاب الهاشمي الخراساني وشبّان الطالقان أنصار المهدي عليه السلام.

ومنها: أن أحاديث الهاشمي الخراساني تدلّ على أن رجلاً قبله أو معه يقود أهل المشرق و يصفه بعضها بالسيد الأكبر «وتقبل رايات من شرقي الأرض غير معلمة ليست بقطن ولا كتان ولا حرير، مختومة في رأس القناة بخاتم السيد الأكبر» البحارج ٥٢ ص ٢٧٤ والخاتم هو الشعار الذي يكون على الراية.

ومنها: انطباق الحديث بشكل دقيق على ثورة الامام الخميني وأصحابه، دون غيرهم، فبالرغم من تاريخ قم الحافل الطويل وما يذكره المؤرخون من أن فقهاءها وأهلها كثيراً ما كانوا يقاومون الوالي الظالم حتى يضطروه الى العدل أو يضطروا الخليفة والسلطان الى تغييره.. ولكن حركتهم لم تتسع وتصبح دعوة (للناس) الى الحق وتواجهها الرياح العواصف ويرافقها قتال.. الا على يد الامام الخميني نصره الله.

أما احتمال أن يكون انطباق الحديث في المستقبل فهو بعيد جداً، لأن أي رجل من قم تكون له ولأصحابه هذه المواصفات يكون امتداداً للامام الخميني حفظه الله.

(١٠)

مع أن حديث «رجل من قم» موجز مقتضب، تقرأه بتلّهف، وتتمنى لوأنه تضمن المزيد عن هذا الرجل وأصحابه وثورتهم .. ولكنك عندما تتأمل فقراته تجدها مركزة مضاءة بنور الوحي والابعاد.

«رَجُلٌ مِنْ قُمَّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ»

وكان الامام الرضا عليه السلام يستشرف مستقبل الأمة، ويستعرض القرون والبلاد و يطلق هذا القبس من علوم جده (ص) فيقول:

وعما قريب تلتف القرون بالقرون و يغلب أعداء الأمة عليها ..
فينهض ناثر من قم يكون خلاصة رسالة هذه المدينة، وضمير فقهاؤها عبر الأجيال، وطلية ثمراتها في آخر الزمان، وصوتها المدوي في العالم، يدعو الناس كل الناس الى الحق المسلوب، لانتزاعه من غاصبيه بحد السيف ..

أما متى يكون ذلك..؟ فمثل هذا الحدث العالمي عندما يكون لا يخفى.

«رجل من قم يدعو الناس الى الحق» عبارة بايجازها واطلاقها تلخص وصف هذا الرجل الموعود منذ اثني عشر قرناً، داعية الاسلام ومجده، ونداء قم للمستضعفين، وصرختها في وجه المستكبرين.

«يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ قُلُوبُهُمْ كَرُورِ الْحَدِيدِ، لِأَنَّهُمْ الرِّبَاخُ الْعَوَاصِفُ»

فسيرة هذا الرجل وأصحابه .. شاقة وطويلة ..

فيها الرياح العواصف .. تعصف عليهم من كل نوع، ومن كل جهة وان كان أشدها العواصف الغربية. تريد أن تقتلعهم من الجذور، ومن شأنها أن تقلع الناس والأشجار والسيارات، وأن تحطم البيوت والبنائيات، وأن تجعل الجبال جرداء والهواء مكفهراً وال عمران خراباً .. ولكنهم في وسطها ثابتون لايتزلزلون ولايزلون، أرسى من الأطواد والجبال، فقد تنال العواصف من الأطواد والجبال، ولكنها منهم لا تنال. ان قلوب هؤلاء الأنصار من نوع حديدي لايرتجف للعواصف. واذا ثبت القلب اشتدّ البدن وثبتت الخطى ولم تنزل.

«وَلَا يَمِيلُونَ مِنَ الْحَرْبِ وَلَا يَجْبُثُونَ»

وفي مسيرتهم الحرب الطويلة المرهقة، بكل أهواها وفتكها وخسائرها، ومعها الحرب النفسية بأوسع أساليبها ووسائلها .. ولكنهم لايميلون من غمراتها وان طالت سنوات وسنوات ولا يجبنون حتى لو قابلهم العدو بأضعاف عددهم وعدتهم .. وحتى لو قابلوا بصدورهم الدبابات .. وحتى لونشرت القنابل والصواريخ أجساد عوائلهم أشلاء في الهواء وبين الأنقاض وفي الطرقات!

وفي مسيرتهم الغربية .. التي يستوحش فيها الغريب، والوحدة التي يضعف فيها الوحيد، وفيها الخروج على قاعدة توازن القوى أو تقارها أو معقولة نسبتها بين طرفي الصراع .. ولكنهم يرمون بحسابات الناس هذه عرض الجدار «وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ» لأن العمل فقط من أجله، ولأن النصر فقط من عنده .. ولأنهم ليسوا من نوع ذراري المسلمين المنهزمين

بل من نوع مسلمي صدر الاسلام «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» ١٧٣ - آل عمران «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»

أنها عاقبة النصر لقائد يدعو الى الحق، وأنصار امتلات قلوبهم بالايان واليقين والتوكل على الله تعالى فهي كالحديد الصلب. بها يقفون في وجه الرياح العواصف، وبها يقاتلون في ساحات الوغى، بشجاعة فريدة ونفس طويل وعزم لايلين..

أنها عاقبة قوم سلمان الذين لم تصف الأحاديث الشريفة غيرهم بأوصافهم.. يمهدون للمهدي عليه السلام ويسلمونه رايتهم، ويواصلون جهادهم بين يديه حتى يتحقق وعد الله تعالى ويورث الأرض لمن يشاء من عباده.. والعاقبة للمتقين.

البديل للعرب

حول الأحاديث رقم (١٢٠١١٠ و١٢٠١١٠)

تَلَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) هَذِهِ الْآيَةَ «وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبِدِكُمْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّةً لَكُمْ» فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدُّلُوا بِنَا؟ فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ مِنْكَبٍ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالْثَرْتَا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ».

«مَا كُنْتُ لِأَظْهِرَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَيَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَيُضْرِبَنَّكُمْ عَلَى الدِّينِ عَوْدًا كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بِدَعَاءٍ...»

داء التعصب القبلي والقومي

قدم الاسلام الحل الفلسفي والعملي لمشكلة القوميات. قال تعالى «بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» الحجرات - ١٣.

وحرّم التعصب القومي والقبلي والأسري تحريماً شديداً. قال رسول الله (ص) «مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تَعَصَّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ».

وقال (ص): «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ مِنْ عَصِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَغْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ» الكافي ج ٢ ص ٣٠٨.

«فَلَمَّا يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ مِنْ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظلم» مسند أحمد ج ٤ ص ١٠٧.

«الْعَصِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا: أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ وَلَيْسَ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلَكِنَّ الْعَصِيَّةَ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظلم» الكافي ج ٢ ص ٣٠٨.

وقد تضافرت عوامل عديدة في تاريخ المسلمين على حل مشكلة القومية والقبلية وارساء مفهوم العالمية والمساواة بين الناس وحصص ميزان التفاضل بالتقوى وحدها.

من هذه العوامل طبيعة الاسلام العقائدية العالمية. ومنها: حرص النبي (ص) والأئمة على تطبيق نظرية الاسلام في تبني العالمية ورفض العصبية بشكل دقيق وحاسم.

ومنها: الطبيعة الجغرافية والسكانية للمنطقة حيث تختلط فيها القوميات المتعددة جغرافياً واجتماعياً وتاريخياً ..

وبذلك تمكن الاسلام أن يقدم الى شعوب العالم منهجاً جديداً في القيم والتعايش. ولكن هذا المنهج يبقى متوقفاً على التطبيق .. ولذلك لم يخل تاريخ المسلمين من ظهور مرض العصبية بل ومن استفحاله في عدد من الأحيان. فقد ظهر أول الأمر مرض التعصب القبلي بين مجموعتي القبائل الحجازية واليمانية، ثم ظهر مرض التعصب القومي داخل المجتمع الاسلامي بين العرب والفرس والترك والأكراد وغيرهم من قوميات الشعوب الاسلامية.

ثم انتشرت تأثير هذا المرض بين المسلمين ولم يسلم منه إلا أهل الوعي والتقوى من القوميات المختلفة ...

حتى اذا جاء غزو الغربيين لبلادنا في مطلع هذا القرن ونفذوا من خلال نقاط ضعف الأمة .. وجدوا في مرض العصبية القومية والقبلية مقدحاً للفتنة والتفريق بين المسلمين فأضرموا نارها بين الشعوب الاسلامية أيما اضرام، وكانت احدى أبرز أدواتهم للسيطرة علينا جميعاً.

منطق العصبية

للعصبية تأثيرات متعددة على الفكر، نذكر منها: الأساس للاسلامي الذي يعتمد المتعصبون في المقايسة والمفاضلة بين أهل قومية وأخرى، أو قبيلة وأخرى، أو بلد وآخر.. من قبيل أن يتفاخر العرب والفرس بملوك تبع وحمير والأكاسرة، مع أن الجميع في نظر الاسلام

مشركون ظالمون. ومن قبيل التفاخر بالغنى على الفقر وبالكثرة على القلة وبجودة مناخ منطقة على منطقة أخرى... مع أن هذه الأمور خارجة عن مقياس التقوى الاسلامي وعن الفضائل الشبيهة بالتقوى قبل الاسلام. ونذكر منها: اتجاه التعميم اللامنطقي في المقايسة بين الأقسام.. وهو تعميم مكعب يشمل عادة ثلاثة أنواع من الخطأ: الخطأ في تعميم الحكم على كل أبناء القومية مع أنهم وجود كبير متنوع وليسوا سواء في الصفات. والخطأ في تعميم الحكم على كل صفات القوم مع أن وجود صفة أو صفات سلبية لا تعني بالضرورة أن تكون بقية الصفات سلبية، وكذلك أمر الصفات الايجابية. والثالث خطأ تعميم الحكم على كل تاريخ القوم وحاضرهم مع أن أهل أي قومية أو قبيلة أو بلد يمرّون في تاريخهم بظروف وعوامل متعددة تؤثر فيهم تغييرات كثيرة قد تكون جذرية.. ولانريد الاطالة بضرب الأمثلة على منطلق العصبية الخاطيء عند المتعصبين من مختلف القوميات.

أهم نقاط القوة والضعف في العرب

إن أعظم ايجابية في تاريخ العرب أن الله تعالى اختارهم منطلقاً لأعظم رسالاته وأنهم حملوها ونهضوا بها أفضل مما حملت الأمم السابقة رسالات أنبيائها ونهضت بها.

فهما يقل في الأسباب التي من أجلها اختار الله تعالى مكة والحجاز ومحيطهما العربي قاعدة ومنطلقاً للاسلام، فإنه يدل على وجود مجموع كلي من المقومات المطلوبة في العرب يجعلهم آنذاك أنسب وسط لتنزل

الرسالة وانطلاقها.

ومهما يقل عمّا لاقاه النبي (ص) من العرب من تكذيب وأذى وقتال .. وعمّا تحمّله في حياته وماحدث منهم بعده .. فان المجموع الكليّ لتصديقهم به وحملهم للاسلام لا يقاس بموقف الأقوام الآخريين مع أنبيائهم وبعد أنبيائهم، من قبيل الكنعانيين مع نوح، والبابليين والأقباط مع ابراهيم، وبني اسرائيل مع موسى وعيسى وبقية الأقوام مع الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

و يتفرّع عن هذه الايجابية ايجابيات متعددة بطبيعة الحال.

كما أن أعظم سلبية في تاريخ العرب وحاضرهم هي ابتعادهم عن الاسلام، ولكي لانقع في التعميم الخاطيء ينبغي أن نميّز بين مجموعتين، مجموعة أصحاب النفوذ السيئين من الأمراء والفقهاء والأثرياء ورؤساء العشائر والوجهاء، وبين مجموعة الجماهير المستضعفة التابعة لهم ثقة بهم أو خوفاً منهم أو سعياً وراء النفع الدنيوي، أو المناهضة لهم، كما نرى في مجتمعاتنا العربية اليوم، فالحاضر يشبه التاريخ والعصور تشبه بعضها مع تغيرات قليلة أو كثيرة لا تؤثر جوهرياً على مسار التاريخ بهذين الخطين أو المجموعتين: المجموعة المترفة الذين هم أساس كل انحراف ومصائب وويلات وقعت وتقع على العرب، والمجموعة المستضعفة التي هي معدن الأمل ومعدن الخير وإن كانت تتحمّل مسؤولية الإطاعة والتبعية والرضا بالاستضعاف. وتحمّل مسؤولية النهوض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثورة.

لسنا بصدد التاريخ لبداية انحراف الفئة المترفة من العرب ولكن

مؤشرات هذا الانحراف بدت واضحة في التأثير بالرفاهية واغراء السلطة بعد الفتوحات الاسلامية وأخذت تتسع في العهد الأموي حتى أصبحت هذه المجموعة، وكانت كثيرة في العرب، تشكل طبقة من الحكام والمترفين تعتمد في مختلف القطاعات على اليد العاملة والفنية من العبيد والموالي (أي غير العرب) ثم اعتمدت على جيوش غالبية جنودها من الموالى .. حتى صارت حالتها مع الموالى تشبه حالة حكام دول الخليج ووجهائها وأثريائها مع المسلمين الأجانب (!) الذين تقوم بهم حياتهم، ولكنها مكبرة عنها عشرات المرات ..

ان غلبة هذا الاتجاه المترف تفسر لنا قلة نسبة العلماء من العرب في مختلف العلوم والفنون الاسلامية وارتفاع النسبة من غيرهم، وتفسر لنا السبب في أنه لم يكتمل القرن الثاني حتى أصبحت السلطة العسكرية ثم السياسية بيد غير العرب من الجنود والموظفين وصار منصب الخليفة مقاماً شكلياً له منخصصات شهرية ممن يغلب من القادة العسكريين و يتسمى بأسماء الوزارة والامارة والسلطنة!

اذا قننا باحصائية على امتداد ألف وأربع مئة سنة من تاريخنا الاسلامي لمعرفة عدد السنوات التي حكم فيها العرب آخذين بعين الاعتبار المساحة الكاملة للوطن الاسلامي .. فربما لانجدها تبلغ ربع هذه المدة أو خمسها!

واذا أحصينا الفعاليات العسكرية للقادة العرب والجنود العرب عبر هذه المدة .. واذا أحصينا علماء المسلمين ابتداء بأئمة المذاهب ومروراً بمؤسسي العلوم والفنون المختلفة وأئمتها والنابعين فيها .. نجد أن مساهمة العرب

لا تتناسب مع دورهم الطبيعي في الاسلام، ولا حتى مع نسبة عددهم الى الشعوب الاسلامية الأخرى .. وما سبب ذلك إلا هذه المجموعة المترفة من أصحاب النفوذ على العرب الذين تراجعوا عن موقعهم الطبيعي الذي كانوا فيه في صدر الاسلام وواصلوا تراجعهم جيلاً فجيلاً حتى عاد أكثر قومهم العرب في عهد المماليك وعهد الدولة العثمانية الى حياة القبيلة والأرياف العادية.

لأقصد بذلك تبرير فعل أصحاب القوميات الأخرى وانتزاعهم مقدرات قيادة المسلمين من العرب، واتجاهاتهم الشعوبية المعادية للعرب .. ولكن لأقرر أن هذا الانحسار في قيادة العرب للمسلمين كان بسبب انحراف أصحاب النفوذ فيهم وتراجعهم عن الاسلام تراجعاً تفاقم مع الزمن وأفقدتهم منطلق الاسلام المهيمن، وجعل منطقتهم على السواء مع منطلق القوميات والعصبيات الأخرى، أو دونها!

يأخذك العجب عندما تنظر الى حالة القبائل الحجازية واليمانية والعراقية والشامية والمصرية والمغربية .. وتساءل نفسك: ما بال هؤلاء الذين حملوا الاسلام وفتحوا العالم وأزالوا الامبراطوريات الكبرى وأنقذوا الشعوب من ظلمها، وعلموها مناهجاً جديدةً للحياة .. قد عادوا الى مثل هذا التخلف ؟

ولكنك تجد الجواب في الفارق الهائل بين المستوى الذي كان عليه الرجل العادي والوجيه العادي من العرب في صدر الاسلام مثل رباعي بن عامر الذي يصف التاريخ منطلقه الاسلامي القوي مع قائد جيوش كسرى اذ يقول له «الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء

من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه الى خلقه لنُدعُوهم اليه .. فن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه وتركنا له أرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي الى موعود الله» الطبري ج ٤ ص ١٠٧.

وبين منطلق مترفي العرب اليوم من الأمراء والحكام عندما يؤذن لأحدهم فيتشرف بزيارة البيت الأبيض وقصور العواصم الغربية أو قصر الكرملن، أو عندما يشرفهم في عواصمهم وقصورهم معالي سفير دولة كبرى بزيارة توجيهية!

إن هذا الفارق الهائل بين المستويين وبين المنطقيين يفسر لنا مدى جريمة هؤلاء الطغاة بحق العرب في أجيال التاريخ وفي عصرنا الحاضر. إن الخطبة رقم ١٩٢ من نهج البلاغة تمثل احدى الانذارات المبكرة من الإمام علي عليه السلام للشعب العربي اذا هو أطاع هؤلاء المترفين المستكبرين وتحول من طليعة عقائدية أممية الى شعب مستضعف ومجموعات متخلفة تتبع أصحاب النفوذ الذين ينفخون فينا العصبية والقبلية والاقليمية والقومية لالشيء إلا لأنهم يستفيدون منها في استمرار تسلطهم.

من فقرات هذه الخطبة:

«فَأَظْفُسُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَخْفَادِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ وَتَرَغَاتِهِ وَتَفَنَاتِهِ ..»
 «... الْأَقَالِحَ حَذَرَ الْحَذَرِ مِنْ طَاعَةِ سَادَتِكُمْ وَكِبْرَانِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ»

الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَذَرْتُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ..

«... وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لشيءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيظُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ ... فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالتُّجْدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ .. بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذُّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبْرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامَ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافَ لِلْحَقِّ، وَالْكَظْمَ لِلغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ..

«... فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَمَا اشْتَدَّ اغْتِدَالُ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِيَاءُ الْأَمْثَالِ.

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لِيَالِي كَانَتْ الْأَكَابِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيْفِ الْأَفَاقِ وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَتَابِتِ الشَّيْخِ وَمَهَافِي الرِّيْحِ وَتَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ غَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانِ دَبْرٍ وَوَبْرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمِ ذَارًا وَأَجَدَّ بَهُمْ قَرَارًا، لَا يَتَأَوَّنُ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَتَعَصِّمُونَ بِهَا وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَتَعَمِّدُونَ عَلَى عِزِّهَا .. فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرَبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ .. فِي تِلَاؤِ أَرْزِلٍ وَأَطْبَاقِ جَهْلِ، مِنْ بِنَائِ مَوْودَةٍ وَأَصْنَافِ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ وَعَارَاتِ مَشُونَةٍ.

أَنْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفِتْنَةَ: كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كِرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ

جداولة نعيمها، والتفت إليه بهم في عوائد بركتها، فأضبحوا في نعمتها غريقين، وفي خضرة عيشها فكيهين. قد ترتبت الأمور بهم في ظل سلطان فاهر، وأوتهم الحال إلى كتف عز غائب، وتعظفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت. فهم حكام على العالمين، ومولوك في أطراف الأرضين. يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمشيها فيهم. لا نغمز لهم فناء، ولا نفرغ لهم صفاة..

«... وأعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً... تقولون الناء ولا العار! كأنكم تريدون أن تكفوا الإسلام على وجه انتها كالحريمه، وتقضاً ليمينه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأقناً بين خلقه. وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاز بكم أهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولأما جرون ولا أنصاراً ينصرونكم إلا المفاوعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم، وإن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه».

كيف نعود الى موقعنا

إن طريق العودة الى موقعنا الطبيعي في قيادة العالم والشهادة على شعوبه طريق واحد ليس أمامنا - وأمام غيرنا من المسلمين - سواها، وهي: العودة الى الاسلام.

والعودة الى الاسلام، كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وفي التكاليف.. ولها طريق واحد أيضاً هو مناهضة المجموعة المترفة المتسلطة علينا، الذين هم دعائم أركان الفتنة الذين شربنا بصفوننا كدرهم، وخلطنا بصحتنا مرضهم، وأدخلنا في حقنا باطلهم!

لقد كانت مشكلتنا مع هؤلاء قبل عصر الاستعمار الغربي مشكلة

(بسيطة) تتلخص بانحرافهم عن الاسلام الذي كان معترفاً به كقاعدة للحكم والحياة اعترافاً عاماً شاملاً عند المستضعفين والمترفين.. ولكنها أصبحت بعد الغزو الغربي مشكلة (مركبة) دخلت عليها ثلاثة أبعاد جديدة اذا نظرت الى كل واحد منها تراه أسوأ من صاحبيه:

البعد الأول: بعد كمي، فقد زادت كمية مخالفات الاسلام التي يرتكبها هؤلاء عن عصر ما قبل السيطرة الغربية أضعافاً مضاعفة.. سواء في سلوكهم الشخصي، أو في سرقتهم لأموال الناس وظلمهم إياهم، أو في اشاعة الفساد بين الناس.. فقد كان الوضع الاجتماعي العام يفرض على أصحاب النفوذ في بلادنا مستوى من الرقابة أكثر مما هو اليوم، ويشكل قدراً من التأثير على مواقعهم ومناصبهم أكثر مما يشكل اليوم. ولعل الفساد السابقين في عصر الدولة العثمانية من الأمراء والفقهاء والوجهاء ورؤساء القبائل يعتبرون متدينين بالقياس الى اخوانهم اليوم!

والبعد الثاني: بعد نوعي، فالأصل الذي كان مسلماً به قبل عصر الاستعمار الغربي وهو أن الاسلام قاعدة الحكم والحياة، والذي كان يرجع اليه الجميع في قياس الأمور وفي محاسبة أصحاب النفوذ.. أصبح غير مقبول لدى أصحاب النفوذ بعد الغزو الغربي.. اما كفراً بالاسلام، وهتاناً عليه بأنه لا يصلح لعصرنا، أو اعتذاراً بعدم امكان تطبيقه بسبب الظروف الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذلك، أو اعتذاراً بالظروف الدولية من هذه الدولة الكافرة أو تلك! أو غير ذلك من الاعذار الواهية! ولكن السبب الأساسي في ذلك أن أعداءنا يريدون أن يقضوا على أصولنا الحضارية والثقافية وبعدوننا عنها ويقطعون صلتنا بها، وينشرون

بدلها ثقافتهم في شكل الحكم والمجتمع والقيم والعلاقات والتبعية لهم، بل وقتل الذات من أجلهم! وكل مانسمعه من مناقشة في بديهة أن يكون الاسلام قاعدة الحكم والحياة في بلاد المسلمين هو من تأثير الغزاة الغربيين ثم الشرقيين اما تأثيراً ثقافياً مسخ ذهنية وشخصية بعض أبنائنا، أو تأثيراً سياسياً زرع الخوف من نفوذهم وشبكاتهم في بلادنا، ومن قوتهم خارج بلادنا!.

والبعد الثالث: نوعي أيضاً وهو أن أصحاب النفوذ في بلادنا العربية كانوا يعتمدون في نفوذهم على السند المحلي ولذلك كان تأييد الناس وعدمه يؤثر عليهم بشكل وآخر.. أما بعد السيطرة الغربية فقد(استغنى)هؤلاء الظلمة عن أي سند محلي لأنهم صاروا يستمدون نفوذهم من الخارج من أعداء الأمة المسيطرين عليها..

وأصبح الرأي الشعبي العام لايعني شيئاً أساسياً بالنسبة اليهم مادام الأسياد يساندونهم، ومادام بإمكانهم خنق أنفاس الرأي العام ومنع تحوله الى تيار سياسي وعمل ثوري مضاد لهم، ومادام يمكنهم تزويره واطهار نقيضه بوسائل الارهاب والاعلام التي يحتكرونها!

إن هذا التركيب في المشكلة من اندفاع هذه المجموعة في مخالفة الاسلام بلا حدود، ومن تبنيها لاشاعة الثقافة الغربية ومحاربتها للثقافة الاسلامية، واعتمادها في كل ذلك على الاسناد الغربي.. وغيرها من الأمور.. تجعل نهضتنا وعودتنا الى الاسلام مجدداً أكثر صعوبة، وتجعل مقاومتنا لهؤلاء أكثر تكاليف. ولكنها على أي حال الحلّ الوحيد لمشكلة حياتنا، والطريق الوحيدة لإرضاء الله تعالى ورسوله (ص) التي يرخص

فيها كل غال، وتحلوفها الأتعاب والآلام والسجون والتشريد و بذل
الدماء.



إن الحديث عن العمل الاسلامي المطلوب في بلادنا العربية حديث
طويل .. وفي نفس الوقت ليس حديثاً عن أمر جديد، فالعمل للاسلام
لم ينقطع في مجتمعاتنا منذ صدر الاسلام والحمد لله .. وحتى في أحلك
ظروف الأمة عندما تمكن أعداؤها أن يسيطروا عليها في مطلع القرن
ويقوضوا كيانها السياسي المتمثل بالخلافة .. فقد كانت هذه الهزة سبباً
لأن تراجع الأمة ذاتها مراجعة عميقة شاملة، وأن ينطلق العمل للاسلام
فيها مجدداً بأساليب تطمح أن تكون في مستوى التحدي الكبير لوجودها
وعقيدتها وحضارتها ..

إن هذه النقطة بالذات (أصالة أساليب العمل الاسلامي وكونها
بمستوى تحدي العدو ومستوى هدف الاسلام) هي في اعتقادي أهم
النقاط التي تحتاج الى جلاء والى حديث بين العاملين للاسلام.
وقد طرحت علينا تجربة الثورة الاسلامية في ايران مسائل أساسية في هذا
المجال ينبغي أن نناقشها بصدر منشرح حتى نصل الى وجه الحق فيها
فنتبناه ونسلكه.



من هذه المسائل: مسألة (قيادة العلماء) ليس في مقابل قيادة
السياسيين الغربيين فقط، بل وفي مقابل قيادة المثقفين والسياسيين

المسلمين غير العلماء أيضاً، وفي مقابل قيادة الأحزاب والتنظيمات
الاسلامية أيضاً.

لماذا لم يعط العاملون للاسلام في بلادنا العربية هذه المسألة حقها
من الاهتمام والبحث؟

وهل صحيح ما يقال من أن الفرق بين موقع عالم الدين في الأمة في
ايران وموقعه في مجتمعاتنا العربية فرق نوعي وليس كمياً؟

وأياً كان هذا الفارق فهل من الصحيح أن يبقى؟

وماهي الأساليب التي يجب أن نتبعها لاستعادة موقع عالم الدين في
الأمة؟

وماهو المقياس الاسلامي الذي نعلمه للناس في التفاهم حول
العلماء واطاعتهم لقيادتهم؟.

وماهو الموقف من علماء السوء المضلّين المنظرين لحكم الطاغوت
والساكتين عنه؟.

وكيف يمكن لعلماء الدين أن يقوموا بدور القيادة والتبليغ والهداية
والتوجيه في فئات الأمة، ويحافظوا على مقام الأبوة للجميع ولا يكونوا
طرفاً داخل الأمة؟.

وماهي الضمانات أن لا يتحوّل علماء الدين الى طبقة فيصبحوا
عاملاً سلبياً في حركة الأمة بدل أن يكونوا عاملاً إيجابياً في قيادتها
واطلاق كل طاقاتها وتحريك جميع فئاتها؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير من فروع مسألة قيادة العلماء يجب أن
تشغل مفكري وقيادي العمل الاسلامي في بلادنا العربية وأن يصلوا
فيها الى إجابات مبلورة و يقدموها الى الأمة.

ومن المسائل التي طرحتها الثورة الاسلامية في ايران مسألة (عدم كفاية العمل التنظيمي الحزبي منه والحركي، السياسي منه والمسألح) وحثها في ذلك أن ركائز التحدي الغربي الكافر في بلادنا من القوة بحيث لا ينهض بازالها تنظيم أو حزب أو فئة مهما كانت كبيرة.. وأن تحطيمها يحتاج الى موج أكبر وزلزال أشد، الى كتل جليدية هائلة وقطع جبلية ضخمة.. وليس ذلك إلا موج الأمة بكامل فئاتها وطاقاتها.. والعمل الفئوي الذي لا يشمل الأمة عمل نافع ولكنه جزء من عملها وليس كل عملها.. وقيادته جزء من قيادتها ولكنها ليست كل قيادتها..

كنا نطرح في التنظير للتنظيم الاسلامي أن التنظيم وسيلة لتحريك الأمة وليس غاية.. وأنه طريقة لاستيعاب وشمول طاقات الأمة وليس بديلاً عنها..

وأنه بالنتيجة نفس قيادة العلماء للأمة ولاثينية بين قيادة التنظيم وقيادة العلماء.

ولكن مامدى انطباق هذا التنظير على واقعنا التنظيمي وعلى واقع أمتنا؟

مامدى الموازنة التي توفقت لها الحركات الاسلامية في بلادنا بين وسيلة عملنا التنظيمي وبين غائية عملنا الجماهيري..؟ وكم استهلك العمل التنظيمي من سنوات عمرنا وجهدنا والى الآن، وكم بذلنا من وقت وجهد مع جمهور الأمة في مساجدهم وأسواقهم ومقاهيهم وقراهم وحقولهم ومناسباتهم وأزماتهم السياسية والاقتصادية وعطشهم الفطري

الصافي الى الاسلام والتحرك به ..؟

وما هو السبب الكامل في أن الأمة لم تتحرك معنا كما يجب في حالات صراعنا ومحتنا؟ ولم تتحرك كما ينبغي في حالات مدنا وقوتنا؟ هل صحيح أن كمية الخير في الأمة لازالت قليلة، وهي معدن كل خير؟ أم أننا لم نبذل الجهد المطلوب مع الأمة واستهلكنا طاقتنا في التنظيم فتحول عن كونه وسيلة ..؟ وقدمنا الى الأمة قيادة التنظيم أو قيادة المثقفين، والأمة بفطرتها تريد قيادة العلماء؟

هل يمكن أن نحافظ على وسيلة التنظيم وابقائه مجرد (أداة) لا يصلح الاسلام وتحريك الأمة به؟ وماهي الحدود المحرمة التي ان تجاوزها الأعضاء أو القيادة وقع الاختلاط بين الوسيلة والغاية؟

مامدى اصابتنا بأعراض وأمراض النخبوية والنوعية وزهدنا في جمهور المستضعفين من سكان الأكواخ والأحياء الفقيرة والأمينين ..؟ وهل يمكن لتنظيم في ظروف مجتمعاتنا أن يستوعب فئات الأمة وطاقاتها بدون أن ينتهي الى نظرية الحزب الواحد فيقع في مشكلة فرض السيطرة، أو الى نظرية الحزب لحاكم فيقع في مشكلة الطرفية في مقابل بقية الأمة؟

وماعنى نفي الاثنينية بين قيادة التنظيم وقيادة العلماء، والتنظيم يقتضي أن يكون مركز القرار لقيادته المحددة في مجموعة أشخاص أو شخص واحد، وقيادة العلماء تقتضي أن يكون مركز القرار لأكفأ علماء الدين أو لعدد محدود من العلماء؟ .

ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران (أسلوب تربية الكوادر التي تقود الأمة) فقد طرحت الثورة أن إعداد كوادر الدرجة الأولى يتم بأن يتوافد أبناء الأمة الراغبون في طلب العلم على المعاهد الدينية، ثم يمارسون عمل التبليغ في الأمة بامامة الناس في المساجد والخطابة والتدريس.. الخ. والذين ينبغون من هذا المحضن و يثبتون كفاءتهم وتقواهم يقودون الأمة.. وأما كوادر الدرجة الثانية فهم الذين يتربون على أيدي العلماء والمبلغين و يتثقفون بثقافتهم و يعملون معهم، من المتعلمين والمختصين وأصحاب المواهب والقابليات القيادية في قطاعات المجتمع المختلفة.

بينما نعتمد نحن في الحركات الاسلامية أسلوب محضن التنظيم يدخل فيه العضو فنعه لقيادة الأمة بثقافته بحركة وتوجيهه في عمله التنظيمي وعمله مع الأمة اذا كان له عمل مع الأمة.

ترى أي الأسلوبين أصح وأبعد عن الوقوع في الافتراض النظري المجرد؟.

وهل يمكننا أن نجتمع بين حسنات الأسلوبين؟.

وهل يتحمل أسلوبنا في اعداد الكوادر قدراً من المسؤولية في اخفاق كوادرنا في الالتحام مع الأمة وتحريكها؟.



ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران مسألة (الطرح العبادي، والطرح الأخلاقي للإسلام).

ينبغي أن نسأل أنفسنا لماذا تستجيب الأمة للاتجاهات الصوفية والروحية أكثر مما تستجيب للحركة الاسلامية؟ هل يكفي في الاجابة أن نقول: ان الحركة الاسلامية أكثر كلفة على المسلم من الدعوات الصوفية؟ أم ينبغي أن نكتشف أيضاً أن الأمة تبحث عن البعد العبادي الروحي في الاسلام فتحس به عند غير الحركات أكثر مما تحس به لدى الحركات؟.

وينبغي أن نسأل أنفسنا: هل يكفي أن نقدم الى الأمة البناء القاعدي للاسلام من دون البناء الفوقي؟

أن نقدم عقيدة الاسلام وشريعته (معقنة معلمة) بدون صرحها العلوي الذي توجهها به الاسلام من الأخلاق والعاطفة؟

أن نقدم لها الجذور والجدوع والفروع بدون الحضرة والنصرة والعطر والنسيم، في الأغصان والأزهار والثمرات..؟

هل يكفي أن نقدم لها الطرح الاسلامي السياسي (ممنطقاً مقنناً مقنعاً للعقل) بدون نبض القلب وخفق الضلوع وحرارة الدموع واشواق الروح اللامحدودة..؟ بدون أن نعلمها البكاء بين يدي الله تعالى في المحاريب وفي البيوت لظلامه عباد الله المستضعفين من النساء والرجال والولدان.. ونعلمها الغضب والحنق على ظالمهم وغاصبي حقوقهم؟.

ان البعد العبادي والأخلاقي في الاسلام ليسا من الأبعاد العادية التي تشكل جانباً من الاسلام نلتفت اليه بقدر ونعيش فيه بعض الوقت ونقدمه الى الأمة كذلك بل يشكلان طابعاً واطاراً وصيغة لطرح الاسلام.. يشكلان جذوة متقدمة ملتبهة ومخزونة خاصة في شخصية

العاملين والعمل ينتج عنه أنواع من اللهب والنور والالتياح والحنين والبكاء والأشواق.. فيشكل ذلك تياراً من العاطفة الربانية الانسانية يملأ أجواء العقل والنفوس ويسري في الأمة شبيهاً بما جرى فيها من رسول الله (ص)، ويحركها كما فعل في صدر الاسلام.

فهل كان اهتمامنا بتفجير هذا التيار في الامة بالمستوى المطلوب؟ أم أنا صببنا أكثر جهودنا على التوعية الفكرية والسياسية بأسلوب رياضي، وعلى التوعية التربوية بأسلوب فيه الكثير من الميكانيكية والقليل من الروح، ولم نؤف قضية التبعد وقضية الأخلاق في الاسلام حقها.

لماذا استطاعت الحركة الاسلامية في ايران أن تفجر تيار الروحانية العابدة وتيار الأخلاقية المرهفة في الجماهير.. ولم نستطع نحن تحقيق ذلك في بلادنا العربية؟.



ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران مسألة (العلاقة بالأنظمة التي لا تحكم بالاسلام).

فقد طرحنا في الحركة الاسلامية في بلادنا مسألة جاهلية الثقافة غير الاسلامية وجاهلية الأنظمة التي لا تقوم على الحكم الاسلامي.. وحتى جاهلية مجتمعات المسلمين التي يحكمها غير الاسلام.

كما طرحنا مسألة استعلاء الايمان ونمط تعامل المسلم مع الطاغوت، هذا الاستعلاء الذي يقوم على معادلة: أن المسلم العادي أعلى من أئمة الطاغوت، أي أعلى من ريغان واندربولوف وأضراهما.. فكيف

بالتطوعيات الصغار الذين يستمدون قوتهم من اسناد القيادي؟ وكيف بالتطوعيات الصغار الذين يستمدون قوتهم من اسناد الطاغوت لامن الاسلام واختيار الأمة؟

ولكن بقي علينا أن نتقدم خطوة من مرحلة المفاهيم الاعتقادية هذه الى مرحلة الفقه واستكشاف الأحكام الشرعية التي تحدد علاقة المسلم وعلاقة الحركة الاسلامية وعلاقة الدولة الاسلامية بهذه الأنظمة على ضوء الواقع الاجتماعي المعاصر.

فاهو النظام الذي نصفه بالجاهلية والطاغوت.. هل أن أشخاصه الحاكم والوزراء فقط؟ أم يشمل الذين هم جزء من سلطة الحاكم ومظهر لسلطانه من كبار ومتوسطي الموظفين؟ وما هو حكم الوظيفة والعمل في أجهزة الدولة التي لا تحكم بالاسلام؟ الأجهزة التي تشرع القوانين الوضعية، والأجهزة التي تنفذ الظلم على المسلمين، والأجهزة التي تؤدي أعمالاً هي في الأصل خدمات للمسلمين مثل شق الطرق وانشاء المرافق العامة وصيانتها، وأعمالاً صارت بسبب الظلم خدمات للمسلمين مثل تخليص المعاملات وأخذ اجازات العمل والسفر.. الخ.

بقي علينا التقدم خطوة نحو فقه التعامل مع النظام، تعامل المسلم العادي، وتعامل المسلم القيادي، وتعامل الحركة الاسلامية والدولة.. فحالة الفراغ الفقهي أمام الحركة الاسلامية وأمام الأمة تنتج عنها أضرار كثيرة.. ويختلط فيها الحلال بالحرام، والجاهلية بالاسلام.

وبقي علينا أن نقدم هذا الموقف الفقهي الى الأمة في طرح سياسي وعملي يجسد مصداقيتنا. لقد قدم الشهيد مصطفى شكري وجماعته وخالد

الإسلامبولي وجماعته موقفاً فقهياً من النظام والمجتمع ومصداقية .. ومهما ناقشناهم فلانستطيع إلا أن نحترمهم لأنهم ملؤوا مساحة الفراغ هذه وقدموا أطروحة متكاملة وصدقوا مع أنفسهم .. وكتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم رحمهم الله.

وقدمت الثورة الاسلامية في ايران موقفاً فقهياً آخر من النظام والمجتمع وممارسته بمصداقية ودفعت الأمة في ايران الى ممارسته ..
وبقيننا نحن في الحركة الاسلامية في الوطن العربي نخشى أن نملاً منطقة الفراغ الفقهي والسياسي في العلاقة مع الأنظمة حتى لانخر أعضاءنا وحركتنا، مع أن هذا النوع من التفكير خطأ استراتيجي في العمل للإسلام وخضوع لحساب ومعادلة غير اسلامية ..
وكانت النتيجة أن أصبحت هذه المنطقة الفراغ بجرأ يغرق فيها مقياسنا الاسلامي، ثم تغرق فيه الحركة ..!



ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران مسألة (الحالة الاستشهادية) في المسلم وفي الحركة وفي الأمة.
هذه الحالة الربانية التي تقدر المسلم والعمل للإسلام وتباركه، والتي تعني لنا الكثير الكثير:

تعني أن نكون على استعداد حقيقي للموت ومغادرة الدنيا.
تعني أن نجعل عدونا في حيرة حقيقية أمام منطلق «فأفرض ما أتت فأفرض ما أتت»
فأفرض ما أتت. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا».

تعني أن يبرز في عملنا طابع «بأبغض خذ الكتاب بقوة».

تعني أن تكون جاذبية أشواقنا الى لقاء الله ونعيمه أقوى من جاذبية الحياة الدنيا بما فيها عمل أحدنا للاسلام.

تعني أن نفرح فرحاً حقيقياً لموت من يموت منا وأذى من يؤذى في سبيل الله، ونشيع هذا الفرحة في الأمة.

تعني أن يكون في يدنا دائماً المبادرة والاقدام والفعل والسيطرة على المعادلة مع العدو، وأن لا تستقر الكرة في مرمانا، ولا تخرج من مرماه إلا لتعود بعد حين.

لقد قدمت الحركة الاسلامية في بلادنا أفواجاً وأفواجاً من الشهداء بلغوا الألوف، وهم من خيرة أبناء الاسلام وفيهم معجزات اسلامية في الصمود أمام التعذيب الوحشي والإغراء.. ولكن المسألة هنا. لماذا لانصل الى الحالة الاستشهادية إلا في يد الجلاد؟

لماذا مارست الحركة الاسلامية في ايران حالة الاستشهاد بطريقة الفعل والمبادرة فقدمت أكثر من ٩٠% من شهدائها في حالة الفعل في الشوارع والساحات والأزقة.. وقدمنا أكثر من ٩٠% من شهدائنا بطريقة تلقي الفعل والترقب حتى يقبض علينا الظالم كما يقبض الذئب على فريسته المظلومة و يقتلها؟

•

ومسائل أخرى عديدة طرحتها الثورة الاسلامية في ايران، ليس هنا مجال تعدادها وتفصيلها.. ينبغي للحركة الاسلامية في بلادنا العربية أن تبحثها في اطار المراجعة الشاملة والأطروحة الكاملة التي نحتاج اليها، اذا أردنا حقاً أن نعيد أمتنا الى موقعها الطبيعي الشاهد على الأمم.

«وَالَّذِينَ آمَنُوا يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ»

أهم نقاط القوة والضعف في الفرس

مهما يقل عن حضارة الامبراطورية الفارسية قبل الاسلام فإنها من الامبراطوريات الطاغوتية التي أدانها الاسلام وجاء لانقاذ الشعوب من ظلمها.

ومهما يقل عن الديانة المجوسية التي كان عليها الفرس واعتبرهم الاسلام بسببها نوعاً من أهل الكتاب.. فإنها ديانة جاهلية مشرقة جاء الاسلام لازالة ظلامها بنوره.

وقد كان من أبرز مقومات تلك الامبراطورية والجاهلية التعصب القومي والمنطق القومي الذي لم يكن عند الفرس أقل منه عند غيرهم أن لم يكن أكثر بحكم كونهم أصحاب امبراطورية استعمارية.

ولانستطيع القول أنه بانهار الامبراطورية الفارسية السريع بالفتح الاسلامي ودخول الفرس في الاسلام أفواجاً.. قد حدث فيهم تحول جذري فعوفوا من مرض التعصب وتبنوا منطق الاسلام العالمي، فان مثل هذا التحول يحتاج عادة الى وقت أطول، خاصة أن المجتمع الاسلامي الذي دخلوا فيه لم يكن معافي من مرض التعصب.

لقد شكل الفرس في مدة قصيرة قطاعاً هاماً من مجتمع الدولة الاسلامية ولكنهم كانوا كغيرهم من الشعوب في الابتلاء بمرض التعصب الذي لم يسلم منه كما ذكرنا إلا الأوساط الواعية المتقية من الأمة.

وعلى امتداد تاريخنا الاسلامي ظهرت من الفرس تحركات ونشاطات لانستطيع أن نبرءها من مرض التعصب القومي. فحركة أبي مسلم الخراساني، وحركة البرامكة، وحركة الفضل بن سهل والفتح بن خاقان، وغيرها.. ليست بعيدة في اعتقادي عن مرض التعصب القومي.

ويحسن في هذا المجال أن نلاحظ المواقف الحاسمة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام من هذه الحركات وقادتها والذي وصل الى حد مساعدتهم للخلفاء العباسيين مع رأيهم السليبي فيهم من أجل احباطها والقضاء عليها.

نعم تستوقفنا في القرون الأخيرة ظاهرة أن الفكر القومي والحركات القومية في ايران لم تعد تلاقي إلاّ نجاحاً محدوداً وموقتاً في حين أن الفكر الاسلامي والحركات الاسلامية تلاقي تجاوباً كاسحاً..

ففي الوقت الذي كان العالم الاسلامي يئن من مرض الانقسامات القومية والاقليمية نجد الايرانيين يثورون في حركة الصفويين الهاشميين ويسلمونهم حكم ايران.

وفي الوقت الذي نجح الغربيون في بعث الروح القومية لتفتت الدولة العثمانية وكانت الأفكار القومية في سوريا ومصر والعراق وتركيا وغيرها.. مقدسة عند جماهير شعوب الأمة كان الايرانيون يخوضون صراعاً مع النفوذ البريطاني ومع الملوك القاجاريين القوميين الغربيين واستطاعوا بعد أحداث دامية أن يفرضوا في سنة ١٩٠٦م مادة تنص على رقابة خمسة من الفقهاء على الدستور وتعطيهم حق نقض القوانين المخالفة للشريعة الاسلامية.

وفي الوقت الذي كانت مخططات التغريب ذات الأثواب القومية والإقليمية تسير في العالم الإسلامي على قدم وساق على يد أتاتورك وأشباهه.. كان الإيرانيون يقاومون رضا خان القومي الغربي مقاومة ضارية، وكانوا ينظرون باعجاب وتقديس الى منظمة (فدائيان اسلام) التي يرأسها طالب علم هاشمي (الشهيد السيد نواب صفوي) لأنها أردت برصاصها فيلسوف الحركة القومية الكسروية!.

ومن أواخر هذه الظاهرة أن النشاطات القومية لرضا خان وابنه محمد رضا من قبيل محاولات إحياء أمجاد كورش والأكاسرة وربط الشعب الإيراني بها كانت مواد ادانة لها في نظر الشعب الإيراني وأحد العوامل التي دفعتهم الى الثورة الإسلامية بقيادة مرجع هاشمي!.

عوامل الظاهرة الإسلامية في إيران

ليست ظاهرة تراجع العصبية القومية التي تحدثنا عنها إلا جزءاً من ظاهرة أكبر هي الظاهرة الإسلامية في إيران التي شهدنا انفجارها في الثورة. فاهي العوامل التي أنتجت هذه الظاهرة؟

ان فطرة الاسلام وسره الذي يفعل الأعاجيب في النفس البشرية وفي الشعوب هي الأصل ما في ذلك شك.. ولكن ماهي العوامل التي جعلت قلوب الإيرانيين تحمل هذا السربجيوية وفعالية؟

قد يخطر ببال الباحث في تاريخ إيران أن يرجع ذلك الى الحركة الصفوية التي كانت في بداياتها أشبه بالاتجاه الصوفي وأثرت في جماهير الإيرانيين وتعاضم أمرها حتى حكمت إيران. فقد أولى ملوكها اهتمامهم

بالحوزات العلمية وبالعلماء والخطباء في أنحاء إيران وأعطوا المراجع مكانة خاصة حتى أن الشاه طهمااسب أصدر مرسوماً أمر فيه أجهزة الدولة باطاعة أمر المرجع المعاصر له المحقق الكركي العاملي رحمه الله وذكر فيه أن الفقيه الجامع للشرائط هو الحاكم الحقيقي وأنه يتشرف بامثال أوامره وتوجيهاته.

ولكن الصحيح أن الحركة الصفوية وإن أثرت في تعميق الظاهرة الإسلامية في إيران فقد كانت هي نتيجة لهذه الظاهرة أكثر من كونها سبباً.. فلولا يكن تيار التدين مركزاً في جماهير الإيرانيين لما قبلوا بالصفويين حكاماً وهم هاشميون من أصل عربي، ولما قبلوا بمرجعية المحقق الكركي والشيخ البهائي وهما عربيان من لبنان.

في اعتقادي أن عوامل الحالة الإسلامية هي أبعد زمناً وأعمق من الحركة الصفوية، وهي خمسة عوامل: سلمان الفارسي. والقضاء على الكسروية. وقم. وهجرة الهاشميين إلى إيران. وقابلية الإيرانيين.. وأن هذه العوامل أشبهت أن تكون خطة تلاقت نتائجها وتفاعلت في شخصية الإيرانيين في التاريخ البعيد والقريب تفاعلاً هادئاً وعميقاً ولم نشعر بها إلا عندما حصل في تراكمها الكمي تطور نوعي وفاجأنا الإيرانيون بثورتهم الإسلامية.

فسلمان الاصفهاني الذي تشبه قصته الخيال، المهاجر في طلب النصرانية إلى الشام ثم إلى نينوى وعمورية.. ثم هاجر في انتظار النبي الموعود إلى الحجاز فباعه الأعراب إلى يهود خيبر على أنه عبد لهم، ثم باعه يهود خيبر إلى أقربائهم من يهود المدينة، وكان يتسقط أخبار ظهور

النبي (ص) في مكة، وفي أول فرصة أمكنته ذهب خفية عن مالكيه لرؤية النبي (ص) في قباء أول هجرته الى المدينة، ولمأراى فيه العلامات والآيات أسلم على يده وساعده النبي (ص) والمسلمون حتى أعتق نفسه من اليهود، وحتى بلغ سلمان الفارسي رضوان الله عليه مكانة جعلته من حواربي النبي (ص) حتى فقال فيه «سلمان منأ أهل البيت».

وشارك في معارك الاسلام مع النبي (ص) وفي معارك الفتوحات. ومنها فتح بلاده والقضاء على الكسروية، التي كانت حاجزاً يمنع الفرس من سماع صوت الاسلام ورؤية نوره.

ولقد أقر الله عين هذا الفارسي المشرد فلم يرحل من الدنيا حتى صار باقتراح علي عليه السلام وأمر الخليفة عمر بن الخطاب والياً على المدائن وحكم عاصمة الأكايرة بالاسلام!

لقد كان سلمان الفارسي شخصية ذات وقع خاص في قلوب المسلمين، وذات جاذبية خاصة للفرس شدتهم لأن يسمعوا اليه ويشعروا أنه رسول النبي (ص) اليهم، بعد أن منعهم كسرى أن يسمعوا من النبي (ص) مباشرة. ولم يقتصر هذا التأثير على فترة حياة سلمان بل امتد في أمتنا الاسلامية وفي أجيال الفرس خاصة ..

وقد أشرنا في الحديث عن قم الى هجرة الهاشميين اليها، ونستطيع بنظرة فاحصة في تاريخ ايران الاسلامي وفي تاريخ الهاشميين أن نلمس التأثير العميق الواسع للسلادة الهاشميين في تركيز الاسلام وتعميقه في الايرانيين.

فمن ناحية زمنية بدأت هجرة الهاشميين منذ صدر الاسلام وتواصلت

بكشافة على مدى القرون الثلاثة الأولى .. وكانت بين مدّ وجزر في القرون القريبة. ومن ناحية نوعية وعددية كان المهاجرون الهاشميون في الغالب من نوعية الرواة والفقهاء والثائرين الذين يطلبون حقلاً لتبليغ معارفهم الاسلامية أو وسطاً للنهوض معهم في ثورة أو ملجأ يحميهم من السلطة الحاكمة.

ولعل عدد هذه النوعية من الهاشميين بلغ في مجموع ايران منذ صدر الاسلام الى اليوم عشرات الآلاف مما يجعل ايران المركز الأول للثورة والفقهاء لدى بني هاشم بالرغم من انتشارهم في أجزاء الوطن الاسلامي الأخرى.

ويتضح ذلك بمراجعة ثورات الطالبيين في أمثال كتاب (مقاتل الطالبيين) وكتاب (مناقب آل أبي طالب) وكتاب (روضات الجنات) في تراجم العلماء وغيرها .. وبمراجعة هجرات بني هاشم الى القارة الهندية وشرق آسيا التي أنطلقت أكثرها من ايران. و يبلغ عدد أبنائهم اليوم في ايران بضعة ملايين نسمة! و يكفي أن نعرف أن منهم الامام الخميني دام ظلّه والسادة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والعديد من الوزراء وكبار المسؤولين وعدد كبير جداً من العلماء في أنحاء ايران.

ومن ناحية جغرافية غطت هجرة الهاشميين كل مناطق ايران: من بلاد ماوراء النهر التي هي تحت الاحتلال الروسي فعلاً، الى محافظة خراسان فامتداد ساحل قزوين الى حدود تركيا شمالاً، ومن حدود باكستان وأفغانستان الى سيستان وبلوشستان وهرمز والأهواز وإلام جنوباً .. الى كل مدينة ومنطقة هامة في ايران ..!

ويعتني الإيرانيون باحترام العلماء والصالحين والهاشميين منهم بصورة خاصة، ويسمون الهاشمي (السيد أو الشريف) كما يسميه العرب أو (امام زاده) أي ابن الامام لأنه من ذرية أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وعن قابلية الإيرانيين التي توفرت لها العوامل الأربعة المتقدمة نقتصر على الصفات الثلاث التي يدلّ عليها الحديث النبوي الشريف المتواتر «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثَّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ» وهي: الايمان. والهمة العالية. والنفس الطويل.

صلى الله عليك يا رسول الله ما أبلغ منطقتك وأجمعه. إن الايمان الذي هو التصديق بالاسلام والتفاعل معه منسجم مع الفطرة البشرية وسهل التناول على الناس، فلماذا افترضت أن يكون معلقاً في الثريا وأن رجالات من الفرس يتناولونه لاحماله؟.

ولكن حديث النبي (ص) ليس عن حركة شخص نحو الايمان ليقال ان الايمان في متناول يده، بل عن حركة شعب يكون بديلاً للعرب إن هم تولوا عن الاسلام «فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدَّلُوا بِنَا؟ فَضَرَبَ عَلَيَّ مَنَكِبٍ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: هَذَا وَقَوْمُهُ.. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثَّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ» ومثل هذه الحركة قد تكون طويلة ودونها الصعاب، فهي تحتاج الى مثل هذه الصفات التي يتحرك بها الإيرانيون نحو الهدف، ويصلون.. مهما تكن الطريق والصعاب!.

وقد اعتبرناها ثلاث صفات: الايمان الذي هو الهدف. والهمة العالية التي تدفعهم اليه. والدأب والنفس الطويل الذي به يصلون.

وقد ورد في بعض صيغ الحديث الشريف لفظ العلم والحكمة بدل الايمان، ولم نعتبرهما صفتين مستقلتين لأن الايمان بمعناه الكامل يتضمن العلم والحكمة، ولأن تناوله من الثريا يتوقف على العلم والحكمة..

ولكن ما يريد النبي (ص) أن يقوله في هذا المثل البليغ ليس تعداد صفات وأنها ثلاث أو خمس أو عشر.. إنه يقول: إن في هؤلاء القوم (حالة أو نزعة حب الحق والسعي اليه بدون شروط وبدون حدود) وهي تتضمن وتستلزم عدداً من الصفات التي توجد في قوم سلمان بأعمق مما توجد في غيرهم، ولهذا يصل رجال منهم الى مستويات ايمانية لا يصل اليها غيرهم و يقودون قومهم ويحملون الاسلام للعالم.

ولكن.. هل يتحدث النبي (ص) عن امكانية هذا البديل أو عن حتميته؟ أما الآية الكريمة «وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبِدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» فهي تتحدث عن بديل العرب كإمكانية وفرضية مشروطة بأن يتولى العرب عن النهوض بمستلزمات الاسلام.

وأما النبي (ص) فهو يتحدث في تفسير الآية بشكل يوحي بحتمية وقوع هذا الاستبدال الإلهي في المستقبل. ويمكن القول إن الفرضيات الإلهية في القرآن الكريم أو القضايا المشروطة ليست سواء من حيث احتمال وقوعها وعدمه، وأن أنواعاً من الفرضيات السياسية والاجتماعية في القرآن تدل على حتمية وقوعها، كما يدل عليه استقصاء هذا النوع.

كما يمكن القول بأن تفسير النبي (ص) للآية يدل على وقوع الاستبدال أيضاً.. ولكن الأفضل أن نأخذ في هذا الموضوع بالقدر المؤكد

المسلم به وهو مجرد الامكانية في الآية ومجرد الإيحاء بوقوع استبدال العرب بالفرس، في التفسير النبوي وهما لا يشكّان دليلاً.

فلابدّ لاثبات حتمية وقوع الاستبدال من دليل من غير الآية والحديث الشريف، والحق أن هذا الدليل موجود أولاً في بدهة تولى العرب عن الاسلام في عصرنا الحاضر ونهوض قوم سلمان به. وثانياً في الأحاديث الشريفة المتعددة التي تدلّ على أن الفرس ينهضون بالاسلام في آخر الزمان ويقاتلون العرب عليه عوداً كما قاتلهم العرب عليه بدءاً، وأنهم يمهّدون للمهدي عليه السلام ويكونون أنصاره.. إن مجموعة هذه الأحاديث المتواترة في المعنى على الأقل تدلّ على حتمية وقوع هذا الاستبدال وتفسّر لنا نوعية القضية الشريطية في الآية الكريمة، ونوعية الحالة التي يقسم عليها النبي (ص) بقسمه الحاسم المقدّس «والذي نفسي بيده».

بل توجد أحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية تصرّح بأن عملية استبدال العرب قدتمّت «بأبناء الموالى المعتّقين» الذين أقبلوا على الايمان وعلوم الاسلام في حين بدأ تراجع العرب.^١

(١) تفضل الصديق العلامة الخالصي ببعض المناقشات حول عوامل الظاهرة الاسلامية في ايران تضمنت ملاحظات قيمة، وأسجل تقديري لمعامل جديد ذكره سماحته لم أجده عند غيره وإن كنت لأوافق على أنه العامل الوحيد وهو: أن التكوين الجغرافي لايران يختلف عن غيره، فبينما تشكل المدن في بلادنا العربية مثلاً واحات في وسط الصحراء وتقوم الصحراء بدور تبيد الخزون والتجربة الحضارية والاجتماعية.. تشكل المدن في ايران حزاماً دائرياً للصحراء ممّا يجعل الصحراء الايرانية تتأثر بحزام المدن ولا تستطيع تبيد الخزون الحضاري، ولذلك يحتفظ الايرانيون بالتجربة بدرجة عالية جداً.

كيف يتناول الفرس الايمان من الثريا

نستعرض فيما يلي بعض الملامح لثلاثة أنواع من الحركة جرت وتجري في المسلمين الايرانيين: حركة في النفس، وحركة في المجتمع، وحركة نحو هدف الاسلام.. لكي نرى فيها كيف يتناول الفرس الايمان من الثريا.

في ميدان النفس:

زرت طهران في فصل الشتاء، وكنت سمعت عن الأجواء الروحانية الخاشعة في مجلس دعاء كميل ليلة الجمعة، وهو دعاء ومناجاة علمه الامام علي عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رحمه الله ويعقد المسلمون في ايران مجالس لقراءته ليلة الجمعة.. وتأسفت عندما حلت ليلة الجمعة وكان البرد شديداً والثلج غزيراً لأن ذلك سيمنع من انعقاد المجلس، ولكن قيل لي أن المجلس لا يتعطل والناس يقصدونه في كل الظروف!.

اتجهنا الى مدرسة الشهيد مطهري في وسط طهران فرأينا أن حركة السير تزداد كلما اقتربنا من المكان..

ترجلنا بعيداً عن المدرسة لأنهم أدخلوا الساحة والشوارع المحيطة بها من السيارات كانت قراءة الدعاء قد بدأت والناس ملؤوا المدرسة بمسجدها

الكبير وساحاتها الواسعة وامتدوا الى الخارج وجلسوا في الساحة والشوارع يتقون تساقط الثلج بما يتيسر من مظلة أو غطاء للرأس أو معطف، و يقرؤون الدعاء! .

هل يصدق الناس في العواصم الباردة أن الألواف أو عشرات الألواف من الطهرانيين يخرجون من بيوتهم في مثل هذا الجو ويجلسون في الشوارع ساعتين تحت الثلج لقراءة الدعاء؟! .

نعم تحت الثلج، وفوق الثلج أيضاً، فقد رأيتهم يجلسون على ماتيسر لهم: بساط عادي أو مفرش من السيارة، أو معطف يجلس عليه اثنان ويغطيان رأسيهما بالمعطف الآخر، أو قطعة نايلون أو كارتون .. وبعضهم يجلس القرفصاء ..! والكل باتجاه القبلة يتابعون فقرات الدعاء مع القارئ، وتشعر أنهم يحفظونها ويفهمون معناها، أو يتابعون الموضوعات التي يطرحها القارئ بالفارسية تعقيباً على مفاهيم الدعاء .. أو يأخذ الواحد منهم البكاء فينطلق في التضرع الى ربه عز وجل يطلب منه المغفرة ويطلب حاجاته .. ثم يعود الى متابعة الدعاء ..

لولا الحياء لتجولت بين الناس أنظر في وجوههم ودموعهم وأسمع ضراعاتهم، وأتعلّم منهم كيف يدعو المسلم ربه ..

وقفت خلف شاب في حوالي الثلاثين من عمره، كان جالساً ويرتدي معطفاً يغطي رأسه، وتحاشيت أن يشعر بوجودي حتى لا أزعجه في دعائه .. ولكنه كان في حالة لا يشعر معها بالثلج المتساقط على رأسه وبعض وجهه ولا يشعر بأحد .. كان منفصلاً عن متابعة الدعاء مع القارئ ويتكلم مع الله تعالى ويبكى حتى ينقطع كلامه .. ثم يعود الى

الكلام.. وأي كلام.. كان يتكلم مع الله تعالى بكل وجوده، و يتوجه اليه بكل مشاعره، وان الكلمة الواحدة لتخرج من صدره وجوداً حياً يحمل من أجزاء روحه وينبض بها؟.

سمعته يقول: خديا، أي: إلهي و يطلقها نداءً عميقاً حزيناً طويلاً.. و ينفجر بعدها بالبكاء... ثم يمسك بكاءه و يواصل دعاءه.. فهمت منه أنه يقول: يا إلهي أنت رحيم محب.. وأنا بعيد عنك.. ذنوبي.. ليلة الجمعة.. العفو.. جئت اليك.. أريد منك التوفيق.. النجاة من النار.. الشهادة..

أرى أمامي ظاهرة وليس شاباً طهرانياً.. أرى عالماً يوج بالآفكار والمشاعر يخاطب ربه.. أين عنه علماء النفس والاجتماع والتصوف.. بل أين عنه المسلمون المتدينون.. ليتعلموا كيف يقولون: يا إلهي..

آه لو كان ندائي لله تعالى يحمل حرارة وحرقة وأشواق هذا الشاب. لقد قالها مرة وهو يرمق بنظره الى السماء وبكى.. فأحسست كأني في مشهد القيامة، وأن المنطقة المغطاة بالثلج جزء من ساحتها، وأن هذا المسلم جاث بين يدي الغفور الرحيم يرفع اليه قضيته وستنزل عليه الرحمة وتشملني معه..

وفي داخل مسجد المدرسة كان المشهد أعظم وأكثر تأثيراً.. فعندما يصل القاريء الى مقاطع يرددها الحاضرون معه مثل: يارب يارب يارب، أو يارب ارحم ضعف بدني، عن النار.. يتجاوب الدوي والدموع الى عنان السماء.. وعندما يطلب القاريء عنهم طلباً من الله تعالى فيرفعون أيديهم وأصواتهم بقولهم (إلهي آمين) تشعر بعبودية

المسلمين الضارعة الراجبة ..

خرجنا في الساعة الحادية عشر ليلاً ونظرت الى الساحات والشوارع ممتلئة بالحركة والنشاط كأنها في وسط النهار، وسيارات النقل الحكومي تنقل الناس مجاناً الى مناطق طهران المختلفة .. ولكنها حركة أكثر سروراً وأكثر تهذيباً من حركة الناس في النهار، أنك تحسّ الرضا في قلوب أفواج الناس .. فقد جاء الواحد منهم الى مجلس الدعاء ووضع نفسه بين يدي الله عزّوجلّ وطرح قضيتّه وقدم طلباته .. لقد اتصل هذا الجزء المحدود المقصّر ببحر الوجود المطلق والحبّ المطلق والفيض المطلق عزّوجلّ .. ومن كانت له قضية كهذه فلماذا لا يأتي الى مكان طرحها ولتحت هطول الثلج أو حرارة الشمس؟.

ماهذا التحوّل في مسلمي ايران؟ انه الايمان يفعل العجائب في الشخصية ..

ومن أين يأتي الايرانيون بالايمان؟.

أنهم يتناولونه في ليلة الجمعة من الثريا، وصدق رسول الله (ص).
فإذا يتناول أعداؤهم تلاميذ الغرب في ليالي الجمعة؟.



أحد القضاء برزا اسمه في محاكمة أعوان الشاه .. زار مدينة الأهواز وعند مدخل المحكمة الثورية شكت اليه امرأة أن حراس المحكمة منعوها أن تقابل زوجها المتهم بالمشاركة في مؤامرة شاهبوربختيار وتوسّلت اليه أن يسمح لها بمقابلته. فأمر القاضي مسؤول حرس المحكمة أن يسمح لها بذلك، ولكن الحارس لم يقبل فغضب عليه القاضي وضربه .. فقال له

الحارس سوف لأقول لك شيئاً، ولكن لا تجعل ثقتي بك تتزعزع.
 ودخل القاضي في موكبه الى ساحة المحكمة، ولكن الحارس
 كان سبقه وأخبر قاضي الأهواز بوصول القاضي المعروف وبما حدث معه
 عند الباب.. فخرج القاضي واستقبل زائره وسأله عما حدث مع
 الحارس فأخبره. قال له قاضي الأهواز: انّ الحق مع الحارس لأن
 ارتباطه الشرعي بقاضي الأهواز، والقاضي الزائر قد عين قاضياً خاصاً
 لمحاكمة أعوان الشاه وهذا التعيين لا يشمل المتهم الذي أرادت زوجته
 مقابلته.

عندئذ التفت القاضي الزائر الى خطئه فقال على الفور: اذن أنا
 أستغفر الله ومن حق الحارس أن يقتصّ مني فيضربني.
 وكان مشهداً رائعاً عندما استدعوا الحارس ووقف أمامه القاضي
 المشهور بسطوته، وكلمه بأن له الحق أن يقتصّ منه وأدار له خدّه، فتقدّم
 الحارس.. وقبله وعفا عنه!
 لقد تناول هؤلاء الايمان من الثريا.. فكانت قصة من قصص صدر
 الاسلام.

في حركة المجتمع:

أكمل الناس احدى تظاهراتهم العديدة المديدة.. وكانوا منصرفين
 الى منازلهم فحصل حادث اصطدام بين سيارتين لم يصب بسببه أحد
 ولكن احدهما تضررت، وحدثت منازعة طويلة بين صاحبيهما، فقصد
 ضابط البوليس القريب وعرضاً عليه الأمر وطلباً اليه أن يرى الحادث

ففاجأهما الضابط بقوله:

أنتم ضد هذا النظام ولا تشقون بنا، فنحن غير مسؤولين عنكم ..
 اذهبوا الى الخميني لكي يحكم بينكما! وكان الامام يومها في باريس.
 عندما سمعا كلامه .. رجع كل منهما الى نفسه، فاكان من أحدهما
 إلا أن أخرج دفتر شيكات وكتب لصاحب السيارة المتضررة شيكاً بمبلغ
 يكفي لتصليح سيارته وقدمه الى صاحبه قائلاً:

- أرجو أن تسامحني فالحق عليّ وهذا الشيك من الامام الخميني.

فتناول الرجل الشيك وقبله ووضعه على رأسه وقدمه اليه قائلاً:

- شكراً، وهذا هدية لك من الامام الخميني، ولا أريد منك شيئاً.

وصافح كل منهما الآخر، وانصرفا تاركين ضابط البوليس مذهولاً ..

لقد هزهما ابن النظام، وذكرهما أنها عائدين من عبادة اسلامية ..
 فارتقت نفساهما فتناولوا الايمان من الثريا وعالجوا به المشكلة!.



قال أحد زملائه:

كان بين مجموعتنا في الجهة أشبه بملاك متوهج بالنور .. يخدم الجميع
 بحب ويريد أن يحتضنهم في قلبه .. يصلي فيبكي .. ويقرأ القرآن
 وتفسيره بالفارسية فتضطرم نار الايمان بين جنبيه .. ويقرأ الدعاء فتحلق
 روحه بأجنحتها البيضاء، وتكاد من أشواقها الى ربها أن تفارق
 جسده ..

كانت هذه حالته ليل نهار، كأن روحاً ملائكية ألقيت عليه ..
 وكأنه جاء الينا من الجنة فهو لا يستطيع أن يكتم حنينه الى ملئها

الأعلى .. يدعو بالشهادة بفرح من نوع عجيب، ويقول: ادعوا لي يا اخواني. لاشك أنكم تحبون لي أن أذهب الى الجنة. أحب أن أكون معكم. ولكني أحب أن أذهب أمامكم الى لقاء الله ..

فاذا تساقطت القنابل وهطلت زخات الرصاص طفق بالاستبشار والأمل .. واذا شارك في قتال أو عملية اندفع أمامنا كأسد أفلت من قيوده، أو كمتيم مشتاق يخطو الى حبيبة عمره .. أو كطائرة اندفعت من مدرجها لتعانق الفضاء ..

قلت له وقد أردت أن أزور أهلي في اجازة: يا محمد هل معك صورة تهديها لي للذكرى؟ قال: لا يا أخي. قلت: لا بأس، اكتب في الرسالة لأهلك أن يعطوني صورتك.. فأطرق محمد لحظة ثم قال: يا أخي ليس عندي في البيت إلاّ صوري من أيام الجاهلية. قلت له: لتكن أي صورة .. وأعطاني أهله صورة له من عهد الشاه لشاب على آخر طراز من الخنافس الغربيين الذين يقضون وقتهم بين السينما والملهي ومحلات الفليبرز والحانات.

كيف حدث هذا التحوّل في ابن شمال طهران المترف ومن أين جاءه هذا الايمان؟ لقد تناول الخميني الايمان من الثريا ونثره على شباب ايران.

والذين امتلأت قلوبهم من نثاره صاروا ملائكة في أثواب شبان

وفتيات؟

في الحركة نحو هدف الاسلام:

ذهبنا بعد فتح منطقة البستان لتتفرج على المناطق المحررة.. وبعد مدينة سوسنكرد بقليل قالوا: هذه (مرتفعات الله أكبر) وهي ربوات وكثبان رملية ترابية تمتد على يمين الطريق في أرض مبسوطة كالصحراء. كانت هذه المرتفعات لبعض الوقت الحد الفاصل بين القوات الاسلامية وقوات نظام صدام، وقد شهدت كل واحدة منها ملاحم بطولية حتى حررتها الله أكبر.

ولكن المشهد كان فيما بين المرتفعات والطريق.. في مسافة بضعة كيلومترات من الأرض المبسوطة المستوية التي لازالت حقلاً واسعاً مملوءاً بالأسلاك الشائكة والألغام. في طرف هذا الحقل من جهة الطريق.. كان المشهد:

نحو ثلاثين جثة لابناء الاسلام متناثرة.. بعض أجزائها بين الألغام، وبعضها بين الاسلاك! فقد احتاجوا الى عبور هذا الحقل أثناء المعركة وطلب قائدهم أن يتقدم ثلاثون مقاتلاً يضحون بأنفسهم ويفتحون لآخوانهم الطريق فتقدم جميع من كان في مقابل الحقل وقدموا أنفسهم! وكان عددهم حوالي تسع مئة فاختر القائد منهم هذه المجموعة للعبور على الألغام!

أي ناس هؤلاء.. وأي ايمان دفعهم الى اقامة هذا العرس الاسلامي..؟

بعض الناس لم يستطع أن يواصل النظر اليهم فأدار وجهه .. ولكني أمسكت تأثري فرأيت الساحة مغطاة بأجزاء الأجساد الطاهرة حفلة عرس إلهية، والملائكة لازالت قائمة تظللها بأجنحتها، وأفواجهم لازالت تهبط بالرياحين والورود وتمسح في هدوء بالأجساد والتراب، وتعود مزغردة الى السماء؟

والجزء الآخر من المشهد: نقله الضباط الأسرى العراقيون، كانوا نحو ثلاثين ضابطاً سمعت منهم وتحدثت اليهم، وسألتهم:

- هل كنتم تعرفون بموعده الهجوم الايراني؟

- قالوا: لم نكن نعرف بالضبط ولكن كنا نتوقع ذلك وكنا في حالة

استنفار.

- قال أحدهم: قبل الهجوم بيوم شعرنا بذلك لأننا وجدناهم في

الصباح قدموا الساتر الترابي الى حدود حقل الألغام.

- سألته في أي منطقة كان ذلك؟

- قال: عند المرتفعات التي يسمونها مرتفعات الله أكبر من جهة

طريق البستان - سوسنگرد فعرفت أنه يتحدث عن حقل الألغام اياه

الذي رأيته بالأمس. سألته:

- قدموا الساتر الترابي في طول عدة كيلومترات ولم تشعروا بهم؟.

- قال لم نشعر بذلك حتى رأيناه في الصباح .

- سألتهم كم طول الساتر الترابي وكم عمقه؟

- قالوا: طوله أكثر من ثلاثة كيلومترات. وارتفاع التراب يتراوح بين

متر وثلاثة أمتار.

- قال أحدهم: أنا أيضاً كنت في المنطقة وقال لي أحد الجنود: سيدي يوجد صوت بلدوزر. فقلت له: انه من جهتنا.

سألته: كم قدّموا الساتر الترابي .

قال: كانت المسافة ١٨٠٠ متراً فقدّموه ألف متر الى قرب حقل

الألغام الذي يبلغ عرضه ٨٠٠ م .

قلت: كم عدد جنودكم الحفر الذين كانوا مقابل الساتر الترابي؟ فحسبوهم على حسب الأفواج فبلغ عددهم ستين جندياً، ولكن أحدهم اعترض وقال: كتنا في استنفار والمفروض أن يكون الأكثرية مستيقظين.

قلت لهم: أنتم مثقفون فأرجو أن تفسروا لي كيف أن عدة مكائن بلدوزر عملت ليلاً على مقربة من مئات الجنود ولم يشعروا بها؟ هل لذلك تفسير مادي؟

قال أحدهم: في حين أن أي بلدوزر لنا كان يريد العمل تأتيه قنبلة ضوئية ثم يضرب .

قالوا: لا يوجد لذلك تفسير مادي.. فأظهرت التعجب من امداد الله لجنوده.

قال أحدهم: لماذا تتعجب..؟ أنا وخمسون جندياً معي أسرنا ايرانيين اثنان..

قلت: وكان معكم أسلحتكم؟

قال: نعم أسلحتنا وذخائرنا، وأحدهما بقي في الشاحنة ونزل الآخر وأنذرنا فرغنا أيدينا وسلّمنا.

قلت: ولم تدافعوا عن أنفسكم ولم تطلقوا طلقة واحدة؟

قال: أبدأ.

قلت: لماذا؟

قال: (معنويات ماكو)

قلت: لماذا لا توجد لديكم معنويات؟

قال: لماذا نكذب على أنفسنا. الجماعة على حق، وعندهم عقيدة

يقاتلون عنها، أما نحن فعلى ماذا نقاتل؟

وسألتهم عن سبب كثرة البلدوزرات الجديدة التي أخذها الإيرانيون

غنائم؟

فقالوا: طلبت قيادة القاطع مئات البلدوزرات من أجل إقامة سدود

ترابية عالية تحيط بقطاعاتنا وخصصوا لمنطقة البستان مئة وعشرين

بلدوزراً، ولكنها لم تستطع العمل بالشكل المطلوب.

وعادت بي الذاكرة الى قصص الفتح الاسلامي لبلاد فارس، والى

تحصين الفرس لمدهم وقواتهم بالخنادق وحسك الحديد، واختراق

المسلمين العرب لهذه التحصينات في المدينة تلو الأخرى والموقعة تلو

الأخرى.. وأنهم كانوا يعبرون الخنادق والمناطق المزروعة بحسك الحديد

بخيولهم أو مشاة ويستشهد العديد منهم.!

وذكرت منها قصة في فتح السوس وتستر وهي منطقة شوش وشوشتر

التي تشملها الحرب الآن، وأن الفرس كانوا يقتلون الجنود الفارين،

وأنهم أمسكوا أحد الجنود في هذه المنطقة فأثروا به الى حاكم مدينة شوش

فبادرهم الجندي وكان رامياً للنبيل:

- لا تقولوا أنني جبان، ولا تقولوا لست ماهراً في رمي السهام، ضعوا لي حجراً على بعد كذا.. فوضعوا له حجراً فسدد إليه سهمه فأصابه وفلقه، وقال:

- والله ان سهمي يفلق الحجر، ولكنه لا يؤثر في هؤلاء العرب شيئاً؟
قالوا: لماذا؟

قال: لأنهم على حق .

وعادت بي الذاكرة الى أن النبي (ص) وعد المسلمين بأنهم سيهزمون كسرى ويأسرون الفرس أفواجاً بالسلاسل وأن الفرس سيدخلون الاسلام.. قال (ص) «رأيت ناساً من أمي يساقون الى الجنة في السلاسل كرهاً، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: قوم من العجم يسبهم المجاهدون فيدخلونهم الاسلام» سنن أبي داود ج ٣ ص ٥٦... وقارنت ذلك بما أراه اليوم:

سبحان الله.. ان ما يقوله جنود صدام نفس ما كان يقوله جنود رستم وهرمز، وحالتهم كحالتهم. وما نقرؤه عن بطولات الجيش الاسلامي العربي الفاتح نراه في القوات الاسلامية الايرانية!

انها حقاً القادسية كما يقول صدام ولكن الاسلام فيها هذه المرة من هذا الجانب والجاهلية من الجانب الآخر. وهاهم العجم يضربوننا على هذا الدين عوداً كما ضربناهم عليه بدءاً.. فكيف جرى التاريخ؟ وكيف تبادلنا المواقع؟

لعن الله حكام العرب الخونة وأئمتهم أئمة الكفر العالمي، ولعن معهم العلماء الفسقة.. انهم يتناولون الجاهلية والكفر من أبي جهل وأئمة الكفر العالمي ويسوقون بها جماهيرنا العربية.. بينما يتناول الفرس الايمان من

الثريا و يأخذون به موقع آبائنا في صدر الاسلام!

◊

قال الإعلام الأمريكي: ان الخميني استطاع أن يلعب مع الايرانيين لعبة الموت، وأن يقنعهم بالشهادة والجنة!
وقال أحد العراقيين الظرفاء:

أي شعب يتحمل من قيادته ماتحملة الشعب الايراني من الخميني؟
من أول الثورة الى اليوم تظاهرات وتضحيات، ثم حدثت الحرب فجعلهم يشدون الأحزمة على البطون، ويقدمون ألوف الشهداء.. وهاهو يقول لهم: بعد العراق أمامنا القدس وفلسطين.. ومن العجيب أنهم يتحملون و يصبرون!

فقيل له: لقدتحمل الشعب العراقي من صدام أضعاف ذلك!
قال: أتكلم عن التحمل الطوعي الاختياري.

وقال الإعلام الاوروي: انّ الذي جعل الوضع الاقتصادي في ايران متماسكاً فلم يحتاجوا الى الاقتراض من أحد وجعلهم يسددون اثمان مشترياتهم من السلاح وغيره، ورفع سمعتهم التجارية، ووفر لهم احتياطياً بضعة عشر مليار دولار.. يعود الى سببين:

الأول: أنهم حافظوا على تصدير نفطهم. والثاني: أنهم تمكنوا من خفض الاستهلاك على صعيد الحكومة والشعب.

وقال بعض ناقصي الايمان: ان الامام الخميني جعل الايرانيين يعيشون في موجة تصوف فيضحون برفاهيتهم وأموالهم وأنفسهم في سبيل الثورة.. ولكن الى أين ستصل موجة التصوف هذه..؟

وعندما أراد أحدهم أن يناقشه أسكته بعصبية وقال: يا أخي لا يمكن للناس أن يعيشوا على الغيبيات .. إن موجة التصوف والغيبيات التي في ايران غير معقولة، ولا بدّ أن يعود الناس الى الواقع المادي الملموس .

ولكن المسألة في الايرانيين أعمق من مثل هذه النظرات الخاطئة والمغالية والمجزوءة. المسألة في الموقع الذي أصبح فيه المسلمون الايرانيون. الموقع السياسي العالمي الذي يدركون أنهم فيه، ومنه يتحركون.

المسألة في الأمر الذي يفكر به الرجل العادي في القرية والمدينة، والموظف في الدوائر الحكومية والمسؤولون على رأس الأجهزة، والجندي وحارس الثورة وقياداتهم ..

سل الرجل العادي والمرأة والشاب .. فستجد أنهم أصبحوا حملة قضية المسلمين والمستضعفين في العالم، وقضية محاربة أمريكا واسرائيل وبقية القوى الكافرة .. وأنهم يعيشون هذه القضية عيشاً حقيقياً ويعتقدون أنهم سائرون في العمل لها بدون توقف، في خنادق الجبهات الداخلية كما يعبرون عن عمل غير المقاتلين، وفي جبهات القتال .. وأنهم بعد تحرير العراق سوف يتوجهون حتماً الى القدس .. وأن رأس الأمر في هذه القضية أن يطيعوا الامام الخميني ليس فقط فيما يأمر، بل فيما يشير ويومىء ويرغب ويحب .. فهو المجتهد الجامع للشرائط، وهو المرجع المقلّد، والحاكم الواجب الإطاعة، وهونائب الامام المهدي عليه السلام.

المسألة أنهم أخذوا موقعنا في صدر الاسلام، وأن طموحاتهم أصبحت عالمية واستعدادهم للعمل والتضحية من أجلها عميق طويل

بلا حدود.. وأن مظاهر العطاء التي تراها منهم هي جزء من مخزون كبير وزخم كبير.. لقد أصبح الرجل القروي في إيران يفكر على مستوى العالم تفكيراً عملياً لاشكلياً.. فحب المسلمين والمستضعفين وعداء أمريكا والكفر العالمي يتوقد لهيباً في داخله، ومانراه من أنواع التضحية وخفض الاستهلاك ومن الحب الحقيقي والشعور بالأخوة مع الثائرين في وجه أمريكا وروسيا والذي يسميه بعضهم بالتصوف والتعلق بالغيبيات.. ماهو إلا جزء من مخزونه الكبير من هذا الحب والبغض، وهل الدين إلا الحب والبغض؟

وهل انطلق المسلمون الأوائل لتحرير العالم بالاسلام إلا بهذا الحب والبغض الكبير المقدس؟ وهل قال عنهم الإعلام الكافر آنذاك، ورماهم بالتصوف والجنون والقومية التوسعية إلا كما يقول عن مسلمي إيران الجديدة؟

الذاكرون والضباطرة

الصورة القديمة الجديدة

نرسم أولاً صورة الحادثة التي يرويها ابن أبي الحديد وغيره. يقول: «جاء الأشعث اليه وهو على المنبر فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال له: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك— يعني العجم—! فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان: مالنا ولالأشعث؟ ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر! فقال عليه السلام:

«مَنْ عَذِبِي مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّبَّاطِرَةِ؟ يَتَمَرَّعُ أَحَدُهُمْ عَلَى فِرَاشِهِ تَمَرَّعَ الْجَمَارِ، وَيَتَهَجَّرُ قَوْمًا لِلذِّكْرِ! أَقْتَامُرِي أَنْ أَظْرِدَهُمْ؟! مَا كُنْتُ لِأَظْرِدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. أُمَا وَاللَّيْلِ فَلَقَّ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَيَضْرِبُنَّكُمْ عَلَى الدِّينِ عَوْدًا، كَمَا ضَرَبَتْهُمْ عَلَيْهِمْ بَدَأَ».

الزمان: في خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام، أي بعد فتح بلاد فارس بنحو خمس وعشرين سنة دخل أثناءها أكثر الإيرانيين في الاسلام، وأقبل العديد منهم على تفهمه واستيعاب علومه.

والمكان: مسجد الكوفة، الذي يروي أنه منزل نبي الله نوح عليه السلام ومسجده، وأمير المؤمنين يخطب على منبره وقد احتشد المسلمون ليغترفوا من فيض علوم رسول الله (ص)، وبكر الإيرانيون بالحضور الى المسجد فكانوا مجموعة بارزة في مقدمة المصلين والمستمعين.

في أثناء الخطبة جاء الأشعث بن قيس متأخراً، وهو رئيس عشيرة

كندة الكبيرة وأحد زعماء العرب البارزين، ولم يجلس في آخر المصلين كما تقضي الآداب الإسلامية بل قصد مقدمة المجلس.. يشق الصفوف ويتخطى الرقاب.. حتى إذا رأى احتشاد الإيرانيين وحرصهم على القرب من المحراب والمنبر لم يتماسك غيظه فقال بصوت مرتفع مخاطباً أمير المؤمنين وقاطعاً عليه خطبته:

— يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك!

فضرب أمير المؤمنين برجله على المنبر يقول بذلك للأشعث: ماذا قلت! ماذا فعلت! ثم أطرق يفكر في معالجة الموقف بعلاج الإسلام.

أما صعصعة بن صوحان وهو من خيرة تلاميذ أمير المؤمنين عليه السلام فقد أدرك خطورة ما حدث. لقد طرح الأشعث خلافة المسلمين على أنها قيمة دنيوية يملكها العرب الذين هم الأشعث وأشباهه، وأنها أصبحت مهددة بهؤلاء المسلمين الجدد الذين أحاطوا بالمنبر والامام، وصاروا أقرب إليه من الأشعث.

كما أدرك ابن صوحان المعادلة الإسلامية التي يؤمن بها أمير المؤمنين عليه السلام: فلا الإسلام ومنصب الخلافة قيمة دنيوية، كما يطرح الأشعث.

ولاميزان الأولوية بالإسلام والامام هو القومية ورئاسة العشيرة والثروة، كما يريد الأشعث. ولا هؤلاء الإيرانيون المقبلون على الإسلام هم بالصورة التي يراها الأشعثيون وتزدرها أعينهم.

وكأن أمير المؤمنين استعرض في سكوته صورتين ممتدتين في تاريخ الأنبياء عليهم السلام:

صورة المؤمنين المستضعفين المتعطين الى معرفة رسالة الله تعالى، فهم يلتفون حول الأنبياء والأوصياء والعلماء..
 وصورة المترفين المنافقين الذين يتكبرون عليهم ويحتقرونهم..
 وكأنه عليه السلام وهو مطرق في مسجد الكوفة قد حدّق في التاريخ وآيات القرآن فتجسدت له في هذا المكان صورة المؤمنين المستضعفين حول نبي الله نوح عليه السلام وهم يواجهون منطق المكذبين من قومه..
 فرأى نفسه في ذات الموقف.. ورأى الأشعث وريثاً لأولئك الاشاعثة..
 فقرر أن يضع حداً لهذا المنطق الكافر الذي تبجح به صاحبه في بيت الله تعالى!

رفع أمير المؤمنين عليه السلام رأسه معرضاً عن الأشعث، ووجه خطابه الى المسلمين وبين لهم معادلة الاسلام ومعادلة الأشعث، وختم ذلك بالقسم على بعض ما أخبره به رسول الله (ص) عن مستقبل هؤلاء الملتفين حول المنبر!

عناصر شخصية الضيطر

في شخصية الأشعث وأفكاره عناصر متعددة تجعله في طليعة القوميين المنافقين، مثل محاولته أن يرشي أمير المؤمنين ليوليه على بعض بلاد المسلمين، واشتراكه مع ابن ملجم وقطام في قتل أمير المؤمنين، وما عرف عنه من شربه الخمر، وقتل ابنته جعدة زوجها الامام الحسن عليه السلام بالسّم، واشتراك ابنه محمد بن الأشعث في قتل الامام الحسين عليه السلام في كربلاء.. ولكننا نتخطى ذلك الى العناصر الثلاثة التي

ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي : فراغ الشخصية ، والسلوك الحيواني ، والتكبر على عباد الله الذاكرين .

«من عذيري من هؤلاء الضيافة، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، وهجر قوماً للذكر» .

ان لفظة الضيافة المميزة لترسم صورة الشخصية المخوفة وان بدا صاحبها هيكلًا ضخماً كالطبل، فالحقيقة الأولى في هؤلاء الأشعثين فراغ شخصياتهم من الفكر والهدف .. فلاهم مسلمون عقائديون يحملون الاسلام ويعملون لهدفه، ولاهم كفار عقائديون، ولا منحرفون عقائديون، يحملون هدفاً بميزان سياسي و يعملون له!

إن باستطاعتك أن تصنف الرجال من حيث مضمونهم الذي يملأ شخصيتهم ووقتهم الى ماشئت فتقول: مسلم هادف. وأمريكي هادف. وهودي هادف. وأوربي هادف. وشيوعي هادف .. ولكن يجب أن تدع مجالاً لنوع من الشخصيات التي لا مضمون لها من الفارغين أو الضيافة أو الأشعثيين .. فهؤلاء في عالم الفكر والفعل السياسي .. فراغ، وهواء تصفر فيه الرياح.

فماذا يملأ شخصية الضيافة اذن؟

يقول عليه السلام: انه التمرغ على الفُرش كالحمير، بكل مايعنيه التمرغ من: بلادة، واخلاق الى النوم والشهوة، وتقلب من التخمه، وترف، وكسل عن العمل ..

يقولها عليه السلام بدون تردد ولا مجاملة، فتلك هي الحقيقة القاسية التافهة التي تملأ شخصيات الضيافة، والهدف الوحيد الذي تحمله .

وموقفهم من الذكر وأهله ناتج طبيعي عن خوائهم وسلوكهم الحيواني هذا.. فذكر الله تعالى مضمون للشخصية، وأهله جادون في هدف وطريق.. والضياطرة فصيل مسطح يحب الفراغ والتمرغ في الغبار، ويكره العمق والمضمون والجد والهدف.. ويمقت أجواء التدين والذكر والفكر والعبادة.. ويبغض أهل هذه الأجواء.

فهل عرفت السبب الذي من أجله يكره ضياطرة بلادنا العربية التدين والمتدينين؟ يكرهون مجالسنا ولا يطيقونها، ويكرهون وجودنا، و.. اسمنا.

•

وهل عرفت السبب في امتلاء المنطقة بالفعل الاسرائيلي والأمريكي وفراغها من الفعل العربي..؟ اللهم إلا من غبار المتمرغين يغطي سحابه القصور والدور والملاهي والبارات ووسائل الاعلام!

وهل رأيت كيف عمّ تيار الضياطرة في بلادنا وسيطر عليها، وهامهم لا يتركون تمرغهم على فرشهم إلا ليصبوا على أهل الذكر ازدراءهم واحتقارهم واضطهادهم!

وهل رأيت كيف يلتفت أهل الذكر في ايران وفي ساحة أمتنا الاسلامية كلها حول منبر الخميني يتعلمون منه ذكر الله تعالى وجهاد الضياطرة وأمتهم أئمة الكفر العالمي؟

انّ الذين ينفخون أبواق النفير لمواجهة خطر المد الاسلامي القادم من ايران، ويرفعون عقائرهم بالخوف على العرب والقومية العربية من خطر الفرس.. أنّاهم الضياطرة والأشاعثة.

أما الجماهير المتعطشة الى ذكر الله تعالى واستيعاب تعاليم الاسلام .. فهم أخوة في الله لأب وأم .. عرباً كانوا أم فرساً أم تركاً وهنوداً وأفارقة ..

«إِنَّ سُرْعَةَ انْتِلَافِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّقَوْا وَإِنْ لَمْ يُظْهِرُوا التَّوَدُّدَ بِالسِّيَتِيهِمْ، كَسُرْعَةِ امْتِزَاجِ مَاءِ السَّمَاءِ بِمَاءِ الْأَنْهَارِ. وَإِنْ بُعِدَ انْتِلَافِ قُلُوبِ الْفُجَّارِ إِذَا اتَّقَوْا وَإِنْ أَظْهَرُوا التَّوَدُّدَ بِالسِّيَتِيهِمْ كَبُعْدِ انْتِلَافِ قُلُوبِ الْبُهَائِمِ وَإِنْ طَالَ اغْتِلَافُهَا عَلَى مِذْوَدٍ وَاحِدٍ».

وصدق الله ورسوله، وكذب الضياطرة.



كنوز الطالقان

«وَيْحاً لِلطَّالِقَانِ فَإِنَّ بِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُنُوزاً لَيْسَتْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، وَلَكِنْ بِهَا رِجَالٌ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ .. وَهُمْ أَنْصَارُ الْمَهْدِيِّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ».

ما أشوق حديثك يا أرض الطالقان .. يا واحة تنبت كنوزاً دونها كنوز الذهب والفضة .. وشباناً بعمر الورود ينحني أمام معرفتهم العلماء .. وأمام مقامهم كبار المجاهدين والشهداء .. مقام بلغ أن بشر الله تعالى بهم على لسان رسوله (ص)، وادخرهم أنصاراً ووزراء لوليه المهدي (ع) في عمله الكبير الكبير ..

هل رأيتم يا أهل الطالقان أحداً منهم ؟ هل سمعتم شيئاً عنهم ؟
 آه لو عرفت منهم أحداً لخدمته طول عمري .. ولكن الله أخفى أوليائه في عباده الى أن يبلغ أمره ..

حدّثونا يا أهل الطالقان، يا أهلهم، عن السرّ الذي تنبت به عندكم
معرفة الله عزّ وجلّ؟

هل هو موقع منطقتكم على سفوح جبال آبرز وفي أعاليها؟ وأنها
مجموعة قرى لامدينة فيها؟

أم هو اهتمامكم بالقرآن تعلمونه لأبناء إيران، حتى اقترن في
أذهانهم تعليم القرآن بأهل الطالقان؟

أم هو نمط حياتكم البسيطة الصافية، والعلاقات التي تكونت
بينكم؟

أم عبادتكم في الليل، التي عرفت عن الكثيرين منكم؟
علّمونا كيف انتصرتكم على أثقال الطين، وأصبحتم منبتاً لكنوز
النور؟..

قال رجل من الطالقان:

أيّها السائل، انظر الى هذا الخير العامرة به قلوب أجيال من الناس
كيف ينقدح زناده في القلب فيعمر به و يفيض بالبركات ..

إنّ نور الفطرة ونور التوحيد هما المنبع لهذا الخير الذي تراه في
الناس ... ينابيع، وسواقي، وجداول، وأنهاراً، وحدائق مورقة مشمرة، في
كل جيل .. ومنها يصدر هذا النور الذي تراه مشرقاً في ظلمات
الأرض .. ينبعث من الناس في القرى والمدن والجبال والسهول .. على
قدر مخزونهم .. ومضاً من النور، أو خيوطاً، أو حُزماً أو تياراً، أو يكون
قواراً. يتوهج، أو مشكاة تتوقّد ..

إنّ الفطرة يا صاحبي غرسة نور إلهية في باطن الانسان .. يكاد زيتها

يضيء ولولم تمسسه نار.. فاذا مستها نار التوحيد أضاعت، واتقدت،
وفاضت بالخير.. على قدر طاقتها المخزونة، وعلى قدر الوقود.

وقد كان ولا يزال لهذين النورين في كل جيل قصة، وعند كل
انسان.. كيف يحافظ على نور فطرته و ينميه ويحميه، فيصبح به انساناً
سويّاً. وكيف يتفاعل مع نور الإيمان و يأخذ منه نصيبه..

وفي عباد الله الخيّرين نماذج لم يقف أحدهم في كدحه الى ربه عند
أن يغلب نوره على ظلمته وخيره على شرّه.. بل واصل المعاشة والمعاناة
بكامل فطرته وبكل مخزونه.. حتى توقّد باطنه بمعرفة الله تعالى، وأشرق
وجوده بنوره.

ياصاحبي: يتمايز الناس في أمور كثيرة، ولكن التمايز الحقيقي إنّما هو
في شعلة قلب أحدهم، ماهي؟ وكم هي؟

وفي كلّ قلب شعلة، ولولم يشتعل قلب الانسان لمات!

وفي قلب الانسان بقاع أشبه بتراب المعادن عطشاً للنار، تلح عليه
الواحدة أن يضرم شعلتها.. فإن هو فعل هاجت به شهوتها تطلب الوقود،
واضطرم القلب ناراً ودخاناً واستعر كالتنور.. ثم لم يهدأ أبداً.

وفي قلب الانسان تربة بيضاء هي معدن الفطرة تناديه أن يقده
شعلتها بزناد التوحيد. فان هو فعل تطامنت جنبات قلبه، وأضاعت بنور
أنصع بياضاً من الثلج، وأهدأ انسياً من النسيم، وأشد توهجاً من راد
الضحى، وأعمق اضطراماً من نار الغضى..

ياصاحبي.. اطفئ من قلبك شعلة شهوات الدنيا.. واقده فيه شعلة
المعرفة، وتعهدها، وضّم على كنزها قلبك.. فأنت كنز الله في أرضه.

وبعد، فإن ظاهرة كنوز الطالقان وأمثالها توجب علينا أن نعيد النظر في القيمة التي نعطيها للعلم في بناء شخصيتنا الإسلامية.
ترى، ألم يسرف الكتاب الإسلاميون المعاصرون في إعطاء القيمة لكمية المعلومات التي يعرفها المسلم عن الإسلام؟

ألم يسرف العاملون في الحركة الإسلامية في بذل الجهود والأوقات من أجل ضخ المعلومات الإسلامية في أذهان الناس، باعتبار أن الثقافة الإسلامية هي المنطلق، والوعي الإسلامي هو الأساس؟

هل من الأصالة الإسلامية أن نتجه بمفهوم العلم الإسلامي والوعي الإسلامي والمعرفة الإسلامية والثقافة الإسلامية نحو كمية المعلومات والمهارة العقلية، أي نحو الحجم الكتلي والحالة المهنية، أكثر من اتجاها في العمق نحو القلب واضطراب شعلته بمعرفة الله تعالى؟

هل أخذنا هذا المنحى الكمي المهني في مفهوم العلم والوعي والمعرفة من القرآن والسنة، أم من غيرهما؟

وهل حققنا هدف الإسلام عندما خرجنا جيلاً من الدعاة يحملون في أذهانهم كميات وافرة من المعلومات الإسلامية، ويملكون مهارات فائقة في الكتابة والمحاضرة والتنظير للإسلام.. ثم لا يملكون في قلوبهم جذوة المعرفة ولهيها؟!!

قال رجل من الطالقان:

الأمر يبدأ يا بني قبل المدرسة والكتاب والأستاذ.. من هذا القلب الذي بين جنبيك، وشعلته التي بين يديك.. منه يبدأ العلم والجهل، والنور والظلمة، والقرب والبعد..

والسريّاني ليس في الجامعات والكتب، وأنما في هذه الجذوة التي
تقدحها في قلبك من نوري الفطرة والوحيد. فاعرف قيمتها وبركتها فانها:
علم العلوم، ونور العلوم، ومفتاح العلوم.

أنما العلم يابني سقي لما زرعت في قلبك، فانظر ماذا زرعت، وماذا
تسقي؟

وقود للشعلة التي أضرمتها في قلبك، فانظر على أي شعلة تضع
الوقود؟

والعلم يأخذ لونه وطعمه وحجمه من ظرفه، والقلب ظرفه، فانظر أي
ظرف تملأ بالعلم؟

وأنما يكون العلم «علماً» ونوراً اذا حلّ في قلب اتقدت جذوته
وأضاءت شعلته.. أما اذا حلّ في القلب المظلم فيكون ظلمة! ألا ترى
يابني أن الأمي الذي أضاء هذه الجذوة في قلبه أفضل من العالم الذي
أطفأها كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

«تَرَى الرَّجُلَ لَا يَكَادُ يُخْطِئُ بِلَامٍ وَلَا وَائٍ خَطِيباً مِضْغَعاً وَإِنَّ قَلْبَهُ لِأُظْلَمَ مِنَ اللَّيْلِ

الْمُظْلِمِ! وَتَرَى الرَّجُلَ لَا يَكَادُ يَبِينُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَإِنَّ قَلْبَهُ لَيَزْهَرُ كَالْمِصْبَاحِ».

أما اذا أضاء مصباح قلبه.. وأوقد شعلته بالعلم..

اذا غرس فيه شجرة المعرفة، وسقاها بالعلم..

اذا نقاه من أهداف الدنيا، وملأه بالعلم.. فهو من الذين يقول

الحق تعالى عنهم «بَرِّقَ أَلْسُنُهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»

وهؤلاء العلماء هم نور الله في أرضه، وأدلاء عباده، وأمناء رسله وأنبيائه.

وأول الطريق يابني أن تخرج قلبك من ظلمات الحيرة والخداع وتجعله

صادقاً. فالحيرى من الناس متأرجحة قلوبهم أبداً، يتلفتون في كل صوب .. ويصفون الى كل نداء .. ثم لا يعرف أحدهم ماذا يريد، ولأى نداء يستجيب، وزناد أي شعلة في قلبه يقدر «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا.. لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى: ائْتِنَا. قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى».

وحيرة القلب كلها ظلمة .. ابتداء من الحيرة الكبرى بين الكفر والاسلام .. وحتى الحيرة الصغيرة في الاختيار بين عمليين أحدهما لله، والآخر للدنيا.

والمخادعون، أشعلوا في قلوبهم نار الشهوات فأصبحت الدنيا همهم وهدفهم، ولها سعيهم .. ويزعمون أن هدفهم الله تعالى والآخرة، وأن نار شهواتهم هي نور المعرفة «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ».

والمخداع كله ظلمة .. ابتداء من الخداع الأكبر عند الذين يقولون آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين .. وحتى الخداع الصغير في فعل أو قول.

والصادقون، اختاروا طريقهم فنجوا من الحيرة، وصدقوا مع أنفسهم فسلموا من النفاق. استجابوا لنداء واحد فلا يتلفتون الى غيره، وسلكوا طريقاً واحداً فلا يعدلون عنه.



يا أهل الطالقان، يامنجي أولياء الله .. هاأنا ألقى معلوماتي ومهارتي، وألقى قلمي وأوراقى .. لكي أتعلم في مدرستكم .. فالمعرفة عندكم، تشع

من بيوتكم وحقولكم، وسوف تشرق على كل الأرض من قلوب
أبنائكم .. إني أشم منكم عطرهم، وأرى في جباهكم نورهم .. فكيف
يدخل الانسان في العارفين؟
قال شيخ من الطالقان:

أول المعرفة يابني: الصدق، وان للصدق طمأنينة في القلب يعرفها
صاحبها، ونوراً في القول والعمل يراه الناس من حوله .. وفي حياة كل
انسان بعد ذلك مواقف تشبه مواقف الآخرة يمتحن فيها فيظهر معدنه
وينكشف سرّه.

سل قلبك واطلب اليه أن يصدقك الجواب: هل تريد الله واليوم
الآخر؟ فان قال نعم، فأعد عليه السؤال:
إن ذلك يعني أنك ترفض الدنيا الحرام: المال الحرام قل أم كثر،
والمقام الحرام كبر أم صغر، واللذة الحرام بأنواعها واغرائها ..

فإن قال نعم، فاعد عليه السؤال:

إنّ ذلك يعني أنك ترفض الدنيا الحلال التي من شأنها أن تلهي عن
ذكر الله واليوم الآخر.. فهل أنت كذلك؟
فإن قال نعم، فاسأله:

من الناس من يريد الله تعالى ورضاه ولكن بشرط، أو بشروط.
ومنهم من يريد رضاه عزّ وجلّ بلاشروط .. كما قال رسول الله (ص):
«إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا بُدَّ لِي» وكما قال جعفر ابن أبي طالب رضي
الله عنه: «اللهم انك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن ألتني بنفسي من شاق
لفعلت. اللهم انك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع قائم سيني في صدري

وأتكىء عليه حتى أموت.. لفعلت».

فان قال قلبك: أريد رضا الله تعالى بلا شروط فاقبل منه، ثم امتحنه في العمل..

انظر الى حالته عندما يقال له عن فعل: هذا حرام لا يرضى به الله تعالى، هل يمتلىء نفرة واشفاقاً؟ أو يقال: هذا واجب يأمر به تعالى، هل يمتلىء تحفزاً واشفاقاً؟

وانظر في أيام حياتك، وشهورها، وسنواتها.. لم سعيك، وماذا تريد من حياتك، هل أن رضا الله تعالى شغلك الأول وهمك الأكبر؟ أم يتقدم عليه شغل الدنيا وهمها؟

سل قلبك ماذا أريد من عملي هذا، وذاك، وذلك؟ الآخرة أم الدنيا؟

وسل قلبك كلما قطعت مرحلة من عمرك: ما هو الأمر أو الأمور التي تشغلني فعلاً، وفي هذه الأيام، وهذه الشهور؟ هل مازال هديني أن يرضى ربي عتي.. أم زال؟

فاذا رضيت عن اجابات قلبك.. ثم نجحت في امتحان المواقف والمنعطفات التي تمر بها الحياة.. فأنت صادق ثابت على الصدق، برىء من ظلمات الخيرة والنفاق.. وما أعظمها درجة!

ان المعرفة يابني سلوك، وأنها تتجمع خيوط شعلتها من أداء هذا الواجب وترك ذلك الحرام، وفعل المستحب وترك المكروه، فاطلبها عن هذا الطريق، فان من طلبها عن غير طريق الشريعة تاه في الظلمات.

والمعرفة يابني نتيجة، فلا تجعلها هدفاً، فان من جعلها هدفاً لم يصل اليها أبداً..

وبعد، فان كنوز الطالقان اذ يقدمون لنا النموذج الاسلامي للعارفين بالله حق معرفته، يكشفون لنا جوانب الخطأ في مفهومنا المألوف عن المعرفة والعارفين.

إنَّ شخصيتهم تختلف عن شخصيات العارفين المألوفة في مجتمعاتنا الاسلامية، والمجتمعات الأخرى في العالم.

فهم أبناء فلاحين من منطقة ريفية زراعية .. وعارفون.

وهم مقاتلون أشداء .. وعارفون

وهم سياسيون على مستوى عالمي .. وعارفون.

وعرفانهم يختلف عن العرفان المألوف عندنا، حتى في بعض أوساط طلبة العلوم الدينية ...

رأيت بعض الطلبة مشغولاً ببعض العارفين يتحدثون عن شخصيته وسلوكه وكراماته: شيخ جاوز السبعين من عمره، بهي الطلعة، عليه نور الايمان، يعيش عيشة متواضعة في بيت عادي، دائم الذكر لله تعالى، يقضي أيامه في الصلاة والأدعية وقراءة القرآن والأوراد .. لاشغل له بأمر الدنيا، لاينازع أحداً ولايختلف مع أحد، يحب كل الناس، وقد أصبح موضع ثقتهم واشتهر بين الطلبة وعند الناس .. يزورونه لطلب الدعاء والبركة فيرون من دعائه الخير .. وأكثر ماينتفع به الناس أنه يستخير لهم بالسبحة أو القرآن الكريم على عمل ينوي صاحبه القيام به فيخبره هل توجد مصلحة في فعله أم لا، وربما كشف الله له فعرف الأمر الذي نويته فيخبرك عنه و يوجهك بشأنه ..

سألت عن موقفه من الثورة الاسلامية فقالوا مؤيد للثورة وللامام

الخميني ويقول انه من العارفين، ولكنه لا يتدخل في الأمور الاجتماعية والسياسية .

سألتهم كيف أمضى هذا العمر الطويل ؟ فقالوا على هذا النمط من السلوك .. فأوشكت أن أحبه أو أزوره وأطلب منه الموعدة .. ولكن أهل الطالقان كان لهم فيه رأى آخر ..

قال أحدهم:

يابني، إن الله عزَّ وجلَّ أنزل للناس شريعة أمرهم فيها ونهى، وأحب وكره، ولن ينال أحد رضاه تعالى أو تنقذح في قلبه شعلة معرفته إلاَّ عن طريق الالتزام بها والعمل لتطبيقها في الناس.

فهل أمرت الشريعة بالعزلة عن الناس، أم بخلاف ذلك؟

وهل أمرت الشريعة بترك قضايا المسلمين العامة الاجتماعية

والسياسية، أم أمرت بالاهتمام بها والعمل لها؟

يابني كيف يكون عارفاً بالله تعالى من عاش أكثر من خمسين عاماً

يرى معاصي الله تعالى من كل نوع ثم لم يغضب الله بفعل ولا قول!

ويرى العاملين لتحكيم شريعة الله تعالى يقاومون أعداءه الظالمين

والكافرين ويتلقون منهم أنواع القتل والنفي والظلم .. ثم لم يرض لرضا

الله تعالى ولم يؤيدهم بفعل ولا قول ..!

كيف أفتت له معرفته أن لا يخرج يوماً فيقف في سوق من أسواق

المسلمين أو في مجمع من مجامعهم، او على منبر من منابرهم ... فيصرخ

غاضباً لغضب الله تعالى وراضياً لرضاه!

يابني، إن من لم يجعل هدفه رضا الله تعالى باقامة دينه في الناس،

لا يكون عارفاً، ولن يقربه من المعرفة أنه جعلها هدفاً فهو يطلبها بالعزلة عن الناس، وبالاكتثار من الصلاة والأدعية والأوراد ..

يابني لو كان في قلب صاحبك نور المعرفة لأشرق عندما تفجر نورها في ايران ولذاب في تيارها وامامها كما فعل الشهيد العارف دستغيب رحمه الله .. وإذ لم يكن كذلك ولم يعرف عنه في حياته أمر بمعروف ونهى عن منكر فهو قاصر الادراك او مخادع، ونور المعرفة لا يحلّ في قلب لا عقل معه، أو لا صدق فيه.

يابني خير لك اذا أردت أن تستخير الله تعالى أو تطلب بركة أحد من عباده العارفين أن تقصد مقاتلاً على ثيابه غبار الجبهة وعلى جبهته نورها .. أو عالماً عاملاً للاسلام يتحمل الأذى ويتكبد العنت في سبيل مرضاة الله تعالى .. أو مؤمناً له قلب ينبض لهما يفرح لفرحها ويحزن لحزنها .. فتلك القلوب هي الهادفة لرضا الله .. والغازية لغضبه، والمشتعلة بنور معرفته ..

يابني، لو أن أنصار المهدي عليه السلام من كنوز الطالقان وكنوز قم والري وخراسان كانوا مولودين اليوم لما كانوا إلاّ بين هذه القلوب وفي خضم هذه المسيرة العارفة بالله تعالى، المهدة لوليه المهدي عليه السلام .. وما يدريك أنهم ليسوا بينهم رuchi فداهم.

الايبرانيون ومعركة قرقيسيا

قرقيسيا، كما يذكر الحموي في معجم البلدان «بلد على نهر الخابور وقرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصب نهر الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات» فهي في شمال سوريا قرب الحدود السورية التركية العراقية، وهي اليوم أطلال تقع بقربها مدينة دير الزور السورية.

ومعركة قرقيسيا موعودة منذ القدم فقد ورد ذكرها في سفر الرؤيا إصحاح ٩ عدد ١٤-١٥ قال «صدر الأمر للملائكة الكبار عند نهر الفرات العظيم لكي يقتلوا ثلثي الناس».

وورد ذكرها عندنا في أحاديث كثيرة في مصادر السنة والشيعة لايبعد أن تبلغ في أصل المعركة حد التواتر، وقد تضمنت عدة تفاصيل، مثل سبب المعركة والأطراف التي تشترك فيها ونتائجها. وقد ذكرنا في أول الفصل نماذج منها وعدداً من المصادر التي روتها، وهي أكثر من ذلك حتى لا تكاد تخلو منها أحاديث السفياي في مصدر من المصادر.

أما سببها فهو الكنز الذي يكتشف أو يظهر عند نهر الفرات أو في مجراه «يَنْخَسِرُ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَيُقْتَلُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ سَبْعَةٍ سَبْعَةٌ فَإِذَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَلَا تَقْرُبُوهُ»، «الْفَيْسَنَةُ الرَّابِعَةُ ثَمَانِيَةٌ عَشْرَ عَامًا ثُمَّ تَنْجَلِي حِينَ تَنْجَلِي وَقَدْ انْخَسَرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ تُكَبُّ عَلَيْهِ أَلَامُهُ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ سَبْعَةٍ سَبْعَةٌ» رواهما ابن حماد (ص ٩٢ مخطوطة).

وقد عبرت بعض الأحاديث بالكنز مطلقاً بدون تخصيص، وفسره ابن كثير بكنز الكعبة حيث لم يلتفت الى الأحاديث الأخرى التي تعين المكان في قرقيسيا. وهذا الاطلاق في الكنز المختلف عليه يفتح باب الإحتمال أيضاً لأن يكون معدناً غير الذهب والفضة كالنفض وغيره، وقد سمعت أن البحث عن البترول جار في تلك المنطقة.

وتوقيت المعركة الوارد في الحديث (عند انجلاء الفتنة الرابعة التي تدوم ثمانية عشر عاماً) يشير الى فتنة بلاد الشام التي يحتمل أن يكون ابتداؤها بالحرب الأهلية في لبنان.

وأما الأطراف المشاركة فيها فهي السفياي، والترك والروم، بينما يكون اليمانيون والايраниون على علاقة غير مباشرة بها.

فبعد أن يستولي السفياي على بلاد الشام ويقضي على معارضيه يتوجه بجيشه الى العراق وفي طريقه تكون هذه المعركة، فهي ذات صلة بالأوضاع المضطربة في العراق من جهة وان كانت تأخذ صفة خاصة وتصبح السيطرة على الكنز هدفها.

ويظهر من الأحاديث الشريفة أن السفياي والترك والروم هم الأطراف الأساسية في معركة الكنز بيننا الأطراف الأساسية في العراق هم: السفياي والخراساني واليماني. ويمكن تفسير كون الترك طرفاً في الصراع بأن منطقة الكنز تقع على الحدود التركية، أما الروم أي النصارى الغربيون فيدخلون طرفاً في المعركة بحجة حماية بعض الأطراف في المنطقة كما نشاهد في تدخلاتهم في بلاد المسلمين، أو بحجج أخرى.. وما ذكره ابن كثير من أن أطراف النزاع هم ثلاثة من أولاد الخلفاء

يقتتلون على الكنز ثم لا يكون لأحد منهم، وردت فيه بعض الأحاديث وأن اسم اثنين من هؤلاء الثلاثة عبدالله وأن أحدهما السفياي . . فن القريب أن يكون هؤلاء الثلاثة هم الواجهة السياسية للروم والترك وقد ورد أن عبدالله الذي يهزمه السفياي يرجع الى الجزيرة، والمرجح أنه يكون الى جانب جيش الروم.

كما أن مواجهة الروم والترك للسفياي في هذه المعركة لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تدلّ على ارتباط السفياي بالروم، فإن تعدد الدول الغربية والصراع فيما بينها للسيطرة على بلادنا يسمح أن يكون السفياي مع طرف منها ضدّ طرف آخر، مضافاً الى الروس الذين هم من الروم النصارى أصلاً.

وتذكر الأحاديث أوصافاً ضخمة لمعركة قرقيسيا مثل أنها «لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» بشارة الاسلام ص ١٠٣، «وَأَنَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ يَشِيبُ فِيهَا الْغُلَامُ وَيَزْفُهُمُ اللَّهُ الصَّبْرَ وَيَرْفَعُ عَنْهُمْ النَّصْرَ، وَأَنهَا يُقْتَلُ فِيهَا سِتُّونَ أَلْفًا وَمِئَةُ أَلْفٍ وَأَنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ وَسِبَاغَ الْأَرْضِ تَشْبَعُ مِنْ لُحُومِ الْجَبَّارِينَ».. الخ.

وتذكر عن نتائجها أن السفياي يكسب المعركة ويهزم الروم والترك «فَيَبْرِجُ الْمَغْرِبِي إِلَى الْجَزِيرَةِ بَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ مِنَ الظَّرْفَيْنِ مِئَةُ أَلْفٍ» البحار ٥٢-٢٢٠ ويقتضي أن يكون انسحاب الاتراك الى تركيا، أما الكنز المختلف عليه فلا يكون نصيب أحد من الأطراف المتصارعة لأن التطورات السياسية والعسكرية المتلاحقة تمنع الطرف المنتصر -السفياي- من استثمار الكنز وتجعل همّه السيطرة على العراق قبل أن

تدخل اليه القوات اليمانية والايرائية «فَيَسْبِقُ (أي السفياي) التِمَانِي إِلَى الْعِرَاقِ» البحار الصفحة السابقة والغيبة للطوسي ص ٢٧٩.

«كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرِابَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ، فَعَظَفَ عَلَيْهَا عَظَفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَعَرَتْ فَأَعْرَثَهُ، وَنَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَظَانَتُهُ. بَعِيدُ الْجَوْلَةِ، عَظِيمُ الصَّوْتَةِ.. وَاللَّهِ لِيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ» نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٤.

«إِذَا بَلَغَ السُّفْيَانِيُّ الْكُوفَةَ وَقَتَلَ أَعْوَانَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ مُسَمِّيهِمْ، خَرَجَ الْمَهْدِيُّ عَلَى لِيْوَانِهِ ضَالِحِ بْنِ شُعَيْبٍ» البحار ٥٢-٢٠٨.

و يدخل السفياي العراق و يسيطر عليه و يقتل فيه خلقاً كثيراً، قبل أن يصل الجيش اليماني والايرائي. وتذكر بعض الروايات أن جيشه يعيث فساداً في الكوفة ثمانية عشر يوماً، و يشير بعضها الى أنه يبقى في العراق تسعة أشهر.. ومن العراق يرسل السفياي جيشه الموعود الى الحجاز فيسيطر على المدينة المنورة ثم يتوجه الى مكة المكرمة للقضاء على حركة المهدي عليه السلام فيخسف الله بهم قبل وصولهم الى مكة...

ولا تطول مدة سيطرة السفياي على العراق حتى يدخل الجيشان اليماني والايرائي «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ خَيْلُ التِمَانِيِّ وَالْحُرَّاسَانِيِّ يَسْتَبِقَانِ كَأَنَّهُمَا فَرَسَا رِهَانٍ شُعْتُ عَبْرَ جُرْدٍ... وَهُمْ الْأَبْدَالُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» البحار ج ٥٢ ص ٢٧٤ وج ٥٣ ص ٨٣.

وتتضمن هذه الرواية فقرة تصلح أن تكون اشارة الى حرب عالمية تقع عند هذه النقطة من سير الأحداث «فَيُقْتَلُ يَوْمَئِذٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفٍ، فَيَقْتَدِي تَأْوِيلُ هَذِهِ آيَةِ «وَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ».

أما سبب تأخر الإيرانيين واليمنيين في دخول العراق فهو التطورات السياسية الهامة التي تتلاحق في الحجاز حيث تبدأ حركة ظهور المهدي عليه السلام «إِذَا خَرَجْتُ خَيْلُ السُّفْيَانِي إِلَى الكُوفَةِ بَعَثَ فِي ظَلَبِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ، وَتَخْرُجُ أَهْلُ خُرَّاسَانَ فِي ظَلَبِ الْمَهْدِيِّ» بشارة الاسلام ص ٨٤ والحاوي ج ٢ ص ١٤٢.

و يتوقف الخراسانيون للاتصال بالمهدي عليه السلام والتنسيق معه فيرسل في جيشهم نفراً من أصحابه و يدخلون العراق ..
«بَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ تُقْبَلُ رَايَاتُ هُدَى مِنْ خُرَّاسَانَ تَطْوِي الْمَنَازِلَ طَيِّباً حَيْثُهَا وَقَعَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ» بحارج ٥٢ ص ٢٣٧.



يبقى سؤالان حول معركة قرقيسيا. الأول: لماذا لم يشارك الإيرانيون في المعركة مع أن قواتهم تكون على مقربة منها؟
وجواب هذا السؤال أن المعركة ليست معركتهم لامن حيث هدفها في السيطرة على الكز ولا من حيث أطرافها الذين ليس فيهم راية هدى، ولذلك يتخذون قرار الابتعاد عن المعركة وانتظار نتيجتها.
والسؤال الثاني: ان عدم مشاركتهم في المعركة لا يبرر انسحابهم من العراق الى ايران الأمر الذي يفسح المجال لقوات السفيناني لتسيطر على العراق وتعيث فيه فساداً؟
والجواب أن انسحابهم من العراق كما تذكر بعض الأحاديث يكون

اجراءً اضطرارياً بسبب خلل يطرأ في الوضع الداخلي في إيران وهو الخلل الوحيد الذي تذكره الأحاديث في دولة المهديين للمهدي عليه السلام «ثُمَّ يَنْفَتِقُ عَلَيْهِمْ فَتَقُ مِنْ خَلْفِهِمْ فَتُقْبَلُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا أَرْضَ خُرَاسَانَ» كنز العمال ج ٧ ص ٧٠.

ولم أجد ما يدل على نوع هذا الخلل ولكن عودة القوات التي تكون في العراق يكون ضرورياً لاصلاحه واستئناف معارك الظهور.

* *

اسماء مجموعة مصادر في الحديث
وعدة كتب حول الامام المهدي عليه السلام

- ١١- عقد الدرر في اخبار المهدي المنتظر، ليوسف بن يحيى المقدسي السلمى ،
فرغ من تأليفه سنة ٦٥٨ ، وقد طبع الكتاب اخيراً في مطبعة عالم الفكر
بالقاهرة.
- ١٢ و ١٣ و ١٤- الحاوى للفتاوى، وعلامات المهدي، والعرف الوردى في
اخبار المهدي ، للشيخ جلال الدين عبدالرحمان بن ابي بكر بن محمد
السيوطي المتوفى سنة ٩١١.
- ١٥- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، لكمال الدين ابي سالم عمد بن طلحة
الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢.
- ١٦- تذكرة الخواص ، لأبي المظفر يوسف بن شمس الدين الملقب بسبط ابن
الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤.
- ١٧- البيان في اخبار صاحب الزمان ، لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد
الكنجى الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨.
- ١٨- ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى ، لمحّب الدين ابي العباس احمد بن
عبدالله بن محمد الطبري، شيخ الحرم المكي المتوفى سنه ٦٩٤.
- ١٩- الصواعق المحرقة ، لشهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي الشافعي المتوفى سنة
٩٧٤.
- ٢٠ و ٢١- منتخب كنز العمال، والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان ،
لعلاء الدين على بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي نزيل مكة المكرمة
المتوفى سنة ٩٧٥.
- ٢٢- اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى واهل بيته الطاهرين ، للشيخ محمد
علي الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦.
- ٢٣- الفتوحات المكية ، لمحيي الدين ابي عبدالله محمد بن علي المعروف بابن عربى
الخاتمى الطائى المتوفى ٦٣٨.
- ٢٤- عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر ، محاضرة موسعة للشيخ محسن

العباد الاستاذ بجامعة المدينة المنورة نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية عدد

ذى العقدة ١٣٨٨-١٩٦٨

وقد اشرفنا إلى انه لا يكاد يخلو مصدر من مصادر الحديث من أحاديث المهدي عليه السلام في ابواب الملاحم والفتن و اشراط الساعة، بما في ذلك كتب اصحاب المصنفات المتقدمة في الزمن على الصحاح الستة كمصنف عبدالرزاق و مصنف ابن أبي شيبية. وأما الكتب المتعرضة للمهدي او المختصة به عليه السلام لعلماء السنة في القرون المتأخرة فتبلغ العشرات، مثل كتاب الاذاعة لما كان يكون بين يدي الساعه للبخارى الهندي، و اشراط الساعة للبرزنجي وغيرها...

مصادر وكتب عند الشيعة

- ١- الكافي ، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني المتوفى سنة ٣٢٩.
- ٢- الغيبة ، المعروف بغيبة النعماني لأبي عبدالله محمد بن ابراهيم النعماني المعاصر للكليني.
- ٣ كمال الدين ، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب بالصدوق المتوفى سنة ٣٨١.
- ٤ و ٥- الفصول العشرة في الغيبة، والارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، لأبي عبدالله محمد بن النعمان العكبري الملقب بالمفيد المتوفى في سنة ٤١٣.
- ٦- الغيبة ، المعروف بغيبة الطوسي للشيخ ابي جعفر الملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦٠.
- ٧- البرهان على صحة طول عمر الامام صاحب الزمان ، لأبي الفتح محمد بن عثمان الكراحي المتوفى سنة ٤٤٩.
- ٨- الملاحم والفتن ، لرضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد

بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ. قوماً تقيلاً قعوداً غلبت عليهم

٩- غاية المرام ، للسيد هاشم بن السيد سليمان الكتكتاني البحراني المتوفى سنة

١١٠٧ أو ١١٠٩.

١٠- مجار الانوار، المجلد ٥٢ و ٥٣ للمحدث محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١.

١١- كشف الأستار عن وجه الغائب عن الابصار، للميرزا حسين المحدث

النوري المتوفى سنة ١٣٢٠.

١٢- بشارة الاسلام ، للسيد مصطفى الكاظمي الحيدري المتوفى سنة ١٣٣٦.

١٣- منتخب الأثر في اخبار الامام الثاني عشر، للشيخ لطف الله الصافي-

معاصر.

١٤ المهدي الموعود المنتظر عند علماء السنة والامامية ، للشيخ نجم الدين

العسكري - معاصر.

هذا، ونلاحظ أن الكتب والأبواب الخاصة في الامام المهدي عليه السلام كانت تقتصر في القرون الاسلاميه الأولى على نقل الأحاديث بأسانيد فقط، ثم أضيف إليها في القرون التي تلتها عنصر المناظرة الكلامية، ثم أضيف عنصر العرفان والتصوف.

وفي الثلاثين سنة الأخيرة صدرت في الموضوع عشرات الكتب والمقالات في ايران والعراق و لبنان و الهند وغيرها، وحاول عدد قليل منها أن يتخطى اسلوب السرد والمناظرة ويعتمد اسلوب التحليل و إثراء حركة الأمة الاسلاميه في نهضتها المباركة... و سوف يواجه الكتاب المسلمون إلحاحاً من الأمة في اعتماد هذا الاسلوب كلما تصاعدت حركتها في مقاومة أعدائها، وازاد تطلعها الى قائدها المهدي الموعود غلى لسان نبيها(ص)، و أصبح التمهيد له و التطلع الى ظهوره الميمون قاسمها العقائدي والسياسي المشترك .



Princeton University Library



32101 059174639

مركز النشر - مكتب الاعلام الاسلامي
الحوزة العلمية - قم
٢٨٠ ريال